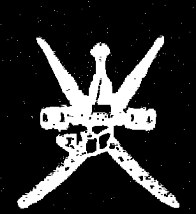


سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة



تأليف العلامة
محمد بن يوسف اطفيش

الجزء السادس عشر

عُمان

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م





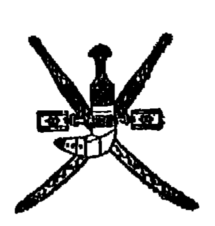


كتـاب
شرح النيل وشـفاء العليل
الجـزء السادس عشر
(ثـــان)

اهداءات ١٩٩٨

وزارة التراث القومي والثقافة

سلطنة عمان



سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

شرح كتاب النيل وشفاء العليل

تأليف العلامة
محمد بن يوسف اطفيش

الجزء السادس عشر

(ثان)

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م


بسم الله الرحمن الرحيم

بـــاب

حمـد الزهـد في الدنيـا . . . .

بـــاب

في الزهد والرغبة في الاسلام

(حمد الزهد في الدنيا) اى حمد الله الزهد فيها اى مدحه واثنى عليه واوجب عليه الثواب قال الله تعالى : ﴿ لا تمدّنّ عينيك الى ما متّعنا به ازواجاً ﴾ (١) الآية قال ابو رافع : نزل عند رسول الله ﷺ ضيف فلم يلق عنده ما يصلحه فارسلنى الى يهودى من بنى خيبر وقال لى : « قل له يقول لك محمد اسلف لى او بع لى دقيقاً الى رجب » فاتيته فقال : لا والله الا برهن قال : فاتيته ﷺ فاخبرته فقال : « اما والله انى لامين في اهل السماء وامين في اهل الارض ولو باعنى او اسلفنى لأدّيته ، اذهب اليه بدرعى هذه » (٢) قال ولمـا خرجت نزلت هـذه الآية : ﴿ ولا تمدّن عينيك ﴾ الآية فامر منادياً ينادى : « من لم يتأدّب بادب الله تقطعت

---

(١) سورة الحجر : ٨٨ .

(٢) رواه مسلم .

. . . .

نفسه حسرات ، ومن لم يرَ لله نعمة الا فى مطعم أو فى مشرب أو ملبس فقد قصر عمله وحضر عذابه ، ومن نظر الى ما فى يد غيره طال حزنه ولم يشف غيظه » (١) وكل آية او حديث أو أثر ورد فى مدح ترك المعصية فهو من باب الزهد ، وقال الله تعالى : ﴿ يايها النبى قل لأزواجك ﴾ (٢) الآية فامره بفراقهن ان اخترن الدنيا ، وقال ﷺ : « أوحى الىّ كلمات فدخلن فى اذنى ووقرن فى قلبى ، من أعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن امسك فهو شر له ، ولا يلوم الله على الكفاف » (٣) وعن معاوية بن حيدرة قلت : يا رسول الله ما يكفى من الدنيا ؟ قال : « ما سدّ جوعتك وستر عورتك فان كان دار فذاك وان كان حمار فبخ بخ ، فلق من خبز وجرع من ماء وانت مسئول عما فوق الازار » (٤) وعن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ كل من ملك بيتا وزوجة وخادما فهو ملك . وروى ذلك عنه ﷺ وهو فى المعنى صحيح لانه بالزوجة والخادم مطاع بالبيت محجوب الا باذنه ، وعنه ﷺ : « والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء المسلمين الجنة قبل اغنيائهم بخمس مائة سنة ياكلون فيها ويشربون ويتنعمون والآخرون جاثون على ركبهم وليقولن لهم الجبار جل جلاله : « انتم كنتم ملوك الناس وحكامهم واهل الغنى فارونى ماذا صنعتم فيما اعطيتكم » (٥) وعنه ﷺ : « التقى مؤمنان على باب الجنة فقير وغنى كانا فى الدنيا فأدخل الفقير الجنة واحتبس الغنى ما شاء الله ، ثم

---

(١) رواه ابو داود .
(٢) سورة الاحزاب : ٢٨ .
(٣) رواه ابو داود .
(٤) رواه ابو داود .
(٥) رواه مسلم .

دخلها ، فلقيه الفقير فقال له . يا أخى احتبست بعدك محتبسا فظيعاً كريهاً وما وصلت اليك حتى سال مني من العرق مالو ورده الف بعير كلها أكلت خمطاً لصدرت منه رواة » (١) وقال موسى عليه السلام : « يا رب اى عبادك اغنى » فأوحى الله اليه : « اقنعهم بما اعطيته » وقال على :

افادتنى القناعة كلّ عزّ ... وهلّ عز اجلّ من القناعة
فصيّرها لنفسك رأس مال ... وصيّر بعدها التقوى بضاعة
تحرّز حين تغنّى عن لئيم ... وتنعم فى الجنان بصبّر ساعة

وعنه ﷺ : « طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به »(٢) وقال ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس » (٣) وقيل لحكيم : ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ، وقيل لحكيم : ما مالك ؟ قال : الغنى فى الظاهر والقصد فى الباطن والاياس مما فى ايدى الناس ، ويروى أن الله عز وجل قال : ﴿ يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا الموت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن ﴾ وعن وهب أنه أوحى الله تعالى الى نبى من بنى اسرائيل : ان اردت أن تسكن حظيرة الفردوس فكن فى الدنيا فريداً وحيداً هيوباً وحيشاً بمنزلة الطائر الوحدانى الذى يظلّ فى الفلوات ويأكل من رءوس الأشجار ويشرب من ماء العيون فاذا كان الليل آوى وحده ولم يأو مع الطير استئناساً بربّه ، قال الشاعر :

(١) رواه ابن حبان والبيهقى .
(٢) رواه ابو داود .
(٣) رواه مسلم وابو داود .

* * * * * * * * * * * * * *

كم للحوادث من صروف عجائب ونوائب موصـــــولة بنوائب
ولقد تقطّع من شبابك وانقضى مــا ليس اعلمه اليك بآيب
تبغى من الدنيا الكثير وانمــا يكفيك منهـا مثـل زاد الراكب

ودخل عمر رضى الله عنه على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فراى اثره فى جنبه فدمعت عيناه فقال لـه ﷺ : « ما الذى ابكاك يا ابن الخطاب ؟ » قال : « ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بشريط فقال له : « اما ترضى يا عمر ان تكون لهم الدنيا ولا تكون لهم الآخرة ؟ فقال : بلى يا رسول الله ، قال : « فذاك كذلك » ثم قال ﷺ : « انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سافر فى يوم صائف فرُفعت له شجرة فاستظل تحتها ثم راح وتركها » (١) .

قال العكبرى : وممن زهد فى الدنيا وابصر عيوبها من ابناء الملوك ابو عقال علوان بن الحسن بن الاغلب من ملوك المغرب ، وكان ذا نعمة وملك وفتوة ، فتاب الى ربه ورجع عن ذلك وفارق نظراءه ورفض المال والأهل وهجر النساء والوطن ، وبلغ فى العبادة مبلغاً وفاق المجتهدين وعرف باجابة الدعاء ، وكان عالماً اديباً ، وصحب رجلاً يكنى « ابا هارون الاندلسى » وكان منقطعاً متبتلاً الى الله تعالى فلم ير له كبير اجتهاد فى العلم ، فبينما ابو عقال يجتهد فى بعض الليل وابو هارون نائم اذ غلبه النوم فقال لنفسه : يا نفس ما هــذا ، عابد جليل القدر ينام الليل وانا

---

(١) رواه ابو داود واحمد .

• • • • • • • • • • • • • •

اسهر كله فلو ارحتُ نفسى ، فوضع جنبه الى الأرض فرأى فى منامه شخصاً فتلا عليه قوله تعالى : ﴿ ام حسب الذين اجترحوا ﴾ (١) الآية فاستيقظ فازعاً وعلم انه المراد فايقظ ابا هارون فقال له : سألتك بالله هل اتيت كبيرة قط ؟ قال : لا يا ابن اخى ولا صغيرة عن عمد والحمد لله ، فقال ابو عقال : لهذا تنام انت ولا يصلح لمثلى الا الكدّ والاجتهاد .

قال ابو بكر الطرطوشى : مرّ بعض الملوك ببقراط الحكيم نائماً فركضهُ برجْله قال : قم ، فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه ، فقال له : الا تعرفنى ؟ قال : لا ولكنى أرى فيك طبْعَ الدواب لأنها تركض بأرجلها فغضب فقال : اتقول لى هذا وانت عبدى !! فقال له بقراط : بل انت عبْدُ عبدى قال : وكيف ذلك ؟ قال لأن شهواتك قد ملكتك وانا ملكت الشهوات ، فقال انا الملك ابن سادات الأملاك املك كذا وكذا من البلاد وكذا وكذا من الرجال وكذا وكذا من الأموال ، قال : اراك تفتخر بما ليس من جنسك ، وانما سبيلك ان تفتخر علىّ بنفسك ولكن تعال نخلع ثيابنا ونترامى فى هذا النهر ونتكلم فحينئذ يتبين الفاضل والمفضول .

وعن الجاحظ انه وجد مكتوباً على حجر : يا ابن آدم لو رايت يسير ما بقى من اجلك لزهدت فى طول ما ترجو من املك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك ، وانما يلقاك غداً ندمك وقد زلّت بك قدمك وصرمك اهلُك وحشمك وتبرّأ من صحبتك القريب ، وانصرف عنك الحبيب ، فلا انت فى عملك زائد ولا الى اهلك عائد ، وقال بعض الحكماء :

---

(١) سورة الجاثية : ٢١ .

* * * * * * * * * * * * * *

الزاهد فى الدنيا نظره عبرة وكلامه فيها حكمة ، وسكوته فيها فكرة ، يصبر عند البلاء ، ويشكر عند الرخاء ، ويرضى بجميع القضاء .

وقال يحيى بن معاذ : الزاهد الصادق قوته ما وجد ، ولباسه ما ستر ، ومسكنه حيث أدرك ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكره ، والقرآن حديثه ، والزهد قرينه ، والحزن شانه ، والتقوى ارادته ، والصمت غنيمته ، والصبر معتمده ، والتوكل حسبه ، والعقل دليله ، والعبادة حرفته ، والجنة مبلغه ، وقيل لبعض الزهاد : ما بالك تمشى على عصا ولست بكبير ولا مريض ؟ قال : انى مسافر وانها دار بلغة والعصا من آلات السفر ، وهذا كما قيل لأبى مقرع : لم تمسك العصا دائماً ؟ فقال :

وما مسكت يدى العصى عن اهانة ولا اضطرنى ضعف اليها ولا ضرر
ولكننى فى حق نفسى حبستها لأعلمها ان المقيم على سفر

وعنه ﷺ : « اذا اراد الله بعبد خيراً زهّده فى الدنيا ورغّبه فى الآخرة وبصّره عيوب نفسه » (١) وقال ايضاً : « ازهد فى الدنيا يحبك الله وفيما فى ايدى الناس يحبك الناس » (٢) وقال ايضاً ﷺ : « من اراد ان يؤتيه الله علماً بغير تعليم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا » (٣) وقال ﷺ : « من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه ابو داود والبيهقى .
(٣) رواه ابو داود .

وهــو ترك الحــرام وقيــل : حبُّهــا ولذّاتهــا . . . .

المصائب » (١) وقيل : ما زهد الرجل فى الدنيا الا نطقت الحكمــة على لسانه ، وعن وهب : ان للجنة ثمانية ابواب ، فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون : وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين فى الدنيا والعاشقين للجنة ، وعن يحيى بن اكثم : اذا رايت الزاهد يستريح الى طلب الرخص فاعلم انــه قد بدا له فى الزهد (و) اعلم ان الزهد فى اللغة ترك الشىء خيراً او شراً طاعة او معصية او غير ذلك ، والزهد بضم الزاى واسكان الهاء والزهادة بمعنى واحد ، وقال الخليل : الزهادة فى الدنيا والزهد فى الدين ، والمعنى فى ذلك ضد الرغبة فى الشىء ، الا انه يقال : زهــد فيه بمعنى اعرض عنــه ، كما يقال : زهد عنه ، واما فى الشرع فالزهد كالزهادة (هو ترك الحرام) من المــال والافعال كالزنى وسائر المعاصى والاقوال المحرمة والاعتقادات المحرّمة ، فمن فعل كبيرة فليس زاهداً ، ولو ترك المــال راساً ، ويلتحق بالحرام الشبه وحب الجاه ، فمن احب الجاه او يتبع الشبه فليس زاهداً ، وقال ابراهيم بن ادهم : الزهد ثلاثة ، زهــد فرض ، وهو الزهد فى الحرام ، وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال ، وزهد سلامة وهو الزهــد فى الشبهات .

(وقيل :) الزهد شرعاً هو ترك (حبُّها) اى حب الدنيا بذاتها كان يحب الحياة لا الطاعة ، بالجر بمضاف محذوف للعلم به ، وتقدم ذكره او بالرفع نيابة عنه (ولذّاتها) بجرّ لذّات عطفاً على « ها » بلا اعادة الجار او بالنصب عطفاً على محل « ها » لانها مفعول به مضاف اليه ، او بالرفع نيابة عن المضاف اى وحب لذّاتها او يعطف على حب اى وترك

---

(١) رواه ابو داود وابن حبان .

وايثارها وفرح بنيلها وحزن عن فائتها وكل شاغل عن الآخرة • •

لذاتها وان قدرنا وحب لذاتها فالتقدير ايضا وترك حب لذاتها (وايثارها) اى اختيار امورها على امور الآخرة (وفرح بنيلها) اى بنيل امرها (وحزن عن فائتها) اى عن فائت من امورها وايثار معطوف على حب ، وكذا فرح وحزن فيجرن ان جر ويرفعن ان رفع وكذا لفظ كل بعد هذا فكأنه قال : ترك حبها وترك حب لذاتها او وترك لذاتها وترك ايثارها وترك فرح بنيلها وترك حزن عن فائتها (و) ترك (كل) امر (شاغل عن) امر (الآخرة) واذا لم يترك بعضاً من ذلك فليس بزاهد ، ولو ترك الباقى ، مثل ان يترك اللذات كلها وما ذكر كله الا لذة واحدة من الحلال فليس بزاهد •

ولقد حكى عن ابراهيم الخواص [قال] : كنت اعتقدت ان لا آكل شيئاً من الشهوات الا الرمان فاجتزت برجل به علة شديدة واذا الزنابير تقع عليه وتاخذ من لحمه فسلمت عليه فقال : وعليك السلام يا ابراهيم وعرفنى من غير تقدم معرفة ، فقلت له : أرى لك حالا مع الله فلو دعوت الله حتى يخلصك من هذه الزنابير ، فقال لى : وارى لك حالا مع الله يا ابراهيم ، فلو دعوت الله حتى يخلصك من شهوة الرمان فان لسع الزنابير على النفوس ايسر من لدغ الشهوات على القلوب •

وعن ابن عيينة : الزهد ثلاثة احرف زاى وهاء ودال ، فالزاى ترك زينة الدنيا ، والهاء ترك هواها ، والدال ترك الدنيا باسرها حلالها وحرامها الا ما لا بد منه من حلالها ، واذا كان هكذا سمى زاهداً ، وقيل لبعض العلماء : ما الزهد ؟ قال : التقوى ، وعن بعض الحكماء : الزهد زهدان : زهد فى الدنيا وزهد فى الرياسة ، ومن زهد فى الدنيا ولم يزهد فى الرياسة لم ينفعه زهده فى الدنيا ، وعلى زهد فى الرياسة فهو زاهد فى الدنيا وفيه نظر لبعد تسميته زاهداً اذا ترك الرياسة وانهمك فى جمع المال الحرام واتباع الشهوات او يفعل من ذلك قليلاً •

وعن عمر رضى الله عنه : الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن ، وهذا تعريف الزهد او اخبار بحال الزهد ، قال الدارانى : ليس الزاهد من نفى هموم الدنيا واستراح منها انما الزاهد من زهد فيها وتعب فيها للآخرة ، وقيل لبعضهم ما راس الزهـادة ؟ قال : أخْذُ الاشـياء من حلّها ووضعها فى حقها ، وعن بعض الحكماء : الزهد فى الرياسة اشـد من الزهـد فى الذهب والفضة لانهما قـد يبذلهما المرء فى طلب الرياسة ، وقال الدارانى : ما شغلك عن الله من اهل ومال فهو عليك مشئوم ، فالزهد عندنا يعنى عند العارفين بالله تعالى : ترك كل شىء يشغلك عن الله عز وجل . وقيل ليحيى بن اكثم : متى يكون الرجل زاهداً ؟ قال : اذا بلغ حرصه فى الدنيا كحرص الحريص على طلبها .

وسئل رسول الله ﷺ عن الزهد فقال : « اما انه ليس باضاعة المـال ولا بتحريم الحلال ، ولكن ان تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك ، وان يكون ثواب المصيبة ارجح عندك » (١) وقيل : الزهد لغة ، الاعراض عن الشىء احتقاراً له ، وشرعاً اخذ قدر الضرورة من المـال المتيقن الحل فهو اخص من الورع اذ هو ترك المشتبه وقيل : ترك الدنيا عن قـدرة ، ولقد قال الطيبى : لا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه ، وقيل لابن المبارك : يا زاهد ، قال : الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، اما انا ففيم زهدت ؟ وقيل : الزهد تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوة ، وقال ابو يزيد : ما غلبنى أحـد ما غلبنى شاب من اهل بلخ مر علينا حاجًا فقال : يا ابا يزيد ما حدُّ الزهـد عندكم ، فقلت : اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا ، فقال : هكذا كلاب بلخ عندنا ، قلت : فما حدُّ الزهـد عندكم ؟ فقال : اذا فقـدنا شكرنا

(١) رواه ابو داود والطبرانى وان ماجه .

* * * * * * * * * * * * * *

واذا وجدنا آثرنا . وقيل : الزهد النظر الى الدنيا بعين احتقار فتصغر في عينيك ويسهل عليك الاعراض عنها ، وقيل : الزهد قصر الامل والاياس مما في ايدى الناس ، ومن ثم قال الضحاك : قيل يا رسول الله من أزهد الناس : قال : « من لم ينس القبر والبلاء وترك فضول زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ومن لم يعد من أيامه غداً ، وعد نفسه من الموتى » (١) ، وقيل الزهد ان لا تحزن على ما فات من الدنيا ولا تفرح بما اتاك منها .

وأحسن حدوده كما قال ابن القيم : انه فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد ، وهذا زهد العارفين ، وعلامة زهد المقربين ، وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيرهما اذ ليس لصاحب هذا الزهد الا الوصول الى الله تعالى ، والقرب منه ، والحامل على الزهد اشياء منها استحضار الاخرة والحساب ، لقى رسول الله ﷺ حارثة فقال له رسول الله ﷺ : « كيف اصبحت يا حارثة ؟ » قال : اصبحت والله مؤمناً حقاً ، قال رسول الله ﷺ : « انظر ما تقول فان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك ؟ » قال : عزفت نفسى على الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها ، وسهرت ليلى وظمأت نهارى وكانى انظر الى عرش ربى بارزاً وكانى انظر الى اهل الجنة في الجنة يتمتعون والى اهل النار في النار يعذبون قال : « يا حارثة عرفت فالزم » . قال رسول الله ﷺ : « من سره ان ينظر الى رجل نور الله قلبه بالايمان فلينظر الى هذا » (٢) .

ومنها استحضار أن لذاتها شاغلة للقلوب عن الله تعالى وموجبة لطول الحبس والوقوف للحساب والسؤال عن شكر النعم ، ومنها كثرة الذل والتعب

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه ابو داود .

ولا يزول اسم زاهد عن مشتغل بمـا يحتاجه او بمـا اجبر عليه ان لم يكن حبّهـا فى قلبـــه . . . .

فى تحصيلها وسرعة تقلبها ومزاحمة الأرذال عليها ، ومنها حقارتها عند الله ، وعن بعض العلماء : من اوصى بثلث ماله لأعقل الناس فانه يصرف فى الزهـاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغتّروا بالأمل .

(ولا يزول اسم زاهد عن مشتغل بما يحتاجه) دون اسراف ودون تكاثر مثل ان يشتغل فى كسب مؤنته ومؤنة من تلزمه مؤنته ، او فى جمع ما يقضى به حقوق الله تبارك وتعالى او حقوق العباد كزكاة لزمته أو حج لزمه أو صداق لزمه او دَيْن ولو لم يعرف ربه فيعطيه للفقراء وكفارة فيشتغل بكسب ذلك ان لم يجد ما يقضى به او وجد ولكن ضاقت عليــه المعيشة بل يزول عنه اسم زاهد بتضييع ماله وترك حوطته بان يتركه حيث تفسده الامطار او الريح أو الشمس أو الدابة او غيرهـا او حيث يسرق او نحو ذلك ، ويزول عنه بترك حفظ نفسه او من يلزمه حفظه والردّ عنه ويزول عنه بترك عياله او من ازمه الانفاق عليه بلا انفاق فكيف يكون بترك ذلك زاهداً مع انه يكون بتركه غير زاهـد .

(او) لا يزول اسم زاهد عن مشتغل (بما اجبر عليه) مما يحل له فعله فى السعة او فى الضرورة (ان لم يكن حبها فى قلبه) مثل أن يجبره جبار او ابوه ولو بضرب على جمع مال من حلال او على قول : الهين اثنين ، او على افطار فى رمضان ، او يجبره على جمع المـال صاحبه او صديقه او ابوه او امه او من تشقّ عليه مخالفته حيث لا ضرب ولا قتل ، وان اجبره جبّار او غيره على مـا لا يجوز فعله ولو فى الاضطرار فترك فعله زهد وفعله رغبة كالزنى والربا والظلم ، وكذا الاجبار على ترك ما لا يترك ، ولو فى الاضطرار ، فان تركه فليس بزاهـد كترك الصلاة الواجبة ، وان

او بخدمة والد او سيد او لموصل لنفع اخروى او دفع ضره وان

عن الغير وذمت الرغبة فيها كالشحّ بها وحمد شحيح فى . . .

اجبر على فعل مكروه فتركه زهد ولكن فعله لا يكون رغبة ، وان اجبره على ترك سنة لا تجب ففعلها زهد وتركها لا يكون رغبة مهلكة .

(**او**) لا يزول اسم زاهد عن مشتغل (**بخدمة والد**) او ام او جدّ او جدة (**او سيد**) او زوج او من له عليه حق بلا حب للدنيا (**او لموصل**) اللام بمعنى الباء اىْ او بامر موصل او للتعليل اى لا يزول عنه اسم زاهد لأمر موصل (**لنفع**) اى الى نفع (**اخروى**) كخدمة مال ليتصدق به او ليحجّ به نفلاً او ينفقه فى غزو العدو او ينفع به محتاجاً (**او دفع ضرّه**) عطف على موصل (**وان عن الغير**) والهاء فى ضره عائدة للأخروى اى لا يزول عنه اسم زاهد باشتغاله بدفع ضر الأمر الأخروى اى الأمر الذى يضر فى الآخرة فعله فيدفع وقوعه او يضر فى الاخرة تركه فيدفع تركه قيل : لفظ غير فى قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ نعت للذين انعمت عليهم ، وانها اشبهت المعرفه باضافتها الى المعرفة فعوملت معاملتها ، ووصف بها المعرفة ، ومن هنا اجترا بعضهم فادخل عليها الألف واللام ، لأنها لما اشبهت المعرفة باضافتها الى المعرفة جاز ان يدخلها ما يعاقب الاضافة وهو الألف واللام ، ولك ان تمنع الاستدلال وتقول : الاضافة هنا ليست للتعريف بل للتخصيص والألف واللام لا تفيد تخصيصاً فلا تعاقب اضافة التخصيص مثل : سوى وحسب ، فانه يضاف للتخصيص ، ولا تدخله الألف واللام وكل ما يفعله الانسان ولا يخرج به عن الزهد فانه يامر به (**وذمّت الرغبة فيها**) اى فى الدنيا (**كالشحّ بها**) اى كما ذم الشح بالدنيا ، والرغبة ترك الزهد فى حد ما مر فى الزهد (**وحمد شحيح فى**

دينــه وليس من الرغبة فيهــا حبّ البقــاء فيهــا لنفع أُخــروى ولا من الزهــد فى الآخرة ولا بارادة مبـاح احتيج اليـــه . . . . . .

دينــه) يقال : زيد شحيح فى دينه او بدينه أو على دينه كل حمـد لزيد ووصف له بانه محافظ على دينه لا يتركه للضيعة (**وليس من الرغبة فيهـا حب البقاء فيها لنفع أخروى**) كحب البقاء فيها ليزيد من الاعمال الصالحة كالصلاة والصوم والحج والصدقة والتعلم والتعليم مخلصاً فى ذلك وليطول عمره فى أداء الفرض كالصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة والامر والنهى والغزو والدعاء بنصر المسلمين على المشركين وغير ذلك أو ليؤدى التباعات ويتخلص منها .

(**ولا من الزهد فى الآخرة**) عطف على قوله : من الرغبة فيها أى ليس من الرغبة فيها ولا من الزهد فى الآخرة حب البقاء فيها اى فى الدنيا وانمــا أخّره رحمه الله لئلا يتوهّم متوهّم ما أن الضمير فى فيها للآخرة وأما حب البقاء فى الدنيا للمباح أو للمكروه أو للمعصية فرغبة فيها وزهد فى الآخرة ، وكذا كراهة لقاء الله لظن السوء بالله أو لسوء عمله مع اصراره عليه واما مع الندم والرجاء فلا بأس (**ولا**) يكون الانسان راغباً فى الدنيا (**باردا مباح**) او أراد : ولا باشتغال بارادة أى بمقتضى ارادة مبـــاح (**احتيج اليه**) أى احتاج اليه ذلك الانسان ولا بالاشتغال به كأكل وشرب ولبس وركوب وتزوج وتسر من حـلال بلا اسراف ولا مباهاة فهـذا فى استعمال المـال فى الانتفاع وقوله سابقاً : عن مشتغل بمــا يحتاجه فى جمع المـال فلا يتكرر معه .

قال ابو بكر الطرطوشى فى الباب الحادى والثلاثين : الشح فى كلام العرب البخل ومنع الفضل ، وكان النبى ﷺ يدعو : « اللهم انى اعوذ بك من شح نفسى واسرافها ووسواسها » (١) وروى جابر ان النبى ﷺ قال :

---

(١) رواه مسلم .

• • • • • • • • • • • • • •

« اتقوا الشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا الدماء ويستحلّوا محارمهم » (١) ، وقد فرّق بينهما مفرقون فقالوا : الشح اشد من البخل فان البخل اكثر ما يقال فى النفقة وامساكها ، قال الله تعالى : ﴿ سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ﴾ (٣) وقال فى الشح : ﴿ اشحّة على الخير اولئك لم يؤمنوا ﴾ (٤) وقال : ﴿ ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ (٥) فالشح ينبىء عن الكزازة والامتناع فهو يكون فى المال وفى جميع منافع البدن ، وقال ابن عمر : ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح أن يطمع الى ما ليس له . ولهذا قال ابن المبارك : سخاء النفس عما فى ايدى الناس افضل من سخاء النفس بالبدن . وقال رجل لابن مسعود : انى أخاف ان اكون قد هلكت ، سمعت الله تعالى يقول : ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى شىء ، فقال : ليس ذلك بالشح الذى ذكره الله ولكن الشح ان تاكل مال أخيك ظلماً . ولكن ذلك البخل وليس الشح البخل ففرق بينهما كما ترى ، وقال طاووس : الشح ان يبخل المرء بما فى أيدى الناس والبخل ان يبخل المرء بما فى يديه ، وروى انس عن النبى ﷺ : « برىء من الشح من أدى الزكاة واقرى الضيف واعطى فى النائبة » (٦) وقال ابن زيد : من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه ولم يدعه الشح ان يمنع شيئاً مما امره الله به فقد وقاه شح نفسه ، وقال ابو التياح الأسدى : رايت رجلاً فى الطواف

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة آل عمران : ١٨٠ .
(٣) سورة محمد : ٣٨ .
(٤) سورة الاحزاب : ١٩ .
(٥) سورة الحشر : ٩ .
(٦) رواه ابو داود .

* * * * * * * * * * * * * *

يقول : اللهم قنى شح نفسى ، لا يزيد على ذلك ، فسألته عن ذلك فقال : اذا وقيت شح نفسى لم أسرق ولم أزن ولم أقتل ، فاذا الرجل عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنـــه .

واعلم ان البخل يكون من سوء الظن بالله ان لا يخلف ولا يثيب ، وهذا يوهن التصديق بما تكفل الله به ويطرق الخلل والامتناع من جميع أوامر الله التى بين العبد والخالق وبين الخلق فى ترك معونتهم والنصح لهم ، وقال كسرى لأصحابه : أى شىء أضر بابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، فقال كسرى : الشح أضر من الفقر لأن الفقير اذا وجد شبع أبداً والشحيح لا يشبع أبداً أ هـ كلام الطرطوشى ، وكذلك حكاه الشيخ اسماعيل فى « القناطر » وقيل فى البخل والتقتير : [هو] ملكة امساك المـــال حيث يجب بذله بحكم الشرع أو المروءة ، والمروءة ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات ، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال من الاقارب والأجانب والغنى والفقير ، ونحـــو ذلك .

واشد البخل الامساك عن نفســه بان لا تسمح ان يأكل أو يلبس أو يتداوى قيل : يسمى شحا ، ويقال : المروءة ست خصال : ثلاث فى السفر وثلاث فى الحضر ، ففى الحضر : تلاوة القرآن ، وعمارة مســاجد الله ، واتخاذ الاخوان فى الله ، وفى السفر : بذل الزاد ، وحسن الخلق ، والمزاح فى غير معصية الله سبحانه وتعالى . وقال قوم : البخل منع الواجب ، فمن ادى الواجب فليس بخيلاً ، وقال آخرون : البخل استصحاب العطية ، واعترض القولان بان من يرد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز بنقصان حبة أو نصفها فلا يعد بخيلاً بالاتفاق ، وكذا لا يكون بخيلاً باستصعاب العطية دون الامساك ، قال طلحة وهو جواد نجد بأموالنا ما يجد البخيل

* * * * * * * * * * * * * *

ولكن نتصبر وقال الله عز وجل : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون ﴾ (١) الآية ، وقال : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون ﴾ (٢) الآية وقال ﷺ : « طعام الجواد دواء ، وطعام البخيل داء » رواه الدارقطنى عن ابن عمر ، ويروى انه ﷺ سمع رجلاً يقول : الشحيح اعذر من الظالم فقال : « لعن الله الشحيح ولعن الظالم » وقال ﷺ « لا يدخل الجنة بخيل ولا خبٌ ولا خائن ولا سيء الملكة ولا جبّار ولا منّان » وروى الترمذى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » وقال ﷺ : « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه » (٣) وانما قيده بالمطاع لأن الشح ملازم للنفس فاخرج المعصى واخرج بالمتبع الهوى المعصى ، وقال ﷺ : « ان الله تعالى يبغض ثلاثة : الشيخ الزانى والبخيل المنان والمعيل المختال » (٤) اى الفقير المختال وقال ﷺ : « مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثدييهما الى تراقيهما ، فاما المنفق فلا ينفق شيئاً الا اتسعت على جلده حتى تخفى بنانه ، واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئاً الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها فلا تتسع » (٥) وقال ﷺ : « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق » رواه الترمذى عن ابى الدرداء وقال ﷺ فى دعائه : « اللهم انى اعوذ بك من البخل والجبن وان أرد الى ارذل العمر » وقال ﷺ : « اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش ، واياكم

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٠ .

(٢) سورة النساء : ٣٧ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه البيهقى .

. . . .

والشح فانه أهلك من كان قبلكم الشح ، أمرهم بالكذب فكذبوا ، وامرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » ، وقال ﷺ للأنصار : « من سيّدكم ؟ » قالوا : الجد بن قيس على بخل به فقال :« وأىُّ داء أدوى من البخل ؟ » قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « ان قوماً نزلوا بساحل البحر لبخلهم عن نزول الأضياف بهم فقالوا : ليبعد الرجال منا عن النساء حتى يعتذر الرجال الى الأضياف ببعد النساء وتعتذر النساء ببعد الرجال ، ففعلوا وطال ذلك بهم فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء » ؛ وفى رواية « يا بنى سلمة من سيّدُكم » ؟ قالوا : سيدنا الجد بن قيس الا انه رجل فيه بخل ، فقال « أى داء أدوى من البخل ؟ » ولكن سيدكم عمْرو بن الجموح » وفى رواية قالوا : سيدنا الجد بن قيس قال : « بم سوّدتموه ؟ » قالوا : لأنه اكثرنا مالاً وانا على ذلك لنصفه بالبخل قال : « واى داء أدوى من البخل ؟ ليس ذلك بسيدكم » قالوا : فمن سيدنا يا رسول الله قال : « سيدكم بشر بن البراء » وقال : « شر ما فى الرجل شح هالع وجبْن خالع » رواه أبو داود عن أبى هريرة ، وقتل شهيد على عهده ﷺ فبكته باكية وقالت : واشهيداه فقال : « وما يدريك انه شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه » وقال جبير : بينما نسير مع رسول الله ﷺ معه الناس مقبلة من حنيْن اذ علقته ﷺ الأعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف فقال : « اعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » وقال عمر رضى الله عنه قسم رسول الله ﷺ قسماً فقلت : غير هؤلاء كانوا احق به منهم ، فقال : « يخيروننى بين أن يسألونى بفحش أو يبخلونى ولست ببخيل » وقال ابو سعيد الخدرى : دخل على رسول الله ﷺ رجلان فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيا عمر فاثنيا وقالا معروفاً وشكرا ما صنع بهما ، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فاخبره بما قالا ، فقال ﷺ : « لكن فلاناً اعطيته ما بين عشرة الى مائة

• • • • • • • • • • • • • •

ولم يقل ذلك ، ان احدكم يسالنى فينطلق بمسالته متابطها وهى نار » فقال عمر : فلم تعطيهم ما هو نار ؟ فقال : « يابون الا ان يسالونى ويابى الله لى البخل » وقال ﷺ من حديث : « وخلق الله البخل ومقته وجعل له راسا راسخا فى اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر فى النار » (١) وقال من حديث : « والبخل شجرة تنبت فى النار ولا يلج النار الا بخيل »(٢) وقال ﷺ : « ان الله يبغض البخيل فى حياته السخى عند موته » (٣) وقال ﷺ : « السخى الجهول احب الى الله من العابد البخيل » (٤) اى سخاؤه خير من عبادة العابد البخيل ، وعن ابى هريرة عن رسول الله ﷺ : « لا يجتمع الشح مع الايمان فى قلب عبد » (٥) وقال ﷺ : « لا ينبغى للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا » (٦) وقال ﷺ : « يقول قائلكم : الشحيح اعذر من الظالم واى ظالم اظلم عند الله من الشحيح ، حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل » (٧) وروى انه كان ﷺ يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول : بحرمة البيت الا غفرت لى ذنبى فقال له : « وما ذنبك صفه لى ؟ » قال : هو اعظم من ان اصفه لك قال : « ويحك ذنبك اعظم ام الأرض ؟ فقال : بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال : « ذنبك اعظم أم البحار ؟ » فقال : بل ذنبى اعظم يا رسول الله ، قال : « ذنبك

---

(١) رواه مسلم والترمذى .

(٢) رواه ابو داود .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه البخارى ومسلم وابو داود .

(٦) رواه البخارى ومسلم وابو داود .

(٧) فى الاصل « اشخيل » وليس بصحيح .

اعظم ام السموات ؟ » قال : بل ذنبى اعظم يا رسول الله قال : « ذنبك اعظم أم لله » ؟ : قال : بل الله أعظم وأعلى فقال : « ويحك ، فصف لى ذنبك » فقال : يا رسول الله انا رجل ذو ثروة من المال وان السائل لياتينى يسالنى وكانه استقبلنى بشعلة نار ، فقال له رسول الله ﷺ : « اليك عنى لا تحرقنى بنارك ، فوالذى بعثنى بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام وصليت الف عام وبكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار وتسقى بها الأشجار ثم متّ وانت لئيم لكبّك الله فى النار ، ويحك أما علمت أن البخل كفر ، والكفر فى النار ، ويحك أما علمت ان الله تعالى يقول : ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ (١) وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال : « تزّينى ، فتزينت » ثم قال لها : « اظهرى انهارك » فاظهرت عين السّلسبيل وعيّن الكافور وعين التسنيم ففجر منها فى الجنان ، واظهرت أنهار الخمر وأنهار اللبن وأنهار العسل فقال لها : « اظهرى سررك وحجالك وكراسيّك وحليّك وحللك وحورك » فاظهرت فنظر اليها نقال : « تكلمى » فقالت : طوبى لمن دخلنى فقال الله عز وجل : « وعزتى لا اسكنتك بخيلاً » وقالت اخت عمر بن عبد العزيز [لبخيل](٢): لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته ، وعن حكيم : البخل جلباب المسكنة ، وعن بعض البلغاء : البخيل حارس نعمته وخازن ورثته ، قال شاعر :

اذا كنت جمّاعاً لمالك ممسّكا ... فأنت عليه خازنٌ وأمينٌ
تؤدّيه مذموماً الى غير حامد ... فيأكله عفواً وأنت دفينُ

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم وابو داود .
(٣) فى الأصل « اخبخيل » وليس بصحيح .

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

وعن بعض الأدباء : البخيل ليس له خليل ، قال ابن المنذر : يقال اذا اراد الله بقوم شراً امّر اشرارهم وجعل ارزاقهم بايدى بخلائهم ، قال الشعبى لا ادرى ايهما ابعد غوراً فى جهنم ؛ البخيل ام الكذوب ، وقال على فى بعض خطبه : سياتى على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما فى يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ (١) قيل ورد على انو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندى : تكلم فقال : خير الناس من الفى عند السؤال سخياً وعند الغضب وقوراً ، وفى القول متانياً وفى الرفعة متواضعاً وعلى كل ذى رحم مشفقاً ، وقام الرومى فقال : من كان بخيلاً ورث عدوه ماله ، ومن قل شكره لم ينل النجح ، واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ، ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه ، وقال شاعر يخاطب بخيلاً يحب الثناء :

اراك تؤمل حسن الثناء ولم يرزق الله ذاك البخيلا

وكيف يسود اخو بطنة يمن كثيراً ويعطى قليلا

وعن الضحاك فى قوله تعالى : ﴿ ان جعلنا فى اعناقهم اغلالا ﴾ (٢) اى بخلاً امسك الله ايديهم عن الانفاق فى سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى ، وقال كعب : ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يقولان : اللهم عجل للممسك تلفا وللمنفق خلفاً ، وعن ابى الدرداء : ما من يوم غربت شمسه الا وملكان يناديان اللهم عجل للممسك تلفا وللمنفق خلفا ، وقال ﷺ :

---

(١) سورة البقرة : ٢٣٧ .

(٢) سورة يس : ٨ .

. . . .

« البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار » (١) وبلغ ، رسول الله ﷺ عن الزبير امساك فجذب عمامته اليه فقال : « يا زبير انا رسول الله اليك والى غيرك ، يقول : انفق أنفق عليك ولاتوك فأوكى عليك » اى لا تربط على مالك امساكا له ، قال الاصمعى : سمعت أعرابيا يصف رجلا ويقول : لقد صغر فى عينى لعظم الدنيا فى عينه ، فكانما يرى السائل اذا رآه ملك الموت اذا أتاه ، قيل : كان عبد الله بن الزبير من البخلاء وتكفيه اكلة فى ايام ويقول انما بطنى شبر فى شبر فما عسى ان يكفيه ؟ فقال فيه ابو وجرة مولى الزبير :

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد	ابقيت خيراً كثيراً للمساكين
فان تصبك من الايام جائحة	لم نبك منك على دنيا ولا دين
ما زلت فى سورة الاعراف تدرسها	حتى فؤادى كمثل الخز فى اللين
انى امرؤ كنت مولاه فضيعنى	يرجو الفلاح لعبد حق مغبون

قال ابو حنيفة : لا اعدل بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصاء فياخذ اكثر من حقه خيفة ان يغبن ، فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة ، وقال ﷺ : « ما استقصى كريم قط » (٢) وعن الجاحظ : ما بقى من اللذات الا ثلاث ذم البلاء وأكل القديد وحك الجرب ، وقال بشير بن الحرث : ان البخيل لا غيبة له ، ومدحوا امراة عند رسول الله ﷺ فقالوا : صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال : « فما خيرها اذا ؟ » وقال بشير : النظر الى البخيل يقسى القلب ولقاء البخيل كرب على قلب المؤمن ، وقال يحيى

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الترمذى .

* * * * * * * * * * * * * *

ابن معاذ : يأبى القلب للأسخياء الا حبا ولو كانوا فجّاراً ، ويأبى للبخلاء الا بغضا ولو كانوا ابراراً ، وقال ابن المعتز : ابخل الناس بماله أجْوَدُهم بعرضه ، وحكى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لقى ابليس فى صورته فقال : « يا ابليس أخبرنى بأحب الناس اليك وأبغضهم عندك » فقال : أحب الناس الى المؤمن البخيل وابغضهم الفاسق السخى ، قال : ولم ؟ قال : لأن البخيل قد كفانى بخله ، والفاسق السخى اخاف ان يطلع الله عليه فى سخائه اى يرحمه بسخائه ويتوب عليه فيقبل ، ثم ولىّ وهو يقول : لولا انك يحيى ما اخبرتك .

ويقال : ضيف البخيل امن من التخة ، وقيل لامرأة : ما الجرح الذى لا يندمل ؟ قالت : حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده ، قيل لها : فما الذل قالت : وقوف الشريف الى باب الدنىء ثم لا يؤذن له قيل لها : فما الشرف ؟ قالت اتخاذ المنن فى رقاب الرجال .

واعلم ان البخل ذريعة الى كل مذمة وقد يحدث للمرء بسببه اربعة اخلاق ناهيك بها ذماً : الحرص ، والشره ، وسوء الظن ، ومنع الحقوق ؛ فالحرص شدة الكدح والاسراف فى الطلب ، والشره استقلال الكفاية والاستكثار لغير حاجة ، وعنه ﷺ : « من لا يجديه من العيش ما يكفيه لم يجد ما عاش ما يغنيه » (١) قال حكيم : الشره من عزائم اللوم ، واما سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها اهل فان كان بالخالق كان شكاً يؤل الى الضلال ، وان كان بالمخلوق كان استخانة يصير بها خوانا مختاناً لأن ظن الانسان بغيره بحسب ما يراه فى نفسه فان وجد فيها خيراً ظنه بغيره ، وان رأى سوءاً اعتقده فى الناس .

---

(١) رواه الدارقطنى .

• • • • • • • • • • • • • •

وفى المثل : كل اناء ينضح بمـا فيه ، ومعنى قولهم من الحزم ظن السوء بالناس ترك الطمأنينة والاسترسال اليهم ، وأما منع الحقوق فان نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها ومحبوب البخيل المـال فان سبب البخل حب المـال ، ولحبه سببان ، الأول حب الشهوات التى لا توصل الا بالمـال مع طول الأمل ، فان قصر امله وكان له أولاد قاموا فى قلبه مقام طول الأمل ، وجاء فى الحديث : « الولد مبخلة مجبنة مجهلة » فان انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بضمان الرب عز وجل قوى البخل لا محالة ، الثانى : ان يحب عين المـال ويعشقه ويتلذذ بكنزه وقد لا تدعه نفسه لذلك أن يداوى مرضه فضلاً عن أن يزكى ولو كان يترك بعده الوفا ولو كان شيخاً كبيراً لا اولاد له ، ويعلم ان ماله بعـده يضيع وتأخذه أعداؤه ، فعلاج حب الشهوات بالقناعة باليسير والصبر ، وعـلاج الأمل ذكـر الموت ، وعلاج الالتفات الى الولد أن يعلم ان المتكفل بهم الله ، وكم ولد غنى وأبوه فقير ، وانه يعذب به فى الآخرة وينتفع به ولده أو يستعين به على معصية ، وان يتفكر فى شؤم البخل كقصة ثعلبة وقد ذكرتها فى « هميان الزاد الى دار المعاد » عند قوله تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله ﴾ (١) وأن يتفكر فى المقصود بالمـال فانه التعفف به وادخاره للآخرة ، وفى نفرة الطبع عن البخلاء ويتكلف العطاء ولو يسيراً بتدريج ، ويتكلف مفارقة المـال مـع الجهد حتى يميت من نفسه صفة البخل كما أن العاشق يتكلف زوال العشق بالسفر عن المعشوق قال وهب : من تخلّق بخلق أربعين صباحاً جعل الله ذلك طبيعته ، ومن عرف آفة المـال لم يأخذ الا قدر حاجته ولا يتعب نفسـه بكسب الزائد أو امساكه فيكون كمن على نهر لا يبخل بالمـاء لقناعته بقدر

---

(١) سورة التوبة : ٧٥ .

• • • • • • • • • • • • • •

الحاجة ، وحمل الى ملك من الملوك قدح من فيروزج مرصّع بالجواهر لم ير له نظير ففرح به فرحاً شديداً . فقال لبعض الحكماء عنده : كيف ترى هذا ؟ قال : اراه مصيبة وفقراً ، قال : كيف ؟ قال : ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها ، وان سرق صرت فقيراً اليه ولم تجد مثله ، وقد كنت قبل ان يحمل اليك فى امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوماً فعظمت مصيبة الملك فيه ، قال : صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا .

وروى الطبرانى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ : « صلاح اول هذه الأمة بالزهادة واليقين وهلاك آخرها بالبخل والأمل » وروى الطبرانى عن عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ قال : « ان الشيطان يقول : « ان الشيطان يقول : لن يسلم منى صاحب المال من احدى ثلاث اغدو عليه بهن واروح : اخذه من غير حله ، وانفاقه فى غير حقه ، واحببه اليه فيمنعه من حقه » وعن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « ان الشيطان يقول : لن يسلم منى صاحب المال من احدى ثلاث اغدو عليه بهن واروح : اخذه من غير حلة ، وانفاقه فى غير حقه ، واحببه اليه فيمنعه من حقه » وعن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل » اى لا الغريب يقاسى الذل والمسكنة ويعلق قلبه بالرجوع الى وطنه اى : فلا يتعلق قلبك بالدنيا الا مثل ما يتعلق قلب الغريب بما ليس له فى غربته ، ولا تركن الى الدنيا بالبقاء واتخاذها موطناً واعرض عنها ولا تاخذ منها الا مقدار الضرورة المعينة على الآخرة كما ان عابر السبيل لا يتخذ فى مسيره فى الفلاة داراً ولا حماماً ولا جناناً ولا ينازع احداً على موضع من الفلاة لعلمه بقله اقامته فى السفر ولو حط رحله ، وما يوجد فى الدنيا انما هو امتحان قال الله تعالى : ﴿ انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً ﴾ (١) فهو كعبد ارسله سيده الى جماعة فى غير

---

(١) سورة الكهف : ٧ .

بلده شأنه ان يبادرها ويرجع ، ودخل رجل على أبى ذر رضى الله عنه فقال له : يا ابا ذر اين متاعكم ؟ فقال : ان لنا بيتاً نوجه اليه متاعنا ، قال : لابد من متاع ما دمت هاهنا ، قال : نعلم ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه .

ومما يعين على ترك الدنيا قصر الأمل فيها ولذلك قيل : قصر الأمل فى الدنيا اصل كل خير كما ان تطويله اصل كل شر ، من لا يقدر ان يعيش الى غد لا يسعى لمئونة غد ولا يهتم بها فيصير حراً من رق الحرص والطمع والذل وخدمة ابناء الدنيا ، ويكفيه اقل شىء ، ومن قدر انه يعيش عشرين سنة مثلا فانه يصير عبداً لهذه الأوصاف الذميمة ولا يكفيه شىء من الدنيا ولا يملأ بطنه او عينه الا التراب ، قال الشاعر :

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضى ... فانك لا تدرى اتصبح ام تمسى

فليس الغنى من كثرة المال انما ... يكون الغنى والفقر من قبل النفس

وذكر أبو بكر الطرطوشى والعكبرى انه كان فى بلاد الروم مما يلى الأندلس رجل نصرانى وقد بلغ من التخلى عن الدنيا واعتزال الخلق ولزوم الجبال والسياحة فى الأرض الغاية القصوى ، فورد على المستعين ابن هود فاكرمه ثم اخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخزائن امواله وما حوته من الحمراء والبيضاء واحجار اليواقيت وأمثالها والجوارى والحشم والسلاح ، فاقام فى ذلك اياماً ولما انقضى قال له : كيف رايت ملكى ؟ قال : رايت ملكاً عظيماً ولكن يعوزك فيه خصلة ان انت قدرت عليها فقد انتظم ملكك ، وان لم تقدر عليها فهذا شبه لا شىء ، قال : وما تلك

• • • • • • • • • • • • • •

الخصلة ؟ قال : تعمد فتصنع غطاء عظيماً حصيناً قوياً يكون مساحته قدر البلاد ثم ركّبه عليها حتى لا يجد ملك الموت اليك مدخلاً ، فقال المستعين : سبحان الله او يقدر البشر على هـذا ؟ فقال العلج : أتفخر بما تتركه غداً ؟ ومثل من يفخر بما يفنى كمن يفخر بما يرى فى المنام والله اعلم .

قال ابن عمر : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبىّ فقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » [رواه البخارى] وزاد الترمذى : « وعـد نفسك من اهل القبور » ، ويروى بافراد منكبى وتثنيته بأن تشدد اليـاء والمنكب مجمع العضد والكتف وفيه مس العالم او الواعظ بعض أعضاء المتعلم أو الموعوظ عند التعليم او الوعظ كما قال ابن مسعود : علمنى رسول الله ﷺ التشهـد كفّى بين كفيه وحكمة ذلك ما فيه من التأنيس والتنبيه والتذكير اذ محال عادة ان ينسى من فعل معه ذلك ما يقال له ، وهذا لا يفعل غالباً الا مع من يميل اليه الفاعل ففيه دليل على محبته ﷺ ، وكان ابن عمر يقول : اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المساء أى : لا تنتظر أحدهما بأعمال الآخر لأن لكل منهما عملاً يخصه اذا فات لم يدرك كماله ولو شرع قضاؤه او المعنى اجعل الموت نصب عينيك لا تطمع [فى] الحياة الى المساء او الصباح وذلك يحض على مبادرة العمل قبل الفوت فانه من طال عمله ساء امله فقصر الأمل سبب الزهد وقولهم انه هو تشبيه بليغ أى : بينهما تلازم صيّرهما كواحد ومن طال امله كسل عن العمل وقسا قلبه ، قال الله تعالى : ﴿ فطال عليهم الأمـد فقست قلوبهم ﴾ (١) وقال : ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلـهم الأمل فسوف يعلمون ﴾ (٢)

---

(١) سورة الحـديد : ١٦ .

(٢) سورة الحجر : ٣ .

. . . .

وعن ابن مسعود : خط رسول الله خطاً مربّعاً وخط خطّاً فى الوسط وخط خطاً خارجاً وخطّ خطوطاً صغاراً هكذا (١) فقال : هـذا الذى فى الوسط الانسان وهذا اجله الذى يحيط به وذلك أمله خارج الخط قد حال الأجل بينه وبين امله ، وهذه الخطوط الصغار الأعراض ان أخطاه هـذا نهشه هذا ، وان أخطاته كلها أصابه الهرم ، وعن انس خط النبى ﷺ خطوطاً فقال : هـذا الانسان وهذا الأمل وهذا الأجل فبينما هو كذلك اذ جاءه الخط الأقرب وهو أجله المحيط به ، وحقيق بمن غيّب عنه أجله ان يتوقعه ، ويخشى هجومه فى غفلته ، وان يجاهد أمله ، قـال ﷺ : « لا يزال قلب الكبير شاباً فى حب الدنيا وطول الأمل ». وعن ابن عمر أتى رسول الله ﷺ وانا أصلح خصّاً فقال : ما هـذا ؟ قلت : خص لنا نصلحه ، فقال : « ما ارى الأمر الا اقرب من ذلك » وعن ابن عمر موقوفاً ومرفوعاً متصلاً بقوله : « فلا تنتظر المسـاء وخـذ من صحّتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » اى اغتنم العمل الصالح قبل أن يمنعك عنه المرض وينفعك بعد موتك فانه لا عمل بعد الموت ، وذلك مناسب لمـا بعده فان الغريب اذا امسى فى بلدة لا ينتظر الصباح ، واذا اصبح لا ينتظر المساء ، وعنـه ﷺ : « اغتنم خمساً قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقّرك ، وفراغك قبّل شغلك ، وحياتك قبل موتك » (٢) وعنـه ﷺ : « بادروا بالأعمال فتناً كقطع اللّيّل المظلم » (٣) وصـح

---

(١) الشكل على هذه الصورة فى النسخة التى بيدنا ويظهر ان فيها سقطا من الناسخ لان المصنف ذكر ان خارج الشكل خطوطا صغارا وهى مثل للامراض التى تعتور الانسان وتجلبه الى الدنيا وتبعده من العمل للآخرة ، وقد اقتصرنا على ما فى النسخة التى بيدنا لظهور المعنى .

(٢) رواه مسلم والدارقطنى .

(٣) رواه مسلم .

ونسيان الآخرة وهــو ترك مــا يوصــل لخيرهــا كفر • • • •

فى الحديث « ثلاث اذا خرجن لم ينفع نفساً ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيـْراً : طلوع الشمس من مغربهــا ، والدجّال ، ودابة الأرض » (١) وظاهر الحديث أنه لم يجزم باحداهن انها تخرج [أولاً] وأنه مهما خرج اولاً منهن لم تقبل التوبة طلوع الشمس أو الدابة او الدجال وعنه ﷺ : « ما من ميت يموت الا ندم » قالوا : وما ندامته ؟ قال : « ان كان محسناً أن لا يكون زاد ، وان كان مسيئاً ان لا يكون استعتب » (٢) اى تاب واصلح شــأنه •

(ونسيان الآخرة) مبتدأ ومضاف اليه والخبر قوله : كفر : (وهــو ترك ما يوصل) فاعله (لخيرها) اى الى خيرها (كفر) اى نفاق او شرك بحسبه فنسيان التوحيد اى تركه شرك ونسيان ما دونه من الفروض نفاق اذا تركه عمداً حتى خرج وقته ، وقيل : حتى لا يدركه والمراد بالنسيان هنا الترك عمداً ولكن الجهل فيما يدرك بالعلم عمد الا ما ذكروا من فروض لا يكفر بتركها او محرم لا يكفر بفعله وقد مر ذلك فى محاله فتركه او فعله غير كفر عندهم وليس من النسيان الذى يكفر به عندهم فترك الوتـْر على القول بفرضه وترك الاستئذان وردّ السلام والجماع فى الحيض معاص لا يحكم عندهم بالكفر على فاعلها فلا يطلق على قولهم : انها نسيان الآخرة ، لأن نسيان الآخرة عندهم يطلق حيث الكفر والسبب فى نسيان الآخرة فى الغالب طول الأمل فى الدنيا ولـمــا كان الأمل من أقوى الأسباب فى عمارة الدنيا كان فى الآخرة من اعظم اسباب غفلتها وخرابها وقلة الاعتداد بها لأن طول

---

(١) رواه البخارى •

(٢) رواه الترمذى وابو داود •

* * * * * * * * * * * * * *

الأمل هو العائق عن كل خير والجالب لكل شر ، وانه الداء العضال الذى يوقع الخلق فى انواع الفتن والبلايا ، ويورث أربعة اشياء :

الأول : ترك الطاعة والكسل فيها لانه يقول : سوف افعل والأيام بين يدى ولا يفوتنى ذلك ، ولذا قال داود الطائى : من خاف الوعيد قرب اليه البعيد ومن طال عمره ساء عمله .

الثانى : ترك التوبة وتسويفها يقول : سوف اتوب والأيام فى سعة وانا شاب وهذا ونحوه مما يحرك الى الرغبة فى الدنيا والحرص عليها واقل ما فى الباب ان يشغل نفسه ويضيع وقته باهتمامه باشياء لعله لا يدركها .

الثالث : قسوة فى القلب قال الله تعالى : ﴿ فطال عليكم الأمد فقست قلوبهم ﴾ (١) . لأن القلب انما يصفو ويرق بذكر الموت والقبر والجنة والنار ، فاذا طال امله كان ذكره وفكره الدنيا واسبابها .

الرابع : نسيان الآخرة كما ورد فى الحديث : « ان طول الأمل ينسى الاخرة » والعلاج ان يحضر فى قلبه ذكر الموت والقبر وخسة الدنيا فى جنب شرف الآخرة وجلالها ويتفكر فى اخوانه واقرانه الذين غافلهم الموت فى وقت لم يحتسبوه ، ويقول هل حالى مثل حالهم ؟ ويتذكر فى مثل قول عيسى عليه السلام : الدنيا ثلاثة أيام ، امس ماض ما بيدك منه شئ ، وغد لا تدرى اتدركه ، ويوم انت فيه فاغتنمه . وليوبخ نفسه وليقل لها : احذرى يا نفس الغرور ولا تهتمى بالرزق المقدور فلعلك لا تبقين حتى تحتاجى اليه فيضيع وقتك والهم فضل فاذا واظب على تذكر ذلك قصر

---

(١) سورة الحديد : ١٦ .

أمله باذن الله تعالى ، فتبادر نفسه الطاعة وتعجل الى التوبة وتزهـد فى الدنيا وتذكر الآخرة وتصفو وتخشى الله وتخافه ، ويقوى الرجـاء وتستعد ، وحسبك فى ذم الكسل والتسويف قوله تعالى : ﴿ وان ليس للانسان الا ما سعى ﴾ (١) واستعاذة النبى ﷺ من الكسالة والبطالة روتها عائشة وانس ، وكون مقتضاه هلاك النفس والبدن ؛ وكونه تشبيهاً بالجماد وابطالاً للحكمة والمعالجة مجالسة أرباب الجد والسعى ومجانبة الكسالى والبطّالين ، والضعف يعالج بالتامل فى ان الحياء من الله تعالى احق وعذابه اشـد ومجالسة الاقوياء وذوى الصلابة فى الدين ، ويعالج المساوفة بقوله تعالى : ﴿ سارعوا الى مغفرة من ربكم ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ يسارعون فى الخيرات ﴾ (٣) ؛ وعن جابر بن عبد الله : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « يا ايها الناس توبوا الى الله قبل ان تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثّروا الصدقات فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا » (٤) وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : « هل ينظرون الا غنى مطغياً او فقراً منسياً او مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً او موتاً مجهزاً او الدجّال ، والدجال شر غائب ينتظر ، أو الساعة والساعة أدهى وامر » (٥) (كعمل موجب لشرها) اى لشرّ الآخرة باضافة عمل لموجب اى كعمل امر موجب ، أو بالتنوين اى كالعمل الموجب لشرها ، والأول انسب بقوله : ترك ما يوصل ، يعنى

---

(١) سورة النجم : ٣٩ .

(٢) سورة آل عمران : ١٣٣ .

(٣) سورة الأنبيـاء : ٩٠ .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) رواه الدارقطنى .

وهو امـا نسيان جهل فلا يخطر على بال ولا عـذر فيـه • • •

ان نسيان الآخرة كفر وانه هو ترك ما يوصل لخير الآخرة كما ان عمل موجب لشرها نسيان لها وانه كفر ، فالتشبيه عائد الى الكفر ، والى كون ذلك من نسيان الآخرة ، فلو قدم قوله : كعمل موجب لشرها على قوله : كفر بالكاف ، او قدمه وجعل « أو » فى مكان الكاف لكان أولى على أن « أو » التنويعية جائزة فى التعريف ، واذا عرفت أن نسيان الآخرة هو ترك ما يوصل لخيرها أو عمل ما يوجب شرها ، عرفت ان نسيانها يكون بالقلب ويكون بالجارحة ، والعمل الموجب لشرها وهو عمل الكبيرة •

(وهو) اى مطلق النسيان بمعنى الاعراض عن الشيء فالضمير عائد الى النسيان فى قوله : ونسيان الآخرة لا بقيد الآخرة فهو من أنواع الاستخدام ، وذلك لأن القسم الثالث من اقسام النسيان لا اثم فيه فضلاً عن الكفر ، ونسيان الآخرة كفر (اما نسيان جهل فلا يخطر على بال) الضمير فى يخطر عائد الى المجهول المعلوم من لفظ الجهل ، أو المنسى المعلوم من لفظ نسيان ، او عائد على نسيان لا مع بقائه على معنى المصـدر بل على معنى مفعول فيكون الاستخدام ايضاً اذ ردّ الضمير الى لفظ هو بمعناه المصدرى وأراد به فى الضمير معنى مفعول ، (ولا عذر فيه) بل يحكم فيه بالكفر فى الكبيرة وبالمعصية فى الصغيرة وفيما لا يدرى اصغيرة أو كبيرة ؟ اذا قلنا : ان الصغيرة قد تدرى وذلك أن الجهل عندنا معشر المغاربة عمـد ، وكذا عند بعض المشارقة ، وذلك فى الكفر والمعصية وما يلزم من تحريم المرأة اذا جهل حرمة جماعها فى الحيض مثلاً على القول بان جماعها فيه محرم لهـا ونحو ذلك ، وبعض المشارقة لا يحكم عليه بحكم المعتمد كله •

وهذا فى كل ما لا يسع جهله او قامت به الحجة من الديانات او ترك كما مر ، او ذهل وهو ما لم يخطر بالبال ، وقـد يخطر ، وان لم يسـال عنـه ولا اثم فيـه ، • • • • • • • • • • • •

(وهذا) اى : هذا الذى لا عذر فيه (فى كل ما لا يسع) من اول او عند وروده (جهله) جهل تحريمه او جهل فرضه كجهل تحريم الربا او جهل تحريم بعض انواعه اذا فعله او احلّه او صوب عليه او خطأ على تخطئته ؛ وكجهل فرض الصلاة او بعضها او ولاية الجملة او ولاية الاشخاص ان حضرت (او قامت به الحجة من الديانات) ؛ بيان لـما باعتبار وصلها او وصفها بقوله : لا يسع جهله ، وقوله : قامت به الحجة ، والمراد ان من الديانات ما لا يسع جهله اصلاً بلا تاخير ما كالنطق بكلمة الشهادة واعتقادها وولاية الجملة وبراءة الجملة او ما لا يسع جهله اذا جاء وقته ويسع قبل وقته كصلاة الظهر لمن بلغ فى الضحى ، وصيام رمضان لمن بلغ فى شعبان او قبله ، ولا يكفر بالجهل الا حين يكفر بالترك او بفعل المحرم فلا يكفر بجهل حرمة الربا ونحوه من المحرمات حتى يفعله او يحله او يصوّب فاعله لفعله او يخطىء مخطئه لتخطئته ، وهذا كله داخل فى قوله : ما لا يسع جهله ، وان من الديانات ما يسع حتى تقوم به الحجة كمعرفة نبى غير محمد ﷺ قيل : وغير آدم ، ومعرفة كتاب غير القرآن وصفة من صفات الله ، وولى من اولياء الله تعالى ، وعدو من اعدائه وكل ذلك داخل فى قوله : او قامت به الحجة واشار الى القسم الثانى من اقسام النسيان بقوله : (او) نسيان (ترك كما مر) بقوله : ونسيان الآخرة وهو ترك ما يوصل لخيرها الخ . واشار الى القسم الثالث بقوله : (او) نسيان (ذهْل) اى غفلة بفتح الذال واسكان الهاء (وهو ما لم يخطر بالبال وقد يخطر) اى نسيان ما لم يخطر وقد يخطر اى الغفلة عن الشىء فلا يحضر تارة ويحضر اخرى (وان لم يسال عنه ؛ ولا اثم فيه) وذلك بان يكون فى القوة الحافظة مثل ان يكون قلبك فى عمل فرض او مسنون او مباح او معصية او مكروه

وشر النسيان نسيان الله عز وجـل والاغفال عن الحظوظ الأخروية .

يتحرك بذلك وليس فيه التكلم بالتوحيد أو بالصلاة أو بتحريم الزنى فتارة يكون فيه ذلك بلا سؤال وتارة بالسؤال ، مثل ان يقال : أهذا توحيد ؟ أو هل وجب كذا ؟ واذا كان بلا سؤال فلا بد فيه من مسبب مذكر له مثل ان ترى مشركاً فتذكر به التوحيد أو تسمع شركاً أو نحـو ذلك ، والقسم الأول من النسيان : زوال الشيء عن الحافظة بعد كونه فيها أو عدم وجوده فيهـا قط ، والثالث بمعنى الذهـول والغفلة ان ذكر تذكر والثانى ترك الشيء عمـداً .

(وشر النسيان نسيان الله عز وجل) هو ان لا يستحضر عظمته او ثوابه أو عقابه فيلزم على ذلك أن يغفل عن الطاعة الموجبة للحظوظ ، وان استحضر ذلك اداه الى تحصيل الحظوظ ، (والاغفال) هو موافق للثلاثى يقال : غفل عنه واغفله بمعنى غفل عنه ، وقيل : اغفله وصل غفلته اليـه (عن الحظوظ الأخروية) قال الشيخ أحمد الشماخى فى شرح العقيدة : وأما النسيان فشدد فيه أصحابنا لقوة الوعيد قال الله تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ (١) ، وقال : ﴿ كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليـوم تنسى ﴾ (٢) ﴿ فلما نسوا ما ذكّروا به ﴾ (٣) ﴿ فنسوا حظاً مما ذكّروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء ﴾ (٤) وغير ذلك وقوله ﷺ : « نظرت فى ذنوب امتى فلم أر ذنباً اعظم من ناسى القرآن » (٥) وشرك

---

(١) سورة التوبة : ٦٧ .

(٢) سورة طـه : ١٢٦ .

(٣) سورة الأنعـام : ٤٤ .

(٤) سورة المـائدة : ١٣ .

(٥) رواه ابو داود .

. . . .

اصحابنا من نسى نبيًا او ملكًا او رسولاً أو مفروضة منصوصة او قضية من كتاب الله مخصوصة ، وكذلك جميع ما ذكرنا مما لا يسع جهله ، وشددوا فيمن نسى وليًا او تباعة من الأموال والأنفس ولم يعذروه وقالوا : رجع عن علمه ، وقال الشيخ مصالة : ليس علينا أن نكون بررة لا ننسى . وتبعه الشيخ ابو يعقوب لقوله تعالى : ﴿ لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ﴾ (١) وقال ابو يعقوب : الامام العاشر مصالة رضى الله عنه قال : ليس لله علينا أن نكون حفظة لا ننسى ، اعلم ان النسيان للانسان امر غالب ، وربما يكون عن اسباب فيؤاخذ بها ، ولم ترد فيه شدة الا فى ناسى القرآن فانه روى عن رسول الله ﷺ انه قال : « نظرت فى ذنوب امتى ولم ار ذنبًا اعظم من ناسى القرآن » وقال ايضًا : « من حفظ القرآن ثم نسيه لقى الله يوم القيامة اجذم » وقال الله عزّ وجل : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ (٢) وقال : ﴿ اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ (٣) وقال : ﴿ نسوا الله فانساهم انفسهم ﴾ (٤) ا هـ ، فقيل ذلك فى ناسيه حتى لا يفرزه من الشعر .

قلت : او لا يفرزه من سائر الكلام ؟ وقيل ذلك فى تارك العدل به فان لم يترك العمل به فلا ضير عليه ولو نسيه لفظًا فليس بناسيه معنى ، وان ترك العمل به فهو ناسيه وهالك ولو حفظه سردًا وتفسيرًا ، قال : اعلم أن هذا الوعيد انما يتوجه الى من نسى الله عز وجل مما ينسى ، كما ان الم الضرب لا ينسى والله معك أينما توجهت فارم ببصرك حيث شئت تجد صنعه لك ناهيًا او آمرًا ، ومن علم اثر السبع فلن يستطيع ان ينساه ما دام معه اثره ، وقد علم باسه ، وقد عذر الله ناسى الصلاة ، قال رسول الله

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٢) تقدم ذكرها .

(٣) تقدم ذكرها .

(٤) تقدم ذكرها .

. . . .

ﷺ : « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلـّها اذا ذكرها فذلك وقتها » (١) فعذره عليه الصلاة والسلام ولو نسيها الى الحشر لما كان عليه بأس ، وقد صلى عليه الصلاة والسلام صلاة العصر بأصحابه فقام من اثنتين فقال له ذو اليدين : اقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال له عليه السلام : « كل ذلك لم يكن ، ولكن انسى لاسنّ لكم » فقال لأصحابه : « أصدق ذو اليدين ؟ » قالوا : نعم ، فرجع فأتم بهم أربعا ، ولو لم يذكره أحد اصحابه لوسعه الى الحشر ولا ضير ا هـ .

ومعنى قام من اثنتين : انه خرج عن الصلاة من ركعتين ، وانما تكلم وبنى قبل ان يحرم الكلام فى الصلاة ، قال : فشددت المشايخ فى هذه المسألة غاية التشديد وقالت : ان من قامت عليه الحجة بفريضة من الفرائض من دين الله أو آية من كتاب الله عز وجل أو نبى من الأنبياء والرسل وملك من الملائكة والمنصوص من بنى آدم اى أو من الجن فى خير أو شر أو ولى من أوليائه اى أولياء الناس أو عدو أو تباعة من التباعات من الأموال والأنفس انما لا يعذر فى شىء من هذا كله وحكموا بالشرك فيمن نسى ملكا أو نبيا أو رسولاً أو فريضة منصوصة أو قضية من كتاب الله عز وجل مخصوصة ، وحكموا فى الشاك أنه مشرك ، وفى الشاك فى الشاك الى يوم القيامة .

واعلم ان هذه المسألة قد شددوا فيها وأرجو عند الله فيها السعة والرحمة ، قال الله تعالى حكاية عن المؤمنين : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ﴾ فذكر ذلك فى معرض الاجابة والامتنان فنحن على عموم هذه الآية حتى يأتى ما يخصها ، وقد ذهب اهل التفسير الذين فوض الله تعالى اليهم بيان كلامه وخطابه للخليقة بأن قالوا : ان نسينا تركنا أو أخطأنا تعمدنا فجاوزوا النسيان الى العمد والترك والخطأ الى الترك

---

(١) رواه مسلم .

• • • • • • • • • • • • • •

والعمد ، ومذهب هؤلاء المفسرين مذهب صالح لائق برحمة رب العالمين في عباده المذنبين اقتبسوا هذه الطريقة من رسول الله ﷺ فيما حكاه الرب عنه حيث يقول : ﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ (١) ، واعلم ان من سلم من خصلتين فلا يستبعد له هذا التفسير وهو حاصل في جملة المؤمنين : من سلم من البدعة وسلم من الاصرار ، فالبدعة أن يدين الله بدين كان على الله به شاهداً ، وفي شهادة عليه كاذباً حتى يلقى الله عز وجل على ذلك ، فعلى اى شيء يثيبه الله عز وجل ؟ اعلى غير ما قدمت يداه ؟ ﴿ وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ واما المصر المعاند لربه المتمادى على معصيته وارتكبها عمداً وعول انه لا يفارقها ابداً حتى يلقى ربه فاصر واستكبر فخاب وخسر فلقى ربه غداً في المحشر منكوساً مركوساً ، فليس في هذا أيضاً مطمع اذ لا يليق بحكمة البارى سبحانه اسعافه على اصراره وخلافه وما وراءه من الذنوب فليس بمستحيل العفو عنه باسباب خمسة : التوبة النصوح ، والحسنة المقبولة ، والمصيبة الموجعة التى قال صاحبها : ﴿ انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ﴾ او لم يقلها ، وقال الله عز وجل : ﴿ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ وقال ﷺ : « ما من مسلم يصاب بمصيبة حتى الشوكة يشاكها الا كفّر بها من خطاياه » (٢) ، ومن وراء ذلك شفاعة المصطفى عليه الصلاة والسلام فكيف بمن له الشفاعة وهو الحكيم الكريم الرءوف الرحيم رب العرش العظيم ؟ وهو التائب على عباده المذنبين قبل أن يتوبوا ؟ فقال عز من قائل : ﴿ يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ .

(٢) رواه مسلم وابو داود والترمذى .

* * * * * * * * * * * * * *

يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميْلاً عظيماً ﴾ (١) ، وقضى على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام : « أن من كان فى قلبه مثقال حبة من الايمان دخل الجنة » رواه ضمام بن السائب عن رسول الله ﷺ ، وقوله عز وجل يوم الفصل الأكبر : « يا معشر المؤمنين انى وهبت لكم ما بينى وبينكم فتواهبوا فيما بينكم » ويقع القصاص فيما بين المسلمين والمسلمات ويتقاضون بالحسنات بدل الأموال والتباعات ومن وراء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ثم قال بعد نحو اربعة كراريس من نصف القالب الكبير ما نصه : « مسألة النسيان والذهول » : اعلم ان مسألة النسيان والذهول قد وردت فى كتاب الله عز وجل عموماً فنحن على عمومها حتى يرد ما يخصها ، قال الله عز وجل فى معرض الامتنان حكاية عن أوليائه عز وجل حين أثنى عليهم : ﴿ آمن الرسول ــ الى قوله تعالى ــ أو أخطأنا ﴾ فجعل المفسرين يقولون : اخطأنا تعمّدنا فحكى الله عز وجل عن المؤمنين انهم استوهبوه النسيان فوهبه لهم ، وليس من صفة الكريم ان يستوهب الشئ فيخبرنا أنه استوهبه فيبخل به ولا يجود به ، وانما هذه صفة لئيم ان يشنّع على نفسه أنه استوهب ويذكر ذلك عن نفسه ثم انه لا يهب ، ولو ساغ لأحد ان يقول لا يسع النسيان لساغ لغيره أن يقول ، وكذلك المغفرة حين حكى عنهم : ﴿ غفْرانك ربنا واليك المصير ﴾ بشهادة انتصاب النون من غفرانك يشهد لك ، ولو قال : غفرانك يشهد لك ، ولو قال : غفرانك بضم النون لما حكمنا عليهم بمسألة الغفران ولكن نصْبه يدل على مسألتهم الغفران ؟ وكذلك ما استوهبوه فى قوله : ﴿ ربنا ولا تحمّل علينا ــ الى قوله ــ فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ فان جادلهم بهذا كله فما بال النسيان

---

(١) سورة النساء ٢٧ .

* * * * * * * * * * * * * *

من بينهم ، فاجتمعت الأمّة على ان المؤمنين استوهبوا من الله تعالى هذه الكلمات العشر فوهبهنّ لهم فما بال الاستثناء فى بعضهن دون بعض ، والمسئول كريم وهو أولى ما جاد لهم به فلو كان الاستثناء فى بعض والمنع لكان فى آخر الآيتين أو فى وسطها ، فلو كان الاستثناء يسوغ فى أول الأمر لكان فى العقوبات كما قال الله عز وجل : ﴿ قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً ـ الى ـ لعلهم يفقهون ﴾ (١) ولما تمت الآية قال رسول الله ﷺ : « اعوذ بالله » فاعاذه الله من الأولين ا هـ . يعنى بالاستثناء استثناء نسيان نبى أو ملك او نحو ذلك قال : واما ان يستثنى عليه ما امتّن به عليه وتفضّل من غير ذنب ولا سبب الا برأى ذى الرأى فأحرى ان النسيان أمر غالب ليس للعبد فيه منع ولم ترد شدة فى نسيان شىء الا فى ناسى القرآن وقد ورد فيه التخصيص قال رسول الله ﷺ : « انى نظرت فى ذنوب أمتى فلم أر ذنباً أعظم من ناسى القرآن » وذلك انه لا ينساه الا بهجّرانه اياه وهجران تلاوته ، وانما اراد القرآن ولم يرد نفس القرآن ، وقد عذر الله المؤمنين فى نسيان أعظم العبادات وهى الصلاة فكيف بما دونها ؟ ولو كان النسيان من اختيار العبد (٢) ؛ وقد اجتمعت الأمّة على انه ليس من اختياره واجتمعت على النسيان انه محطوط عن هذه الأمة الا شواذ ذهب بهم الرجوع عن العلم ، وليس النسيان بالرجوع عن العلم فى شىء ، والرجوع عن العلم ان يقصد الى ما أقرّ به فينكره على علم باقراره او تخطئة ما صوّبه أو تصويب ما خطّاه ، والرب تعالى يتجاوز عن كثير من هذه الأمور ، فكيف بأمر قد سقط عن اذهانهم وأوهامهم لا باختيارهم ، وليس هذا من صفة الحكيم الرءوف الرحيم .

---

(١) سورة الأنعام : ٦٥ .

(٢) فى نسخة الأصل : ولو كان النسيان من اختيار العبد لانتبه ، وهو الصواب .

* * * * * * * * * * * * * *

وقال الشيخ أبو خزر يغلى بن زلتاف (١) رضى الله عنه : أن ما سقط عن وهم الانسان لا يؤخذ به فاين ذهب بهم وبمن قال بخلافه وهو الامام

(١) ابو خزر يغلى بن زلتاف الوسيانى رضى الله عنه ممن بلغ الدرجة العليا فى الاجتهاد وعده ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم رحمه الله تعالى فى الائمة العشرة الذين بلغوا قبله درجة الاجتهاد المطلق . وابو خزر جمع بين العلم والسياسة حتى صار من الذين كان يخشى بأسهم ابو تميم المعز الفاطمى مع ما بينهما من الصداقة الراسخة وتقديم المعز له على سائر الجهابذة الذين يرتادون مجلسه على كثرتهم ولم يقدم عليه الا ابا القاسم يزيد بن مخلد الوسيانى وهو سنو ابى خزر فى العلم والاجتهاد واقتباس العلم من شيخهما ابى الربيع سليمان بن زرقون النفوسى .

وقد وقعت مقاطعة بين الامام ابى خزر وابى تميم افضت الى انتشاب الحرب بينهما وذلك أن المعز كان يهاب ابا القاسم يزيد بن مخلد ويرفع مكانه وفى نفسه شىء من الغدر به لمكانته عند الاصحاب واجتماع جموعهم حوله بحيث لا يتأخرون من امره لأول اشارة ، ويرفع منزلة هذين الامامين القدوتين وعلامة المعقول والمنقول صاحب القلم واللسان أبى نوح سعيد بن زنغيل لكسب المعز مودة الاباضية ومصافاتهم لكثرت الوشايات والنميمة من اصحاب الطمع والتزلف الى المعز واضداد الوظيفة بطومهم بأبى القاسم حتى قتله بواسطة عامله على (الحامة) وطن الامامين فهاج اصحابنا وعظم عليهم الامر وكانت قبائل البربر من مزاته وغيرها طوع اشارة الامامين فاعتزم ابو خزر مناجزة ابى تميم المعز حتى كاتب بنى امية فى الاندلسية فلما بلغه الامر اشتد عليه وسقط فى يده وكاتب ابا خزر ومن معه من العلماء بواسطة بعض علماء اصحابنا يجزم لهم بالاستقلال فى المملكة الاباضية الرستمية التى ازالها اجداده من تيهرت الى جبل نفوسة الا ان السواد الاعظم الهائج يأبى الا مناصبة المعز وغسل الاهانة فبايع جمهورهم ما عدا جمعا من العلماء واجمعوا ابا خزر فى الامر وابوه منه اماما للدفاع فنشبت الحرب بينه وبين المعز فلعبت الرشـوة بين الطبقة الضعيفة وهى الكثيرة فجمحوا من أبى خزر فكان الفوز لأبى تميم فهرب ابو خزر الى الجبل فأراد المعز أن يسكن ثائرة الأمة خوف تجدد الامر فارسل بالعفو العام الى كل الارجاء وبالاخص الى صاحبه الذى اسف على وقوع الوحشة معه فقدم اليه واكرمه وخلع عليه واصطحبه معه الى مصر بعد ان احتلها قائده جوهر فكان فى عزه واكرامه حتى مات المعز وقد علت منزلة ابى خزر فى مصر وطار صيته الى الآفاق وعرف بعالم المغرب وله شـأن عظيم مع علماء مصر . وكثيرا ما طعن وزراء المعز وندمائه فى أبى خزر حتى امتحنه مرة بعد اخرى لعله يجد منه ما يبرر قتله ولكنه لم يظفر بمرامه وحرسه الله من كيده وكيد الخائنين .

* * * * * * * * * * * * * *

الغـاية القصوى والرب تعالى جعل حطوط النسيان عنهم مثابة لهم حين آمنوا كلهم بالله وملائكته وكتبه ورسله قولهم : ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ﴾ فرغبوا فى المغفرة فبشرهم أنه : ﴿ لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ فلما خفف عنهم سألوه ترك النسيان فقالوا : ﴿ لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ﴾ فما بال الشدة فى أول موهبة الله عز وجـل للمؤمنين ؟ وجلّ العلماء والمفسرين يذهبون فى هذا الخطأ الى العمد يقولون : ان نسينا او اخطأنا تركنا او تعمدنا ، وقال موسى بن عمران للخضر عليه السلام : ﴿ لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً ﴾ فأوجب ان ذلك من الخضر لو فعل ارهاق عسر ولا يليق بالحكيم الرحيم ، وقول يوشع بن نون رضى الله عنه : ﴿ وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره فجعل ﴾ الله تعالى معذرة للمؤمنين فى أمر نسوه احالة الذنب على الشيطان ، فمن نابه امر نسيه احاله على الشيطان ، وقال الله عز وجل فى آدم عليه السلام عاذراً له : ﴿ فنسى ولم نجد له عزماً ﴾ على عمل المعصية ا هـ .

قلت : وكذلك النسيان كما قال امر غالب ضرورى فالتكليف عليـه تكليف بما لا يطاق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به ﴾ وكذلك ورد فى الصائم الناسى حتى اكل وشرب : « ان الله اطعمه وسقاه » وكذلك كل ما عذر فيه الناسى كجماع الحيض نسياناً قال معارضة : فان قال قائل على مذهبك فى النسيان انه يسوغ نسيان الرب تعالى ونسيان آياته وقـد قال الله عز وجل ذمّاً لهم ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ وقـال : ﴿ كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ ، وقوله : ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ فلو لم يكن النسيان من افعاله لـما امره الله بترك النسيان ولا نهاه عنه .

اعلم ان هذه الآى الثلاث قد اجمع اهل التفسير فيها انه يريد بها العمد

* * * * * * * * * * * * * *

وانما كلامنا على ما نسيه الواحد منا طبعاً ، وأما قولك ان ينسى البارى سبحانه فلم يستقم لأحد بعد معرفته اياه ان ينساه لكن عمداً لا ذهولاً لأن العبد يتصرف بين خلق الله تعالى فلا يكاد يرى شيئاً الا تذكره ، وحصلت عنده معرفته به تعالى كما لا يستقيم من مضروب بالسياط ان ينسى ألم الضرب وهو يتوالى على ظهره ، وكذلك آيات الله تعالى لما علم الخلق البلوى بها أين ما تصرفوا والحاجة الماسة التى لا تفارقهم بعذر نسيانه على انه ذم الله عز وجل فاعل ذلك قال : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ .

ويسال من ضيّق على المسلمين فى هذه عن سؤالات ثلاث : اولها ـ ما البرهان على ما قاله ؟ ولن يجده من كتاب الله عز وجل ولا من سنّة رسوله ﷺ ولا من العقل . والثانى ـ الأحكام أن التشريك والتفكير والقتل والسبى والغنيمة لا سيما فى أمر مختلف فيه ، واكثر الأمّة على حطه فان يمكن فشاذّ غير معروف فى الصدر الاول ، فان كان تقليداً فبخلاف ما اشار اليه القرآن والسنّة والراى والعقل ، اما القرآن فقد أشرنا الى ما فيه المعذرة للناس والسنة كذلك واما من جهة العقل فان الله تعالى لا يأخذ عبده بالضروريات والنسيان أمر ضرورى ، قال الله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها اكتسبت ﴾ ، اما من جهة الشرع فانه رُوى عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه انه قال : قال الله عز وجل : « انا عند ظن عبدى فليظن بى ما شاء » فان شدد على نفسه أمراً وسعه الله عليه شدد الله عليه ، فليس فى العقل ان يأخذه بالشدة فى أمر اختلف فيه العلماء ووسع الجميع فيه بالشدة فيعاملك الله على تلك الشدة ، ولك عنده مندوحة ، والله سبحانه وتعالى يسال عبده عن هذه المسالة من وسع ومن حظر ، اما من وسع فقد اشرنا الى ما فى القرآن والسنّة ، وأما من شدد فالاختبار بيده فلينظر حجته ما دام حياً فهو الحزم ، وان لم تكن فليقطع عنها وليعامل الكريم بالكرم ولا يعامله باللؤم .

* * * * * * * * * * * * * *

والثالث ما حال المخالف فى هذه المسالة امقطوع العذر ام لا ؟ فليقل مـا شاء ا هـ . والله اعلم .

وحين وصلت هذا المحل من الشرح رايت فى المنام ليلة الثلاثاء من رجب فى كتاب افضل الشركة العبودية وافضل ما ينفرد به الربوبية فيعامل بها الكريم ، وفهمت ان المعنى ترغيب الانسان فى استشعار العبودية ليجتهد فى خدمـة الله الذى هـو سيده ويذل نفسه ، وينفى الكبر عن نفسـه ، ويخضع لقضاء الله ، وان المعنى تخصيص الله بالربوبية فينتفى عن صفات الله الى الله ، ورايت فى الليلة الثانية استسلم لأمر الله تسلم واخضع لقضاء الله يعزك الله ، وهذا سماع منام لا رؤية فى كتاب ، وتقدم الكلام على نسيان التباعات من المعاملات والتعديات فى باب قضاء الديون ، وفى الوصايا ، ومعنى نسيان الله ترك التقرب اليه بالعمل بان لا يعمل الفرائض او بعضها او بان يعمل الكبائر او يعمل الفرائض ويترك المعاصى ولا يتقرب بذلك الى الله لملل اصابه وادى به الى جهة الاياس ، فقد رجع بذلك فى المعصية وترك الفرض اذ التقرب فرض ، وقد يكون سبب ذلك اياسه من امر دنيوى أيس منه وقد رغب فيه وجد فيصير سبباً لفتوره عن الأعمال والتقرب ، وعنه ﷺ : « ان الله تعالى قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب الىّ عبدى بشىء احب الىّ مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سالنى لأعطينّه ، ولئن استعاذنى لأعيذنّه » (١) .

وولى الله تعالى هو من تولى الله بامتثال الأوامر واجتناب النواهى

---

(١) متفق عليه .

• • • • • • • • • • • • • •

وان زاد النفل او استغرق فى العبادة ومعرفة الله زاد ولاية ، والله يتولاه بالحفظ والنصرة ، ومعنى آذنته بحرب : اعلمته بانى محارب له اقهره وانتقم منه فلا يفلح ابداً ، وفى رواية : « فقد بارزنى بالمحاربة » وفى رواية : « فقد استحل محارمى » ، وفى اخرى : « فقد استحل محاربتى » ، وفى رواية : « فقد آذى الله ، ومن آذاه يوشك ان ياخذه » والمراد منه عادى رجلاً من اجل ولايته لله بالطاعة لا مطلقاً ، فلا يدخل فيه مغافرة تقع بين وليين او ولى وغيره فى حكومة او خصومة كما وقع بين ابى بكر وعمر بعض خصام ثم زال .

وجميع المعاصى محاربة لله عز وجل ، ومن ثم قال الحسن : يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة ؟ وكلما كان الذنب اقبح كان اشد محاربة فسُمّى آكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله ورسوله لعظم فسادهم ، وسواء فى قوله : مما افترضت عليه فرض العين وفرض الكفاية كالجهاد والأمر والنهى والحرف والصنائع ، وفى رواية : « يا ابن آدم انك لن تدرك ما عندى الا باداء ما افترضت عليك ، وان من عبادى المؤمنين من يريد باباً من العبادة فاكفه عنه لا يدخله عجب فيفسده » وذكر الفرض لانه اعظم اذ يثاب على فعله ويعاقب على تركه فكان احب الى الله واشد تقريباً .

وروى ان ثواب الفرض يعدل ثواب النفل سبعين درجة ، واضاف العبد لنفسه تشريفاً وروى : يتحبب ، بدل يتقرب ، وروى : ينتقل ، واطلق النفل فعمّ العبادة الظاهرة كتلاوة القرآن وهى اعظم ما يتقرب به ، وقد روى : « ما تقرب العباد الى الله عز وجل بمثل كلامه » وقال عثمان : لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم ، وقال بعض العارفين لبعض المريدين : اتحفظ القرآن ؟ قال : لا ، فقال : واغوثاه بالله ، مريد لا يعرف القرآن فبم يتنعم ، وبم يترنم وبم يناجى ربه عز وجل ؟ وكالذكر قال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

. . . .

معـاذ : قلت اخبرنى يا رسـول الله بافضـل الاعمـال وأقربهـا الى الله عـز وجـل ، قال : « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله » وكفى بشرفه قوله تعالى : ﴿ اذكرونى اذكركم ﴾ (١) وصح : « انا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيـث يذكرنى » (٢) ، وروى : « أنا مع عبـدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه » .

والعبادة الباطنة كالزهد والورع والتوكل والرضى ويظهر اثـر ذلك ايضاً واعظمها الحب فى الله والبغض فى الله ، قال رسـول الله ﷺ « ان لله ناساً ما هم بانبيـاء ولا شهداء تغبطهم الانبيـاء والشـهداء يوم القيـامة بمكانهم من الله عز وجل » قالوا : يا رسـول الله من هم ؟ قال : « هـم قوم تحابـوا بروح الله على غير ارحـام ولا امـوال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لتنور وانهم لعلى نـور ، ولا يخـافون اذا خـاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس » (٣) ثم تلا هذه الآية : ﴿ ألا ان أوليـاء الله لا خـوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٤) وعنه ﷺ : « لا يجـد العبـد صريح الايمـان حتى يحب الله ويبغض لله فاذا احـب لله وابغض لله فقـد استحق الولاية من الله (٥) ، والفرض اسـاس والنفل كالبناء عليه ، ومعنى كـون الله تعالى سمع عبده وبصره الخ ، حفظه جـوارح عبـده عن ان تستعمل فى المعصية ، ويجـوز ان يكون المـراد بسمعه مسموعه اى لا يسمع الا ذكـرى اى لا يستعمل سمعه الا فى ذكـرى الا ضرورة ، أو لا يسمع سمع قبـول الا ذكـرى ، وما كان لى فهـو من ذكـرى ، ولا يتلذذ الا بتـلاوة كتابى ، ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى الدالة على وجـودى وصفاتى ، ولا يبطش ولا يمشى الا لمـا فيه رضائى .

---

(١) سورة البقرة : ١٥٢ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) سورة يونس : ٦٢ .

(٥) رواه مسلم وابو داود والبيهقى .

. . . .

والتحقيق أن ذلك مجاز وكناية عن نصرة الله تعالى لعبده المتقرب اليه بما ذكر ، وتاييد واعانة وتوليه فى جميع أموره حتى كانه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التى بها يدرك ويستعين ، ولذلك جاء فى رواية : « بى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى » اى : أنا اقدرته على هذه الأفعال وخلقتها فيه ، فمن اجتهد بالفرض والنفل ترقى من درجة الايمان الى درجة الاحسان فيمتلىء قلبه بمعرفة الله وحبه وعظمته ويتزايد ذلك حتى لا يبقى فى قلبه غير الله جل جلاله فلا تنبعث جوارحه الا بموافقة قلبه ، وفى الخبر : « ما وسعنى سمائى ولا أرضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » (١) ولما قدم ﷺ المدينة قال : أحبوا الله من كل قلوبكم » ، وعن على : ان الشيطان يهاب عمر أن يأمره بالخطيئة ، وعنه ﷺ : « من اصبح وهمه غير الله فليس من الله » أى من اهل قربه وحبه ، وفى رواية بعد قوله يمشى بها : « وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به » وفى رواية : « ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومريداً ، دعانى فاجبته ، وسالنى فاعطيته ، ونصحنى فنصحت له ، وان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لأفسده ذلك » ، وذكر مثل ذلك فى الفقر والصحة والسقم ، وقال : « انى أدبر عبادى لعلمى بما فى قلوبهم انى عليم خبير » وفى رواية بعد :لأعيذنه « واذا استنصرنى نصرته » .

والتحقيق ان الدعاء اولى لمن بلغ تلك المراتب كما دعاه الأنبياء فى الرزق والولد وغيرهما وأيوب فى كشف الضر وبعض : يختار الصبر .

عمى سعد بن ابى وقاص فقيل له : لو دعوت الله ، فقال : هو الذى ابتلانى وانا اكره ان أرده ، وقيل ذلك لابراهيم التيمى فى سجن

---

(١) رواه مسلم .

. . . .

الحجـاج فقال : اكره أن ادعـوه أن يفـرج عنى ما لى فيـه اجـر ، وصبر سعيد بن جبير على اذى الحجاج حتى قتـله وكان مجـاب الدعـاء ، وقد لا يجاب الولى الى سؤاله لعلم الله أن الخيرة له فى غيره مع تعويضه لـه خيراً منه ، اما فى الدنيا او فى الآخـرة ، وفى رواية بعد : لأعيذنّه : « وما ترددت فى شىء انا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته » اى : يفعل به كفعل المتردد فى الكاره ، وقـد علم انه يكـره المـوت لأنه اعظم آلام الدنيـا الا على الاقلّين ، وان كان لابـد منـه فى سـابق قضائه فليس بميته اهانة بل رفعة لـه لنقله الى دار الكرامة . وفى خبر غريب جداً انه ﷺ قال : « اوحى الله الىّ يا اخـا المرسـلين ويا اخـا المنذرين أنذر قومك ان لا يدخلوا بيتاً من بيوتى ولأحـد عندهم مظلمـة فانى العنه مادام قائما بين يدى يصلى حتى يرد تلك الظـلامة الى اهلهـا فاكـون سمعه الذى يسمع به ، واكـون بصره الذى يبصر به ويكون من اوليـائى واصفيائى ويكون جـارى مع النبيين والصديقين والشـهداء فى الجنـة ، والله اعلم .

فصــــل

فصــــل

فى اهانة الاسلام واهله وتعظيم الكفر واهله

(اهانة الاسلام واهله وتعظيم الكفر وذويه كفر) كل واحــد منهما كفر على حدة ، فاهانة الاسلام كفر ، واهانة اهله كفر ، وتعظيم الكفر كفر ، وتعظيم ذويه كفر ، لكن كل واحد يتضمن الباقى ، فمن اهــان الاسلام فقــد اهان اهله وعظّم الكفر واهله ، وقــد يهــون المسلم من جهة الاسلام ويعظم من جهــة اخرى ككمال ونسب وكذا فى الكافر ، ومن اهــان اهــل الاسلام فقد اهان الاسلام وعظم الكفر وذويه ، ومن عظم الكفر فقد عظم اهل الكفر واهان الاسلام واهله ، ومن عظم ذوى الكفر فقــد عظم الكفر واهان الاسلام واهله ، الا انه قد يهين المسلم لغير اسلامه مما لا يجــوز له اهانته به فلا يكون اهانة للاسلام الا من حيث انه لم يعط المسلم حقه الذى له بالاسلام اذا اهانه ، وكذا الكلام فى تعظيم الكافر لا لكفره مما لا يجوز وذلك

الكفر متفاوت ، فمن أهان الاسلام الذى هو توحيد فكفره شرك ، ومن أهان الاسلام الذى هو عبادة فكفره نفاق الا ان انكرها فشرك وتعظيم كفر الشرك شرك ، وتعظيم كفر النفاق نفاق ، والا ان اباحه فشرك ، وكذا من عظم المنصوص عليه بالوعيد ، ومن عظم غير المنصوص عليه فمنافق ، ومن أهان المنصوص عليه بالخير فمشرك ، ومن اهان غير المنصوص عليه فمنافق ، وانما قال : وذويه ولم يقل : وأهله فرارا من التكرير والاضافة فى أهله وذويه للحقيقة فشمل الواحد فصاعداً ، (وان) كان المذكور من اهانة الاسلام واهله وتعظيم الكفر وذويه ، او وان كانا (بقلب) فقط ، ولا سيما به مع الجوارح فذلك يكون بالقلب وحده وبالقلب والجوارح معاً ، واما بالجوارح فقط فلا يتصور الا اذا كان فعل مضرة للمسلم او الاسلام بلا قصد ضرّه واهانته ، او كان فعل يوهم تعظيم الكافر والكفر بلا قصد لتعظيمه فلا يجوز فعله ، (او) كان ذلك المذكور من اهانة المسلم او الاسلام او تعظيم الكافر او الكفر (بامره) بان يامر عاقلا بالغاً أو طفلا او مجنوناً سواء كان البالغ موحداً او مشركاً بان يهين المسلم أو الاسلام او يعظم الكفر او الكافر ، أو يقول له : افعل كذا او قله أو اعتقده مما هو اهانة او تعظيم لما ذكر .

(وان لم يفعل) مامور من امره به من ذلك ، او امر من يامر احداً بذلك وهكذا أمر ماموره احداً أو لم يامره ، واذا امر ماموره احداً فسواء فعل ماموره او لا ، ولا سيما ان فعل الانسان بنفسه او فعل ماموره ، وانما رجع ضمير يفعل الى المامور ولم يسبق له ذكر لانه معلوم من قوله (بامر به) ويجوز بناء يفعل للمفعول فيرجع ضميره الى ما ذكر من الاهانة والتعظيم .

والتهوين الذى من القلب هو ان يرى المسلمين او الاسلام لا يستحقّون ما يجعل لهم من حقوقهم ويراهم اهلا للهوان وللتقصير فى حقهم ، او يجب ذلك أو يبغض من يجعل لهم حقوقهم والتهوين بالجوارح مع القلب ان

. . . .

يتكلم بما يضرهم أو يكرهونه سواء كان فيهم او لم يكن أو يضربهم او يمنع ما يجاء به اليهم أو يامر بذلك أو يامر من يامره به وهكذا ، وقطع حقوقهم منه أو من غيره بنفسه أو ماله أو بامره وترك دفع الضر والامر بتركه وتعظيم الكفار أو الكفر بالقلب أو يراهم اهلا للاكرام والعز أو يحب لهم ذلك أو يبغض من لا يفعل لهم ذلك ، أو من لا يعتقده لهم ، والتعظيم بالجوارح مع القلب ان يتكلم بما يكرمهم أو يعزهم ولو كان فيهم او يامر بذلك او يامر من يامر به وهكذا اذا قصد التعظيم وان لم يقصد ، ولكن يوهم التعظيم أو يفيده فلا يجوز ايضا الا لضرورة ، والضرورة تبيح المحظور فى ذلك وفى غيره مما يجوز فعله ضرورة كشتم المسلم اذا قهره عليه قاهر .

ومن تهوين الاسلام تضييع حقوقه ، وكذا من تهوين المسلمين تضييع حقوقهم ، من حقوقهم : ان يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ولا يضرهم بقول ولا فعل ، وان يرد عنهم الغيبة ولا يقبل النميمة فيهم ولا ما ينقصهم ، ولا يبلغهم ما سمع فيهم من مثلهم أو غيرهم ، ولا يزيد فى هجرانهم على ثلاثة أيام ، ولا يدخل عليهم الا باستئذان وسلام ، ويسلم عليهم اذا لقيهم ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم ، قال ﷺ : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا (١) » وقال ﷺ : « ثلاثة لا يستخف بحقهم الا منافق ، حامل العلم ، وذو الشيبة فى الاسلام ، والامام العدل » وان يصلح ذات البين ويستر عورتهم ولا يغتابهم ولا يتتبع عوراتهم ، وينصرهم ويصون عرضهم وأموالهم وأنفسهم ، وينصح لهم ويجتهد فى ادخال السرور عليهم بتفريج غم أو قضاء دين واطعام من جوع ، قال ﷺ : « من أحب الأعمال الى الله ادخال السرور على

---

(١) رواه ابو داود وابن حبان .

. . . .

المؤمن (١) » ، وقال ﷺ : « من قضى حاجة اخيه المؤمن فكانما خدم الله عمره (٢) » ، وقال ﷺ : « من مشى فى حاجة اخيه المؤمن ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها خير له من اعتكاف شهرين (٣) » ، وان يزور مرضاهم ويشيّع جنائزهم ويزور قبورهم ويعزيهم على موتاهم .

ومن تهوينه لهم : هجرانه لهم كما لايجوز ، واما ان فعلوا موجب هجرانهم فانه يهاجرهم كما يستحقون ويؤدبهم بذلك وغيره ويامر بذلك وينهى من يانس لهم ويصلحهم بمعروف او ينفعهم ولا يعقد لهم ضر الآخرة .

وفى بعض سير اصحابنا رحمهم الله : ومن سننهم التوقير والتبجيل وابرار بعضهم بعضاً والانقياد ، وترك العناد والمراء والتنازع ، ومن فضائلهم الانزواء عن اهل المنكر والتجهّم فى وجوههم ، والانقطاع عن ملاقاتهم والانقباض عن صحبتهم والأكل معهم والجلوس اليهم ومعاتبتهم حتى يرجعوا الى مرضاة المسلمين ويقلعوا عن كل جريرة ، ويخضعوا لكل مسلم وينيبوا الى كل فضيلة حتى لا يكون ثانيا عطفه ولا وانيا فى خدمتهم ويضرع تحت أيديهم ، فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون .

وكان الشيخ يوسف بن خلفون كثير المطالعة فى كتاب « الأشراف » وغيره من تصانيف اهل الخلاف فنقم الأشياخ منه ذلك ونهوه عنه فلم

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الدارقطنى .

(٣) رواه ابو داود واحمد والبيهقى .

. . . .

ينته ، فاظهروا له الكيل بهذا الصاع واوجبوا له كلمة الهجران ، ومما نقموا منه اعلانه بان قال : والله ما علمت لهم كتاباً الا كتاب اختلاف الفتيا ، وهو تاليف بشر بن غانم (١) ونسبوه الى تعجيز العزابة وذم تاليفهم والبحث عن معايبهم ، قال صاحب الطبقات : وحاشاه من ذلك ، قال : وحدثنى ابو الربيع عن أبيه الحاج أبى عبد الله محمد بن سعيد رحمه الله : خرجنا حجّاجا مع شيخنا يخلف بن يخلف حتى اذا كنا بعقاب قدم علينا فى وقت المساء رجل لا نعرفه فرأيناه يسال عنا فقال له يخلف : من هذا السائل ؟ قال : ابن صباح المزاتى ، فاستحال ذلك شيخنا فبادره بان قال : كذبت ، قال : ابو عبد الله : وما رأيته عجل بسوء الا تلك الليلة ثم تدارك فساله ما شانك وما وراءك ؟ قال : قدمت مع الشيخ يوسف بن خلفون ويبيت عندكم الليلة المقبلة واعلمه بامور دلت على صدقه فاستغفر الله وتاب اليه ، فلما حلّ بنا أبو يعقوب يوسف بن خلفون ، والعلم عندنا حين خرجنا من بلادنا أنه فى الهجران ، وقلنا : ما لنا الا التاسى بشيخنا يخلف فلما تراءى الشيخان اخذ يخلف بيد يوسف وتناجيا عنا وعد عليه ما نسبوه اليه ، فكلما عد عليه شيئا تاب واعتذر واعتنقا فسمعنا شيخنا يقول : الحمد لله رب العالمين ، وقاما وقمنا وسلمنا عليه وتانسنا به وتانس بنا وسرنا معاً الى بيت الله الحرام فادركنا هنالك ركب اخواننا اهل عمان ومعهم فقيههم الذى حجّ به يسمى ناجية بن ناجية ، حججْنا حجة لم يحجها مغربى قبلنا ولا بعدنا ، وذلك انه لا تنزل نازلة على احد من اصحابنا الا وجد حكمها عند أحد الشيوخ الثلاثة ، وروى ان الشيوخ سمعوا عن الشيخ اسماعيل بن أبى زكرياء

---

(١) فى السير بزيادة : والغانمى له أيضا ، واغفله الناسخ فيما يظهر ويدل لصحة وجوده قول البدر فيما بعد : وتفضيله الغانمى واختلاف الفتيا لانه نسب فيه الاقوال وبين ما هو المعتمد الماخوذ به ، وابو غانم : بشر بن غانم من علماء القرن الثالث وابو يعقوب يوسف بن خلفون من علماء القرن السادس رحمهم الله ، وقوله : ما علمت لهم يريد العزابة .

. . . .

أنه أكل طعام النكار بعد أن نهى الشيوخ عن ذلك ، فارسلوا اليه بالهجران ، ولما أخبر بذلك ، قال لابنه الشيخ ايوب : ارحل الراحلة فركب ونحن فى الربيع فاخذت الرسن له ، فلم يتكلم لى الا أن يقول : الطريق أمامك يمينك شمالك ، حتى وقفنا على باب مسجد تاملسْت فنزل ووقف على باب المسجد يتوب ويتضرع ويسالهم القبول عنه ولا يزيد على التوبة ، وهم يعاتبونه ويلومونه ، فيقول : تبت ولا اعود ، أجْرُكم على الله فقبلوا منه وردّوه ورضوا عنه ، فقال لهم : يا مشايخى لم أفعل مما بلغم شيئا واسال الله أن لا يميت قائل ذلك الا بالحاجة فأجاب الله له فهى فى نسله الى الآن .

قال أبو الربيع سليمان بن يخلف : وقيل : يخرج الاسلام من الرجل وهو يصلى ويصوم ويفعل ما كان يفعل قبل ذلك من خصال البر وهو لا يشعر اذا كانت فيه ثلاثة : فرقة المسلمين بعد صحبتهم ، وترك زيارتهم بعد ما كان يزورهم ، واذا استوت عنده حاجة أخيه المسلم مع غيره ، وقال أيضاً : من يطمع فى الاسلام أن يدركه ومعه أخلاق السوء كمن يطمع أن يحمل الماء فى الشبكة وكمن يطمع أن ياخذ شاة شاردة وليس معه السلاليق تدور به ، وكمن ينظر باحدى عينيه الى السماء وبأخرى الى الأرض فى حالة واحدة ، وكمن يمدّ يده الى السماء ليبلغها وهو فى الأرض .

وقيل له : أخبرنا عن هذه الأخلاق الدنيّة ، أمنَ الذنوب هى ؟ قال : أشرُ من الذنوب ، وقال أيضاً : احذروا على أنفسكم وخذوا عليها واطلبوا بها النجاة الى ربكم واحذروا دباغ السوء أن يسبق اليكم ، وقال لهم : احذروا الحرث بلا زريعة ، فقالوا : فسر لنا هاتين الكلمتين ، قال : نعم مبتدىء راجع الى الاسلام ان سبق اليه فى بدء رجوعه حسن حال وأخلاق حسنة فهو على ما سبق اليه ، وان سبقت اليه أخلاق سيئة

وقد يبلغ متولى الى حال لا يستحق معهـا من حقوق الاسـلام الا ولايـة سبقت كمظهر أخـلاقا لا تنزل عليهـا . . . .

وأحوال غير مرضية فقلّ ما ينجـو فهو على ما سبق اليه ان خـيراً فخير وان شراً فشر ، وأما الحـرث بلا زريعـة فالأعمـال بلا نيّة فليس لـمن يحرث بلا زريعة الا العناء والتعب ولا يحصـد قمحاً ولا شعيراً ولا ما يشبع ، فمن حـرث خيراً حصـده ومن حرث شراً حصـده ، ومن لم يحـرث فلا يحصـد شيئاً .

(**وقد يبلغ متولى الى حـال لا يستحق معها من حقـوق الاسـلام الا ولايـة سبقت**) له قبل تلك الحـال فيدعى له بالجنة ، ولا يبرأ منـه ولا يوقف فيه غير أنه لا يسـتحق أن يزحزح لـه فى المجلس ، ولا أن يشمّت عند العطاس ولا أن يسلّم عليه عند اللقـاء الا ان شاء ملاقيـه ، ولا أن يؤمنّ على دعائه ولا أن يصـدر فى المجلس بالدعـاء ولا بغير ذلك مما يجب للمتولى أو يستحب أن يفعـل لـه ويرغب فيـه الا الـولاية ، (**كمظهر أخلاقا لا تنزل عليها**)ولاية ، فان سبقت بقيت والا لم تحـدث الا ان اقلع عن تلك الأخـلاق ، والكاف للافراد الذهنية لأن بادى العقـل يقبل أن يكون بعض غير مظهر تلك الاخـلاق كـذلك أو الكاف بظاهرها أما على أنه أشـار بها الى من فيه تلك الأخـلاق ولم تظهر لك بل أقـرّ بهـا أو شهد عليه بهـا الشهود ، والاظهار على الوجه الأول وهو كونهـا للافراد الذهنية شامل لذلك كله ، وأما على أن يريد بالأخـلاق أخـلاق السـوء المشهورة المتداولة عندهم وقد تقدم ذكرها فيشير الى غير المشهورة بالكاف مثل أن يترك سنة غير واجبـة فيستمر . وأن يكثر معاصى صغاراً أو لا يدرى أصغار أم كبار ؟ ومثل أن يقتحـم الشـبه ، ومثل أن يكثر فعـل المكروهات وما لا تنزل معه الولاية كثير ومنه التعيس فى وجوه الناس وعـدم اجابتهم اذا تكلموا له والاستقلال بالرأى والتبسم فى وجـوه الفسقة

كفـراق الجمـاعة بلا وجه أبيح له ، مع مصاحبة ضـدها والدخـول فيما لا ينسـب لأهل الخـير كتعظيم الأشرار واهانة الأخيـار . . .

بلا موجب ولا داع ، ومنهـا الغناء بما لا كذب فيه ولا بهتـان أو نحـو ذلك من المعاصى ، وان كان فيه ذلك فمعصية وما ذكرت من اكثار المعاصى انمـا هو بحيث لا يطلق عليه الاصرار مثل أن يفعـل اليوم صغيرة وغـداً أخـرى من نوع آخـر ، واضافة أخلاق للحقيقة فيصدق بالخلق الواحـد فصاعداً ، (**كفـراق الجماعة بلا وجـه أبيح له**) والوجـه الذى أبيح لـه : أن يلتزم ويفارق الجمـاعة به كمرض وعـدو وبَرد مضر وكبر سن ، والمـراد : الجماعة الذين على دين الاسـلام بأن يكون مرجعهم الى القرآن والسـنة ، وآثار المشـايخ بلا كبر ولا غلظة ولا تقليد ولا ادخـال العـامة والفسـاق فى أمورهم ومشاورتهم ومراعاة ما يليق بهم ولو خالف الحـق ، (**مـع مصاحبة ضدها**) فلو فارق الجماعة ولم يصحب ضدها فلا بأس ، ويعذر الا ان كان يضعف الاسـلام وأهله بمفارقتها فلا تجـوز له وظاهر كلام الشيخ أحمد أن مفارقتهـا من أخـلاق السوء ولو لم يصحب ضدها ومصاحبة ضدها من أخلاق السوء ، وفى نسخة : مع اصطحاب ضدها وهى مشكلة فانه يقال : اصطحبته بمعنى حفظته ، والجـواب : أنـه افتعـال بمعنى المفاعلة كالمصاحبة ، ولأنه يقال : اصطحبته بمعنى التزمته .

(**والدخـول فيما لا ينسب لأهل الخير**) كذكر القبائل والتنافس بهـا فى أمـر الفتنة أو الفجـار ، (**كتعظيم الأشرار**) تعظيماً لا يوصـله الى البراءة ، (**واهانة الأخيـار**) اهانة لا توصله اليها وذلك كتعظيم الكافر فى أمـر دنيوى واهانة مسلم فيه ، قال رسول الله ﷺ : « ان الله تعـالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبـدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاّه

وجـاز اشهار هـذا والنقض عليه ولو عند العامة ، وفرض ذلك • •

الله أمركم ، ويكره لكم قيل قال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المـال (١) » وعنه ﷺ : « الشيطان ذئب الانســان كذئب الغنم يأخـذ الشـاة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد » رواه معاذ ، وعنه ﷺ « يد الله على الجماعة » رواه ابن عباس وعنه ﷺ : « الشيطان يهم بالواحـد والاثنين ولا يهم بالثلاثة » وعنه ﷺ : « ثلاثة لا تسـأل عنهم ، رجـل فارق الجماعة وعصى امامه ومات عاصياً ، وأمـة أو عبـد أبق من سيده فمات ، وامرأة غاب عنهـا زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيـا فتبرجت بعده فلا تسأل عنهم » • وعنه ﷺ : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » رواه النعمان بن بشـير ، وعنه ﷺ : « ستكون بعـدى هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفـارق أمْر أمـة محمد كائنـاً من كان فاقتلوه فان يد الله على الجماعة ، وان الشـيطان مع فارق الجمـاعة » ، والجماعة هى المعهودة التى على هـدى رسول الله ﷺ ولو لم تكن فى المسجد أو كانت هى القليلة (**وجـاز اشهار هـذا**) أى : الذى فـارق الجماعة وصاحب ضدها ودخل فيما لا ينسب لأهل الخير وذلك بعد وعظه وارشاده فيأبى ، وكذا صاحب البدعة ومعنى اشهاره اظهار أنه فعل كذا مما خالف الصواب (**والنقض عليه**) أى الـرد عليه أى : يقـول ان ما عليـه فلان أو هذا ليس صـواباً أو هو خطـأ أو نحـو ذلك شـبه الرد عليـه بهـدم بناء عليـه أو على بمعنى اللام أى النقض لـه أى لسـيرته (**ولو عنـد العامة**) بقصـد الاحتراز عنه وقصد تاديبه بذلك وليس ذلك غيبـة محـرمة (**وفـرض ذلك**) المذكـور من اشـهاره والنقض عليـه

---

(١) رواه مسلم وابو داود •

ان خيف اقتـداء به ان كان من أهـله ، والا فلا يضـيق اشهاره عند العامة

وتــرك شــهادته فى غــير الديــانات . . . . .

(**ان خيف اقتداء به ان كان من أهله**) أى من أهل الاقتـداء به بان كان منظوراً بالنسبة الى ورع أو علم وذلك من النصيحة فى الدين ليكون من اقتدى به يتوب ومن أراد الاقتداء به يترك ومن لم يكن كـذلك ينتبه ، (**والا فلا يضيق اشهاره عند العـامة**) أى لا يجب ، وكـذا لا يجب اشهاره عند الخاصـة الا ان رُئى يضـل غيره فانه يجب نصح الذى يريـد اضلاله ولا سيما من هو فى البراءة وخيف منه الاضلال .

رُوى أن سعد بن أبى يونس عامل الامام أفلّح على قنطرار خـرج متوجهـا فى أمر نفاث وهو فى جبل نفوسـة مخافة ما يضـل من الناس ، فعمد سعد الى دار بحيال نفاث فأخـذ فى بنائها وكان نفـاث بنـاءاً عظيماً فأراد نفاث معاونة سعد فى البنيـان وصار يبنى لـه ويجتمع الناس الى سعد فى حوائجهم ، فاذا نظر سعد الى الناس قد اجتمعوا اليه وتخـوف أن يتوهموا أنه رضى عن نفاث قال : متى تترك كفرك يا نفاث ؟ فيقـول لـه نفاث : معاذ الله من الكفر يا شيخ ، واذا خـلا سعد باصحابه قال لهم : ليس جزاء من يبنى لى ويخدمنى أن أشتمه فى وجهـه ، وانما تخفوت الفتنـة على الناس ولذلك فعلت ما فعلت ، وانما جزاؤه الخبز واللحـم ، (**وتترك شهادته فى غير الديانات**) كالأموال والدماء والحـدود وتقبـل فى الديانات كالتوحيد والصلاة والطهارة والصـوم والافطار والحج والطلاق والعتق والولاية والبراءة مما كان يستثنى فيه فيفتى أن يشـهد مثل أن يشـهد عن ثقـة أن من قـال كـذا لعبـده عتـق أو لـم يعتـق ، أو لامـرأته صـارت طالقاً أو غـير طالق ونحو ذلك ممـا ليس خصـاماً

وقيل : فى الولاية والبراءة ، ويكون قيل : فى الوقوف ولا يعظم ولا يولى

فى كامامة أو قضاء ولا يشاور . . . .

(وقيل :) تترك (فى) غير (الولاية والبراءة) من الاحكام والديانات وتقبل فى الولاية والبراءة خاصة ، فاذا قال ان فلانا فى الولاية او فى البراءة أو فعل كذا مما يوجب البراءة أو وفى بدين الله أو نحو ذلك اعتبر قوله مع شاهد آخر ، ووجه القول الأول أن الديانات مما تجرى فيه التصديق ولا خصم فيها وأما أمر الاحكام فللخصمين أن يصدق احدهما الآخر أو يصدق من يشهد له كائنا من كان وليس ذلك للحاكم فلا يأخذ بقول ذلك المفارق ، ووجه الثانى أنه لم يبق له الا الولاية فاخذ قوله فيها ثبوتا وعدما (ويكون قيل) قولا ضعيفا (فى الوقوف) ووجه ضعفه أن ولايته بالذات لا بالتبع للامام أو للاب فلا ينتقل منها للوقوف كما ينتقل من ولاية طفل المتولى الا الوقوف فيه لاحداث أبيه موجب براءة وما أشبه ذلك ، وأن ولايته متيقنة فتركها بلا مزيل متيقن رجوع عن العلم فان ما أحدثه المفارق : اما معصية لا يبرأ منه بها واما غير موصية فلا تترك ولايته بلا موجب للبراءة ومالا يعلم أنه معصية اما معلوم انه غيرها واما مريب ، والريبة يجب الامساك عنها كما جاء ﴿ أمرٌ بان لكم رشده فاتبعوه ﴾ وهو فى مسالة الحال ولايته المتيقنة ﴿ أمرٌ بان لكم غيّه فاجتنبوه ﴾ وهو فى مسالة الحال براءته بلا احداث لموجبها ، ﴿ وأمرٌ لم يتبين فكلوهُ الى الله ﴾ وهو فى مسالة الحال ما يتهم به هذا المفارق من الضلال الموجب للبراءة .

(ولا يعظم ولا يولى فى كامامة) ولو امامة الصلاة (أو قضاء) وأذان وغير ذلك من الولايات (ولا يشاور) فى أمر الدين أو فى أمر الدنيا

ولو له منزلة عندهم ، وهلك قاصد خلاف المسلمين ولو فى مباح ، ولا بأس عليهم فى تعظيم من لم يستقل برايه عنهم * * * * *

ولا يفعل له مثل ذلك من كل ما يوهمه أو يوهم غيره تعظيمه (ولو) كانت له (له منزلة عندهم) فى نفعه فى الدين والدنيا لأنهم ان أظهروها له بذلك ونحوه تمادى على حاله ولم يذق ألم الهجران ولا اعادة على صلى به أو بأذانه أو فعل نحو ذلك ، وفى السير : الخطة والهجران والطرد والابعاد الفاظ ترادفت على معنى واحد وذلك انه متى أجرم واحد من اهل الطريق او ظهرت عليه خزية أو اتى بنقيصة فى قول او عمل أو تضييع فانه يهاجره الصالحون فلا يكلم ولا يحضر جماعتهم ولا يؤاكل ولا يجالس وكان فى الخطة حائلة بينه وبين اهل الخير فان تاب واستغفر قبل منه ورجع الى الجماعة وزال شين ذلك الوسم وكان بقاؤه فى وحشة الهجران بقدر عظم الفعل وصغره وتوبته واصراره ، فمنهم من يتوب ويرجع فى الحال ، ومنهم من يبقى ساعة او ساعتين أو يوما أو يومين او اياماً أو أشهراً أو أعواماً أو عمره ان عظم الجرم وأصر (**وهلك قاصد خلاف المسلمين ولو فى مباح**) كشراك نعل اذا قصد انه لا يفعل كذا لأن المسلمين يفعلونه أو انه يفعله لكونهم لا يفعلونه مثل ان يقول : لا اجعل لنعلى شراكاً لأنهم يجعلون له ولا سيما فى فرض أو مسنون مثل ان يقول : لا أقدم رجلى اليمنى فى دخول المسجد لأنهم يقدمونها ، او لا اتوضأ ثلاثاً ثلاثاً لأنهم يفعلون ذلك ، ولا يدفعون عنه رمى من رماه بسوء أو اتهمه الا ما تبين أنه بهتان فيجب النهى ، وأما ان خالفهم ولم يقصد انه فعل أو لم يفعل ليكون مخالفاً لهم فلا باس الا ان كان فعله لما يخالفهم يوهن الاسلام او المسلمين او يوهم انه قصد خلافهم فلا باس (**ولا بأس عليهم فى تعظيم من لم يستقل برايه عنهم**) ولو كان فى البراءة او الوقوف لأنه ليس يسعى فى خلافهم اذا ظهر لهم الصلاح فى تعظيمه ليزيد نفعاً فى الدين او

. . . .

الدنيا للمسلمين ، وذلك تعظيم راجع للدنيا لا يوهم ولاية مثل تقديمـه في مهم والتفريش له وتجويد الطعام له ودعائه باسم يحبـه ، بخلاف ذلك المفارق ، فلا يجوز لهم ذلك التعظيم ولا ما فوقه فيه لأن تعظيمه تعظيم لـما هو فيه فيكون تهويناً للاسلام وأهله والله أعلم ٠

باب

بغض المعروف وأهله كفر . . . .

باب

في بغض المعروف واهله والاشعر والبطر والغيبة والنميمة

المعروف لغة : ما ليس مجهولاً مباحا او محرما او فرضا او مسنونا ، والمنكر : ما جهل أو عرف وخالف ما اعتيد ، ويطلق المعروف أيضاً على ما فيه الاحسان الى انسان أو حيوان ، والمعروف شرعاً : ما هو من العبادة فعلاً أو تركا ككف الضر وازالته واجبا أو مسنونا او كان من الأثر ، والمنكر ما خالف ذلك ، وقيل للمعروف : معروف لتعارفه بين الناس ، ولأن العقول تعرفه ، وقيل للمنكر منكر لانه ينكر على فاعله وتنكره العقول و (**بغض المعروف واهله**) هو فاعله ومن يامر به او يامر بالامر به وهكذا او يتسبب فيه بوجه ما (**كفر**) يعنى ان بغض كل واحد كفر على حدة ، بغض المعروف كفر وبغض اهله كفر بل بغض احدهما يستلزم بغض الآخر ، والكفر نفاق ان لم يكن صاحب المعروف منصوصا عليه وابغضه وشرك ان كان منصوصا عليه وأبغضه ، وكذا المعروف ، وان ابغضه من حيث انه عابد لله

وان بتجويره او فاعله او آمـر به ، وبغض ما يصيبه من نفع أو بحب مـا يضره كـذلك . . . .

او أبغض المعروف من حيث أنه عبـادة فشرك مطلقا ، وحب المعروف فرض وتصويبه فرض ، والاقرار به طاعة وانكاره كبيرة ، فما كان منصوصا عليه حبه وتصويبه والاقرار به توحيد وانكاره شرك ، وما لم ينص عليه فانكاره نفاق ، والاقرار به وتصويبه وحبه طاعة ، والاجماع والمتواتر كالنص .

والكفر واقع على تفاصيله بالقدح فى المعروف واهله (**وان**) كان القدح فيهما (**بتجويره**) اى بنسبة المعروف الى الجور بان قال : انه جور اى ميل عن الصواب (**أو**) بتجوير (**فاعله**) من حيث انه فاعله وهو من اهله ففاعل بالجر معطوف على الهاء بلا اعادة المضاف الجار على القول بجواز العطف على ضمير الجر المتصل بلا اعادة ما جره أو بالجر عطفا على تجوير على حذف مضاف اى : أو تجوير فاعله ولولا جرّ آمر بعد لجـاز النصب عطفا على محل الهاء لانها ولو كانت فى محل خفض على الاضافة لكن الاضافة هذه اضافة المفعول (**أو آمر به**) اى او تجوير آمر بالمعروف من حيث انه آمر به وهو بجر آمر ، والكفر فى ذلك كله على حد ما مر من شرك أو نفاق ، وكذا فيما بعد ، والتخطئة ايضا كفر وهى فى معنى التجوير وبغض الفاعل او تخطئته وتصويب مبغضه او مخطئه والآمر ببغضـه أو تخطئته او بتصويب مبغضه أو مخطئه أو بتصويب حب مبغضه او مخطئه كفر ، وانما صح للمصنف ان يغيى بغض المعروف واهله بالتجوير تضمينا للبغض معنى القدح وهكذا البحث فى تغيّيته بالحب والتنقيص والتعظيم المذكورات فى قوله : (**وبغض ما يصيبه من نفع ولو دنيويا أو بحب ما يضره كذلك**)

أو بتنقيص وان لأحدهما ، أو بتعظيم منكر أو حبه أو فاعله أو معينه وان بقول

أى ولو دنيويا (**او بتنقيص وان لأحدهما**) اى احد الفريقين المعروف وأهله (**أو بتعظيم منكر أو حبه أو**) حب (**فاعله**) أو الأمر به أو الآمر بالأمر به وهكذا .

(**أو معينه وان بقول**) وقوله : بغض عطف على تجوير ، والهاء فى يصيبه عائد الى فاعل المعروف ، فبغض ما يصيب فاعل الخير من نفع دنيوى كفر ، ولا سيما ان ابغض ما يصيب من نفع اخروى ، أو من نفع دنيوى ونفع أخروى كليهما ، وقوله : أو بحب عطف على قوله : وبتجوير ، وهاء يضره عائدة الى فاعل المعروف ، وقوله : كذلك بمعنى ولو ضراً دنيوياً ولا سيما الأخروى ، أو الأخروى والدنيوى معاً فاذا احببت العاقل أو غير العاقل الضار لدنيا فاعل المعروف أو اخراه فقد كفرت ، وضار اخراه هو من يفعل ما يكون مضرة فى دينه ، مثل ان يتسبب له فى اكل الشبهة وهو يعلمها ، أو فى حرمة زوجته ويقيم معها وهو يعلم أو نحو ذلك أو لا يعلم ظناً من ذلك الضار انه يضره ما لا يعلمه مما لا يدرك بالعلم ، أو حباً لأن يضعف أعماله ودعاءه بأكل الربا والحرام من حيث لا يعلم لضعف قلبه بذلك ، وكذا حب نفس الضر ، ولو عبر بالمصدر لكان أولى لموافقة كلام الأصل مثل ان يقول : أو بحب ضره فيشمل حب الضر باللفظ وحب الضر تبعاً لأنه يحب الضار لضره فقد احب الضر ولكون حب الضار مفيداً لحب الضر ساغ للمصنف أن يعبر بما يضره من حيث أن الحكم على المشتق يؤذن بعليّة معنى مصدره والضمير فى احدهما للمعروف وفاعله ، فان تنقيص المعروف كفر وتنقيص فاعله كفر ولا سيما تنقيصهما جميعاً ، وكذلك حب التنقيص أو المنقص والأمر بالتنقيص ، وقوله : أو بتعظيم منكر ، يعنى أن بغض المعروف يحصل ويتصور أيضا بتعظيم المنكر ، فتعظيم منكر بغض

للمعروف ، وكذا حب المنكر بغض للمعروف ، وكذا تعظيم فاعل المنكر بغض للمعروف ، وكذا حب فاعله بغض للمعروف فيقدر حذف هكذا او بتعظيم منكر أو فاعله او حبه أو فاعله فحذف لفظ أو فاعله وذكره بعد ، ولك تقدير العبارة هكذا : أو بتعظيم منكر أو حبه أو تعظيم أو حب فاعله بترك تنوين تعظيم الثانى ، والأول أولى ، وسواء فى جميع المسائل التى ذكرها أو ذكرتها أو تاتى فى كلامه أو كلامى من ذلك علم بان الشيء معروف أو لم يعلمه هو كافر على كل حال ، وقوله : أو معينه على كذلك فتعظيم معينه كفر وحبه كفر وكذا حب الاعانة وتعظيمها .

(وان) كانت الاعانة بذلك (**بقول**) ولا سيما ان كانت بفعل أو مال أو بمتعدد من ذلك أو بذلك كله ، وكذا ترك اعانة المعروف أو أهله هو بغض للمعروف فهو كفر ، والكفر فى ذلك كله اما شرك واما نفاق بحسب المعروف ما هو واهله من هم على ما مر ، وقيل فى بغض نفع الدنيا لفاعل المعروف وحب ضرها له لا يكونان كفراً ، وكذا الأمر بذلك البغض أو ذلك الحب وجميع ما ذكره المصنف بغض للمعروف بالمعنى كما قال الشيخ أحمد : بغض المعروف على أوجه :

الأول : تجويره وتخطئته .

والثانى : بغض فاعله ومن يأمر به وبغض ما يصيب من منافع الدنيا والآخرة ، وكذلك ان فعل ما لا يصل به الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى نفسه وماله وجميع ما يمنعه من ذلك .

والوجه الثالث : تنقيصه وتنقيص فاعله الخ ، وسواء فى فاعل الخير أو

• • • • • • • • • • • • • •

الآمر ، به والآمر به ان يكون متولى او موقوفاً فيه او متبرءاً منه بغضه والأمر ببغضه وارادته بسوء على ما مر كفر لأن ذلك البغض له مثلاً من أجل انه يفعل الخير مثلاً فذلك بغض لنفس الخير الذى هو المعروف ، والضمير فى قوله : وكذلك ان فعل عائد الى مبغض الآمر بالمعروف ، والضمير فى قوله : لا يصل عائد الى الذى يامر بالمعروف ، وكذا الضمير فى نفسه وماله ، وذلك مثل أن يضرب مبغض المعروف من يامر بالمعروف أو يقيّده أو يسجنه أو يأخذ ماله أو يتلفه لئلا يتوصل الى الآمر بالمعروف ، سواء فعل المبغض ذلك بنفسه أو ماله أو تسبب بوجه ما مثل أن يعطى الأجرة لمن يمنعه من الآمر به ودخل فى المعروف ما يعطيه من طعام أو شراب أو مال لمسلم أو غيره ممن تجوز الصدقة له ودفع الضر قال رسول الله ﷺ : « اصنع المعروف الى أهله والى غير اهله ، فان لم تصب اهله فانت أهله » (١) أى لا تحرم معروفك من علمته ومن لم تعلمه ، فان اصطنعته عند من يستحقه فهو ذاك ، وان اصطنعته عند من لا يستحقه فانت المستحق بالجزاء ، ولك عليه الفضل .

قال بعضهم : كنت يوماً عند معاوية بن ابى سفيان فالتفت الى شيخ فقال : حدث القوم بحديث حمْير ، فقال الشيخ : خرج حمير متصيّداً فتمثلت له بين يديه حيّة فى غاية الوجل فقالت : اجرنى اجارك الله يوم لا ظل الا ظله ، فقال لها حمْير : وممن أجيرك ؟ فقالت : من عدو قد ارهقنى يريد أن يقطّعنى ارباً ارباً ، وقال لها : من انت ؟ قالت : من اهل لا اله الا الله محمداً رسول الله ﷺ فقال لها : فانى اجيرك ، قالت له ـ وقد أراد أن يسترها بردائه ـ : أسترنى فى جوفك ان كنت تريد المعروف ففتح فاهه بعد أن أخذ عنها العهد أن لا تؤذيه ، فدخلت فى جوفه فاذا رجل قال له :

---

(١) رواه الترمذى .

* * * * * * * * * * * * * *

أين الحية ؟ فقال : لم أر شيئاً فاستغفر مائة مرة لكذبه ومع الرجل صمصامة يريد قتلها بها ، فذهب الرجل فقالت الحية : يا حمير هل تحس الرجل ، قال لها : قد ذهب ، فقالت له : اختر منى احدى خصلتين اما ان أقتلك مرة بثقب فؤادك او افتت كبدك فتلقيه من أسفلك قطعاً ، فقال حمير : والله ما كان هذا جزائى منك ، فقالت : صدقت ، ولكن ما رأيت أحمق منك ! وضعت المعروف عند من عرفت عداوة أبيك له قديماً ولم تعلم لى مالاً فاعطيكه ، فقال لها حمير : حتى احفر قبرى عند هذا الجبل ، فقالت : شانك وما تريد ، فرفع طرفه الى السماء وقال : يا لطيف الطف بى بلطفك الخفى ، يا لطيف يا قدير اسالك بالقدرة التى استويت بها على العرش ، يا حكيم يا عليم يا على يا حى يا قيوم يا الله ألا ما كفيتنى هذه الحية ، ثم مشى الى جهة الجبل اذا بفتى حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب ، وسأله عن شانه فأخبره فدفع اليه شيئاً أخرجه من كمه فقال له : كل هذا ، فاكله فاصابه مغص شديد ثم ناوله آخر فأكله فرمى الحية من أسفله قطعاً ، فقال له حمير : من انت يرحمك الله فما أجد أعظم منك منة على ؟ فقال : أنا المعروف ، وان اهل السماء لما رأوا هذه الحية وصنعها بك اضطربوا كلهم يسالون ربك أن يغيثك ، فقال الله عز وجل : يا معروف ادرك عبدى . وفى رواية بورقة من شجرة : طوبى فاياى أراد بما صنع ، وفى رواية : اعطاه ورقة خضراء وقال : كلها ، فأكلها فخرجت الحية من تحته قطعاً .

وروى أنه كان فى بنى اسرائيل شاب فقير يعمل فى يوم بأجرة ينتفع بها ثلاثة أيام وتعب يوماً تعباً شديداً فقال : يا رب ان على نذراً ان رزقتنى من فضلك شيئاً تصدقت بعشر ما يكون معى ، فاستأجره رجل عشرة أيام كل يوم بدرهم ومؤونته ، فتصدق بدرهم واتجر بها فصارت عشرين ،

. . . .

فتصدق بدرهمين واتجر وصارت مائة ، فتصدق بعشرة ، وكان على الزيادة كذلك واشترى ضياعاً ومزارع ، وكان يوماً على فرسه يريد المزرعة فاذا ثعبان اسود وأراد قتله فقال : أجرنى اليوم فان ورائى فارساً يريد قتلى قال : فادخل تحت ركابى ، فقال : بل فى جسمك فقال : كيف تفعل ؟ فقال : افتح لى فاك ، فدخل فى بطنه بعد أن اخذ عليه أمان الله أن يخرج ، وصبر ساعة فقال : أخرج فقد ضاقت نفسى ، قال : أنت بين ثلاث : اما أن تحلف الا تخرج العشر من مالك أبداً بالله وآياته ، واما أن آكل كبدك فتقع ميتاً ، واما أن أصب سمّى فى قلبك حتى يخرج منه الايمان ، قال : ومن أنت ؟ قال : انه شيطان ، قال : اصبر لى حتى أشرف على الجبل فاذا بفارس اقبل نحوه قال له : ما بالك ؟ فاخبره بقصته فناوله تمرة وقال : كلها فاذهب الى الغائط ، فذهب فاخرج الثعبان قطعاً فجاء الى الفارس فقال : من أنت ؟ قال : انا ملك من الملائكة ارسلنى الله اليك لا تقطع العشر من مالك .

وقال الربيع بن الفضل : كنت يوماً عند المنصور وعنده جماعة من اعمامه محمد بن على وقثم بن على وقالوا : ان فى حبسك محمد بن مروان فان رأيت أن تبعث اليه وتسأله عن كلام جرى بينه وبين ملك النوبة ، فبعث اليه وفك عنه الحديد وادنى مجلسه فقال : حدثنى بالكلام الذى جرى بينك وبين ملك النوبة فقال : يا امير المؤمنين انا كنا قوماً ملوكاً فلما انقضت بنا المدة أمرت بالمتاع فصير فى المركب فذهب بنا الموج شهراً ثم صرنا الى جزيرة النوبة ، فأمرت بالخيام فضربت ، فاقبلت النوبة ينظرون الى متاعنا ويتعجبون من حسنه ؛ فاقبل ملك النوبة فاذا هو رجل طويل أصلع عليه كساءة قد اشتمل بها وسلم وجلس على الأرض ولم يجلس على البساط ، فقلت له : لم تركت الجلوس على بساطى ؟ قال : انى ملك وحق لمن رفعه الله أن يتواضع اذا رفعه ، ثم صوب نظره فى وجهى فقال : ما بالكم تطئون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم فى كتابكم ؟ قلت : عبيدنا واشياعنا

فعلوا ذلك بالجهل منهم ، فقـال : ما بالكم تلبسون الديباج وتحلون بالذهب وهما محرمان على لسان نبيكم ؟ قلت : كنا قوماً ملوكاً فلما انقضت منا المدة استعنّا بأعاجم دخلوا فى ديننا فكرهنا الخلاف عليهم ، فجعل ينظر فى وجهى ويردد الكلام : عبيدنا وأشياعنا وأعاجم دخلوا فى ديننا كرهنا الخلاف عليهم ليس هـذا والله يا ابن مروان كما تقولون ، ولكنكم ملكتم فظلمتم وتركتم ما به أمرتم فأذاقكمُ الله وبال أمركم ولله فيكم نقمة لم تبلغ ، وانى لأخشى أن تنزل بك وأنت ضيفى وعلى بساطى فتصيبنى معك فارتحل عنى ، فتزودت وارتحلت ؛ والله أعلم .

وقد ذم الله تاركى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومدح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فى آيات كثيرة من كتابه ، من ذلك قوله جل وعلا : ﴿ لعن الذين كفروا ــ الى قوله ــ فعلوه ﴾ (١) وقال : ﴿ ولتكن منكم أمة ــ الى ــ من الصالحين ﴾ (٢) وقال عن لقمان : ﴿ يا بنى أقم الصلاة ــ الى ــ من عزم الأمور ﴾ (٣) وقال ﷺ : « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ المنكر أو ليسلطن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (٤) وعن أبى بكر رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من قوم عملوا بالمعاصى ومعهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمّهم الله بالعذاب من عنده » ، قال الله تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكّروا به ــ الى ــ يفسقون ﴾ فالعاصى والراضى وتارك النهى على قدرة شريكون

(١) سورة المائدة : ٧٨ .
(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .
(٣) سورة لقمان : ١٧ .
(٤) رواه مسلم .

فى العقاب والناهى ناج وقال ﷺ : « ألا أدلكم على ميت الأحياء ؟ قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر » .

واجاز الله سبحانه وتعالى ترك النهى عند عدم القدرة رحمة ورخصة ، ومن قام بذلك مع عدم القدرة فله ثواب ، ويقال : مر بالمعروف وانه عن المنكر فان ذلك لا يقرب لك أجلاً ولا يقطع لك رزقاً ، واذا كانت الأرزاق موافية فعلام التهافت فى النار ، أوحى الله الى الملائكة أن ينزلوا الى أهل قرية بالهلاك فوجدوا قوماً فى المساجد فرجعت الملائكة فقالوا : الهنا ارسلتنا أن نهلك قوماً فى المساجد والله اعلم بذلك فاوحى الله اليهم باولئك فابدأوا اذ لم يغضبوا من اجلى بل شاربوهم وآكلوهم ومن لم يستطع فليخوف بالرفق والموعظة الحسنة ، ومن دعا الى طاعة الله وعبادته فاستجاب له على ذلك من استجاب ، فاذا كان يوم القيامة اجتمع هو والذين استجابوا له فيسيرون معاً الى الجنة ، واذا دعا الى باطل وضلال فاستجاب له من استجاب فاذا كان يوم القيامة اجتمع أولئك الذين استجابوا له وساروا معه الى النار ، قال الله تعالى فى فرعون يقدم قومه يوم القيامة : ﴿ فاوردهم النار وبئس الورد المورود ﴾ (١) .

(ولا عذر فى تصويب منكر وأهله وتخطئة ضدهما) وهو المعروف وأهله (و) لا فى (معونته) أى معونة المنكر ، ودخل فى ذلك معونة أهله لأن معونتهم من حيث أنهم أهل منكر معونة للمنكر ، وسواء أعان بلسانه أو بدنه أو ماله أو بالأمر أو بوجه ما ، (وان) فعل شيئاً من ذلك (بجهل)

(١) سورة هود : ٩٨ .

وصح فى ترك تصويب وتخطئة وامـر ونهى فيمـا يسـع جهله مـا لم تقم الحجـة به او يصـوب الخطـأ كعكسـه أو يفعل . . . .

بأن ذلك الفعل او الترك منكر أو معروف . والجهر فيما يدرك بالعلم عمدٌ وتصويب المنكر ان كان على وجه تحليله شرك ان كان منصوصاً عليه أو مجمْعاً عليه او متواتراً والا فنفاق ، وان كان دون وجه التحليل فان كان المنكر كبيرة فنفاق والا فذنب .

(**وصح**) العذر للمكلف (**فى ترك**) اى عدم (**تصويب**) للمعروف (**وتخطئة**) للمنكر (**وامْر**) بالمعروف (**ونهى**) عن المنكر (**فيما يسع جهله**) اى : جهل أنه معروف أو عبادة او فرض ، أو انه منكر أو معصية أو محرم (**ما لم تقم الحجة**) من المكلف (**به**) أنه معروف أو عبادة أو فرض أو منكر او معصية او محرم بأن يخبره بذلك امينـان ، وقيل : أو أمين ، وقيل : أو من صدقه هكذا ، أو يخبره به من ذكرنا عن القرآن أو السنّة أو الاثر ، أو يحفظه بادراك معناه من القرآن أو السنّة أو الاثر من كتاب من كتب من تقوم به الحجة .

(**أو**) ما لم (**يصوّب الخطأ كعكسه**) وهو تخطئة الصواب مثل أن يذكر له أو يخطر بباله خطأ فيقول أو يعتقد انه صواب أو عكس ذلك جهلاً ، أو يصوّب احداً فى شىء هو خطأ او بالعكس أو تبرأ منه لأمْر هو صواب أو تولاّه لأمر هو خطأ وما اشبه ذلك جهلاً .

(**أو يفعل**) ما هو خطأ فانه لا يعذر فى الجهل ، وكذا ان ترك فرضاً ، وتحريم المباح والتخطئة له او به كذلك ، ومن الفعل الشهادة بربا وكتابته اذا علم كيف فعل البائعان وجهل أن ذلك ربا فانه لا يعذر ، وان حرم أو خطأ أو فعل بجهل ووافق أو فرض أو صوّب أو فعل كذلك ووافق فقيل :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا يسـع نسيان ما قامت به من قرآن او سنّة أو بأمنـاء ، ولا يعـذر جاهل ذلك انه حجة ان لم يعلم وكذا آخـذه ممن ليس بحجـة عليــه ككتاب أو متبرىء منـه او بغير أمين او واحـــد ان صـدق . . . . . .

كفر لتقدمه بجهل ، وقيل : عصى ، وقيل : لم يعص وبئس ما صنع ، وقيل : كفر بالقول .

(**ولا يسع نسيان ما قامت**) أى الحجة (**به من قرآن**) نكره بمعنى أن كل آية منه أو كلام قرآن او للتعظيم (**أو سنّة**) او اجماع (**أو**) مـا قامت فيه (**بأمناء**) امينيْن فصاعداً ، وقيل : أو بواحد على انها تقوم به بلسانه أو كتابه ، ويكفى واحد من كتب المذهب على كل حال لأنه قد تداوله كثير من اهل المذهب واقرّوه .

(**ولا يعذر جاهل ذلك**) المذكور وهو ما قامت به الحجة من القران أو السنة أو الأمناء (**أنه حجة ان لم يعلم**) انه حجة بفتح همزة [أن] على تعليل ليعذر لا للنفى ، اى عذر جاهل انه حجة لعدم علمه أنه حجة منتْف غير ثابت (**وكذا**) لا يسع نسيان (**آخذه**) اى نسيان ما أخذ هذا الآخذ مما هو فرض أو محرم ومعصية أو عبادة ، رد الضمير الى ما دل عليه المقـام ، ويجوز عوده الى ما قامت به الحجة بقطع النظر عن كونها القرآن أو غيره مما ذكر (**ممن ليس بحجة عليه ككتاب**) كتبه أحد او مما وضعه عالم ولم تداوله جماعة تصححه ، أو لا يدرى مصنفه أو كاتب الكتابة (**أو متبرىء منه أو بغير امين**) أراد به الموقوف فيه ولو اطّلع منه على شىء لا يحسن فى الكلام او النقل مما لا يبرأ به منه ، وانما قلت ذلك لأن المتبرأ منه قد ذكر (**أو**) بأمين (**واحد ان صدق**) من ذكر من متبرّىء منه او موقوف فيه أو امين واحد فى قوله : ان كذا حرام ، أو فرض او سنّة أو طاعة أو معصية او آية من القرآن أو حديث أو نبى أو ملك كل واحـد

ورخص فيهما اذا لم يجعلنـــا كما قيــل حفظة لا ننسى . . .

من ذلك حجة على المكلف اذا صدقه ، فان تركه عمداً أو ألقاه أو نسيه لم يعذر ان وافق الحق ذلك ، والا فقيل : كفر ، وقيل : عصى وذلك لأنه مخاطب بما صدقه ، وقيل : لا يعصى لانكشاف أن ما صدقه فيه غير صحيح (**ورخص فيهما**) اى فى نسيان ما قامت به الحجة وما اخذه بتصديق ممن لا تقوم به الحجة (**اذ لم يجعلنا**) ربُّنا (**كما قيل**) أى كما قال الشيخ مصالة : (**حفظة لا ننْسى**) أى كحفظة لا ننسى كما لا تنسى الملائكة الحفظة ، أو لم يجعلنا نفس الحفظة لا ننسى ، وروى انه ترك ذلك فقيل : لم ترك ذلك ؟ وهو محقّ فى قوله رحمه الله ، وجملة لا ننسى مفعول بعد مفعول ثان ، وهو مصالة بن يحيى وكان كثير الثقة بالله عز وجل ، وكان يقول : انمـا استدللْنا على ان الله عز وجل قد استجاب دعاءنا الذى ندعوه به فى أمر الآخرة بما شاهدناه من اجابة دعائنا فيما نسأله فى الدنيا ، وذكروا أن مصالة اوصى داود بن ابى يوسف فقال : اذا عمل أهل وارجلان عملاً مما لا تعلم فاحمل نفسك على الكتمان ودع عنك الاختلاف ، وقد حكاه آخر عن أبى عبد الله أى اذا عملوا ما لا تعلم جوازه بل علمته حراماً فاعمل ما لزم أهل الكتمان من مجرّد الأمر والنهى بتلطف دون المبالغة والتغليظ المؤدى الى ظهور الاختلاف بلا ثمرة تتولد من ذلك ، بل يزدادون جفاء وفتنة ، وقال ابو نوح : كان مصالة اذ سئل بماذا تصلى هذه الفضيلة أو هذه النافلة من القرآن ؟ يقول : القرآن كله كقدح عسل فما والاك منه وجدته عسـلاً ، والحجة فى امر الدين أمينان ، وقيل : أو امين ولو عبداً ، أو أمينة ولو امة ، وقيل : أو التصديق وفهم الانســان من القرآن أو السنّة أو الأثر ، ويكفى ما فى تصنيف من تصانيف اصحابنا ولو بنسخة غير مصنفة ولو واحدة وذلك على القول بأن الأمين الواحد حجة ، أو بأن التصديق حجة ، وقيل :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

. . . .

لا تكفى نسخة واحـدة بل نسختان معروضتان على امين ، او كل واحدة من خط امين ، وقيل : لا يكفى ما فى تاليف عالم واحد ولو تكرر فى تاليفه بل لابد من تأليف آخر لغيره يوافق فى المسالة ، واقول : اذا تداول تاليفا واحداً أمينان وقبلاه وكانا من اهل العلم فذلك ثلاثة ، ويكفى واحد مع مؤلفه فكيف بكتاب تواترت عليه الجماعات ؟ وقيل : لا تقوم الحجة الا بثلاثة أمناء ، وقيل : بخمسة ، وقيل : بعشرة ، وقيل : باثنى عشر ، وقيل : بعشرين ، وقيل : باربعين ، وقيل : بثلاثين ، وقيل : خمسين الى غير ذلك من أقوال فى الاصول ، وذلك فى التواتر ، والحق أن الحجة تقوم بالواحد الثقة لان الله تعالى يقطع العذر برسول واحد ، ولان الشرع ورد بالعمل بالمؤذن الواحد والقاضى الواحد ، ومازال التابعون يسالون صحابياً واحداً ويعملون به والصحابة فيما بينهم ، وقيل : الواحد حجة ان كان غاية فى العلم بحيث لا يعترى الضعيف شك فى فتواه والله اعلم ، وحجة الله عباده عندنا ، وعند بعض قومنا الكتب والرسل فلا يعذر مشرك على الشرك ولو لم يبلغه كتاب ولا رسول ، ويعذر فى الفروع ما لم يبلغه حكمها ، وتحقيق ذلك أن المكلف يدرك بعقله أن الصنعة لا بد لها من صانع فيتدرج بذلك الى معرفة هذا الصانع فلا يعذر فى ترك معرفة ان الصنعة بلا صانع فيعلم أن الصانع للمخلوقات الله فيجب عليه ان يعلم أنه لم يخلقه عبثاً ، وأن له عليه حقاً فيبحث عن هذا الحق ما هو ؟ حتى يتصل بالكتاب أو الرسول او من يعلمه الشريعة فيتعلم حقوق الله فيؤديها ، فالحجة عندى العقل والكتب والرسل ، ثم رأيتها كذلك عند أبى القاسم البرادى اعنى انه قال : الحجة : العقل والكتب والرسل ا هـ . فمن سمع فبفضل الله تعالى ، ومن لم يسمع فبعدل الله ، وتفريطه فى الطلب بعد ان اوجب عليـه العقل ان للصنعة صانعاً ، فمن كان على دين نبى فهو معذور ما لم يبلغه ما ينسخه ، ومن غاب ونزل وحى بعده فهو معذور ما لم يبلغه ما نزل بعـده ،والاصم مكلف

• • • • • • • • • • • • • •

ان كان عنده عقل ، ويفهم باشارة أو كتابة ، والعقل حجة بواسطة الرسل مطلقاً وحجة وحده فى التوحيد لدلالة الحوادث ، ولو كان العقل وحده حجة مطلقاً لما قال الله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل ﴾ (١) ولم يقل بعد العقل ، ﴿ وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا ﴾ (٢) ولم يقل حتى نركّب عقولا ، وجعل الله لنا دليلا فى انفسنا وسائر خلقه وقال : ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك ربك ﴾ (٣) ومن المعلوم أنه أرسل الى جميع العقلاء ثم قال : ﴿ فتولّ عنهم فما أنت بملوم ﴾ فكلهم سمعوا بأوجه مختلفة آخرها حجة العقل فى التوحيد يدرك أن الشىء لا يخلق نفسه والشىء لا يخلقه مثله لإستوائه معه فى التركيب والحدوث والعجز ، فيعلم أن الخالق ليس مثل المخلوق ، واذا تبيّن ما تبين فلا يقطع عذره بما لم يتبين بعد لقوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضلّ قوماً بعد اذ هداهم ﴾ (٤) ، وقال أيضاً : ﴿ وان من أمّة الا خلا فيها نذير ﴾ (٥) ، وقال عبد الله بن يزيد ومن معه : حجة الله فى التوحيد السمع ، وان المكلفين كلهم قد سمعوا وأنه لا يكلفهم الله لو لم يسمعوا ، وفى الفرائض الكتاب والسنّة ، الا أنه زعم أنه يجب العمل دون العلم ولو لم يسمعوا فيلزمه وصف الله بالجور اذ كلفهم ما لم يسمعوا ولم يدركوه ولا يستطيعونه لأن الكافر عنده غير مستطيع للايمان فكيف يقطع عذر من لم يستطع ، ويوسع لمن لم يسمع لو لم

---

(١) سورة النساء : ١٦٥ .

(٢) سورة الاسراء : ٢٥ .

(٣) سورة المائدة ٦٧ .

(٤) سورة التوبة : ١١٥ .

(٥) سورة فاطر : ٢٤ .

. . . .

يسـمع ؟ اذ قد يسمع ، ولا يفعل عناداً ، فكيف يكون أولى بالعذر من المضطر بعدم الاستطاعة ؟ فانه اذا استطاع فعل ولابد لأن المستطيع عنـده هو الذى فعل ومن لم يفعل فهو غير المستطيع ، وان قال : قطعتم هذا لأن التوحيد عنـده لا يوجـد من لـم يسـمعه بخـلاف الفرائض ، فان كان ذلك جوراً فقد نسبته الى الله مع أنه لم يوجـد عندك غير مستطيع للتوحيد أى مجبر ، وما كان كثيره جوراً فالقليل منه جـور أيكلف عندك بالفرائض من لم يستطع والكثير الفرائض والقليل التوحيد ولم يعكس هذا لأن التوحيد عنـده لا يوجـد من لـم يسـمعه بخـلاف الفرائض ، ولا يلزمنا النسـبة للجـور فان الحجة عندنا الالزام فيما لم يسمع والكافر مستطيع اذ كانت عنده آلات الادراك فلزمه التخلى عن الكفر الشـاغل عن الايمان ، قال عبد الله بن يزيد : المكلفون كلهم سمعوا اما فى الطفولية أو فى البلوغ من لسـان آدمى أو جنّى أو ملك أو جمـاد ينطقه الله ، وما سمعوا فى الطفولية من ذلك يبقى الى البلوغ ولابد عنده فى المسالة (١) .

وعن سعيد الحذاء : حجة الله قامـت فى التوحيـد والرسـول على المكلفين ولو لم يسمعوا ولو كانوا على دين نبى ، واعترض عليه عبد الله بن يزيد بأنه يلزمك أن تقول كما قال اهل القـدر : الحجة العقـل وحده ، وقد عبّت أنت وأنا عليهم ، وأهل القـدر هم أهل الفكر ، وأجـاب سعيد بأن أهل الفكر يقولون : حجة الله موجـودة فى عقول المكلفين يكتفـون بافكارهم عما جاءت به الرسـل ، ما لم يسمعوا ، ولا يوجبـون معرفة الرسـول حتى يسمعوا بها ، وأنت يا عبـد الله بن يزيـد قـد وافقتهم اذ قلت : ان حجة رسول الله ﷺ غير قائمة الا بالسماع كانك عذرت من جهـله ، ولولا قولك يا عبد الله بن يزيد : بأن الناس قد سمعوا لدخلت

---

(١) كذا بالنسخة ويظهر أن هنا سقطا كان المؤلف اراد أن يلزمه بلازم .

. . . .

فيمن عذر بجهل محمد ﷺ وشرعه حتى يسمعوا قول سعيد أقرب الى الحق .

واعترض سعيد على عبد الله بانه يجوز لمن على دين نبى أن يقيم عليه ما لم يبلغه نسخه برسول بعده عندنا ، وعندك فكيف يسع ذلك عندك وأنت قلت : قد سمع الناس كلهم ؟ واعترض عيله أيضاً بانه يلزم أن يكون من فى المشارق والمغارب سمعوا بفرائض الشرع وأنت يا عبد الله أوجبت العمل بها وهم بلا شك لم يسمعوا فعقابهم مع عدم السمع جور ، تعالى الله عنه ، وكما أن الحجة قائمة على الناس ولو لم يسمعوا فى الفرائض فكذلك فى الرسول ، وان قيل من جانب عبد الله أن الناس سمعوا بالفرائض حين سمعوا بالجملة لدخول الفرائض فيها كما أجاب له به ضعفاء القوم قلنا : لا نسلّم أن الناس سمعوا بالجملة فضلا عن أن يكون سماعها أصلا يبنى عليه ، ولو سلمنا ذلك لم نسلّم أن سماع الجملة مؤد الى السماع بالفرائض ثم انه ان قال سمع الناس كلهم حين قال : ﴿ يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً ﴾ (١) فليس الناس كلهم موجودين فى ذلك الحين ، ومن وجد فمنهم من فى أقصى المغرب وأقصى المشرق ، ومنهم يأجوج ومأجوج وراء السّد ، وأجاب قوم بانه ﷺ دعا يأجوج ومأجوج ليلة الاسراء ، ويوجد محمد رسول الله ﷺ مكتوباً فى الأحجار وأوراق الشجر والحوت فينتشر بذلك ، وقد بينت جملة من ذلك فى : « **رد الشرود الى الحوض المورود** » ويبحث بأن وجوده مكتوب بكتابة ربانية ، كذلك قد لا يدرى به أهو آخر الأنبياء والرسل أو رسول من رسل الله ؟

ومذهب سعيد الحذاء مذهبنا ، والحجة قامت على الناس كلهم والسماع بالاذن ، ومثله الفهم بالكتاب والاشارة ، ومعنى قيام الحجة

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

. . . .

ان يخاطب رسول الله ﷺ من حضره ويكتب لمن لم يحضره أو يرسل اليه ويضيّق على من لم يحضر ولا يبلغه رسول ولا كتاب ان لم يكن على شيء من دين الله تبارك وتعالى ، وقالت المعتزلة : حجة الله تعالى التى لا يقطع بها العذر هو العقل السالم بواسطة الأدلة من الأرض والسماء وغيرهما فلا باس عليهم بترك الفرض أو فعل الحرام أو جهلهم رسول الله ﷺ ان لم يجدوا ذلك فى عقولهم ، وكذا قال عيسى بن عمير وأحمد بن الحسين ، كذا قيل عنهم ، وذلك فيمن لم يسمع ، وقيل عنهم : ان العقل السالم يدرك الحق كله باصوله وفروعه على طبق ما فى القرآن والسنّة ، وقالت القدرية : العقل حجة فى التوحيد وعذروا فى غيره من الحرام والفرض من لم يسمع حتى يسمع ، وكذا قال أهل التفكير ، وان قالوا : ليس العقل علة التكليف قلنا : بلى لكنه علته فيما يلقى الى العقل من الخطاب لا فيما ينبعث اليه ويهجم عليه ، وان قالوا .قوله تعالى : ﴿ فلما جنّ عليه الليل ﴾ (١) الآية ، استدلال من ابراهيم عليه السلام بالعقل على أن للصّنْعة صانعاً قلنا : ابراهيم عليه السلام مؤمن بالله قبل ذلك ، ولم يتقدم كفرٌ قطّ حاشاه كسائر الأنبياء ، وانما ذلك زيادة توبيخ لقومه فى عبادتهم ما هو مربوب عابد عاجز بعد تقدم الحجة عليهم بغير ذلك ، وان قلت : فقد قال الله تعالى : ﴿ أولَمْ يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض ﴾ (٢) ، ﴿ ان فى خلق السموات ﴾ ، ﴿ ان فى ذلك لآيات ﴾ (٣) الآيات ونحوها ، قلت : ذلك دليل للعقل أن لهذه الحوادث محدثاً اجمالاً ولابد له من مرشد يرشده الى التفاصيل والدقائق فادنى صنعه كالصياغة والنقش انما تمتثل محققة بمعلم فكيف غوامض التوحيد والفرائض

---

(١) سورة الأنعام : ٧٦ .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٣) سورة البقرة : ١٦٤ .

والحرام وغير ذلك ؟ ولو كفى العقل لم يرسل الله تعالى الرسل ولم ينزل الكتب ، ولما قال : ﴿ رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (١) ولما قال : ﴿ أن تقولوا ما جاءنا من بشير ﴾ (٢) الآية ، ولما قال : ﴿ أن تقولوا انما أنزل الكتاب ﴾ الآية ، ﴿ وان من أمّة الاّ خلا فيها نذير ﴾ ﴿ ألم يأتكم نذير ﴾ ﴿ ألم يأتكم رسلكم بالبينات ﴾ ﴿ ما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبيّن لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ فالضلالة والاهتداء بعد الرسالة : ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ﴾ الآية ، ﴿ وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا ﴾ ﴿ كذبوا الرسل فحق وعيد ﴾ .

ثم ان التفكير الذى يعرفون به اما أن يكون كسباً أو اضطراراً ، فان كان كسباً فاما أن يكون طاعة ، فكيف يطيع الله من لم يعرفه ويفرده ؟ لأنه حال التفكير لم يكن مدركاً بل يتعاطى الادراك ؟ واما أن يكون معصية فكيف يعصى بما هو سبب المعرفة ؟ وان كان اضطراراً دخلوا فى الجبر وقد أبَوْه ، ثم ان جعلوا الفكر حال الطفولية فالأطفال مريدون مستطيعون للايمان والكفر اذاً فما وجه تأخر تكليفهم واباحة الكفر لهم حتى يتفكروا ، وان جعلوه حال البلوغ لزمهم اباحة الكفر لهم حتى يتفكروا ورجعوا الى قولنا : ان الارادة مع المراد والاستطاعة مع الفعل ، ومن وسعه الجهل بالله فى حال ما لزم أن يسعه فى كل حال اذ لا فرق بين أحوال المكلف التى هو فيها عاقل ، ثم أن كان فى أول البلوغ عارفاً فلا حاجة للتفكر والا لم يغنِ عنه تفكره شيئاً اذ لم يعرف الله سبحانه

(١) تقدم ذكرها .
(٢) سورة المائدة : ١٩ .

. . . .

وتعالى ، وان قالوا : المفكّر موسّع عليه حال تفكره ، قلنا : أخبرونا اشاكٌ أو معتقد أو مؤمن أو من أهل الجنة أم بعكس ذلك ؟ ثم انه لو كان العقل حجة لم تختلف العلماء فى التحليل والتحريم ولم تتناسخ الشرائع لأن حجة العقل لا تختلف ، وأيضاً فقد فكروا فانكروا الربوبية وفكروا فقالوا : الهين اثنين ، وفكروا فقالوا : ثالث ثلاثة ، وفكروا فقالوا : انه جسم ، تعالى الله ، فكيف لو وكلهم الله الى عقولهم من أول انسان الى من تقوم عليه الساعة ، ثم انهم حال التفكر ما يفعلون وما يذرون فى أكلهم وشربهم لما هو حرام أو حلال ونكاح محارمهم والمحرمات عليهم وقصاصهم وارشهم ، وقد كثر النزاع بين الموحدين مع رجوعهم الى أصل واحد ، فكيف بمن تحيّر ؟ وسياتى بعض هذا الفن فى قوله : باب ما سمعه المكلف أو رآه الخ ، والله اعلم .

فصــــل

الأشر والبطــر زيادة فيما لا يعنيــه . . . .

فصــــل

فى الأشر والبَطر

(**الأشر والبَطر**) بفتح أوليهما وثانيهما (**زيادة فيما لا يعنيه**) اى : المبالغة فيه حتى يتعدى حد الله تعالى فهما كبيرة وهما مترادفان ، وان شئت فقل هما كفر النعمة ، وفى القاموس : البطر : محركة النشــاط والأشر : قلة احتمال النعمة والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهية الشيء من غير أن يستحق الكراهة ، وبطر الحق : تكبر عنه فلم يقبــله ، قال الله تعالى : ﴿ وكم أهلكنــا من قرية بطـرَت مَعيشتها ﴾ (١) وهما ناشئان عن الكبر والعياذ بالله منه ، وأخلاق الكبر كلهــا تسمى كبراً كمــا فى « القناطر » من الحسـد والحقد والرئاء والعجب لأنه أوّله فى القلب ، استعظام القدر فاذا استعظم العبد قدره تعظم ، واذا تعظم أنف وتعزز وافتخر واستطال ومرح واختــال ، ويأتى فى كلام المصنف أن البطر

---

(١) سورة القصص : ٥٨ .

وكفر واصف بهما مسلماً لا بهيمة ولا مجنوناً ان استعملهما ويؤدب راميها بهما . . . .

يكون بمعصية اللسان والجوارح (**وكفر واصف بهما مسلماً**) كفر نفاق ان لم يكن المسلم منصوصاً عليه ، وكفر شرك ان كان منصوصاً عليه (**لا**) واصف بهما (**بهيمة ولا**) واصف بهما (**مجنوناً**) ولا غير بالغ (**ان استعملهما**) أى الأشر والبطر ، وضمير الرفع فى استعمل عائد الى احد المذكورين أى ان استعمل البهيمة أو المجنون الأشر والبطر ومعنى استعمال البهيمة والمجنون الأشر والبطر عمل صورتهما بأن لا تستقيم حالهما وكذا غير بالغ (**ويؤدب راميهما**) أى : رامى البهيمة والمجنون وكذا رامى الطفل (**بهما**) أى : بالأشر والبطر كما يؤدب المجنون والطفل بتلك الأفعال التى تسمى من المكلف أشراً وبطراً ، وتضرب الدابة ان كانت تستقيم بالضرب ، ولا يبرأ ممن وصف الطفل والمجنون ومن لا يكلف بالأشر والبطر لشىء رآه غير مستقيم ، وأما وصفهم بذلك لا لشىء غير مستقيم فذلك كذب فيبرأ منه ، وقيل : لا يبرأ من كذب لا يوصل لشرك ولا فسدت به الأموال أو الأنفس ، والفرق أنه ان كان منهم ما يشبه الأشر والبطر من المكلف حمل وصفه على التشبيه ، فاما ان يريد المصنف بالرامى الكاذب بانهما أشرا ببدنهما وهما لم يأشرا ، واما ان يريد أنه وصفهما بالأشر والبطر الذى هو ذنب فى حق المكلف انه يصفهما بالأشر والبطر ولو على التشبيه لأنه تشبيه أدى الى ابهام الكفر ولا يوصف به ، واما أن يريد بالرامى أن يصفهما بالأشر والبطر بلا صفة منهما تشبه الأشر والبطر والشيخ أحمد رحمه الله لم يذكر انه يؤدب راميهما بل ذكر مسالة أخرى وهو أن المجنون اذا صدرت منه تلك الأفعال أدّب ، وما ذكره المصنف أيضاً حق مذكور فى كتاب الأحكام وغيره انه يؤدب الانسان على لفظ السوء ، وفى « الأثر » : انه تضرب الدابة لتقلع عن الفساد وان

وهلك متبرّئ منهما ومن طفل ومن لا يستوجبهـا ورخص فى غـير ذى روح ان يعصى فقط ، وقيل : لا يهلك متبرئ من بهيمة • • • •

الطفل والمجنون يؤدبان على فعل ما لا يجوز من المكلف وما لا يحسن ، (**وهلك متبرئ منهما**) بأن قال تبرأت منهما أو قال هما كافران أو أهل النار او لعنهما الله ؛ أو يهوديان او نصرانيان ؛ أو نحو ذلك مما يوصف به المكلف الفاعـل للكبيرة (**ومن طفل**) ولو كان أبوه مشركاً أو منافقاً أو موقوفاً فيه ، أو كان عنده وكذا المجنون (**ومن لا يستوجبها**) اى البراءة المفهومة من لفظ متبرء ، واراد بمن لا يستوجبها العقلاء المكلفين من الانس والجن والملائكة وغير العقلاء كالأرض والشجر وآلات العمـل وغير ذلك مما لا يجرى عليه التكليف وسواء فى المكلفين أن يكونوا فى الولاية فان من تبرأ منهم كفر نفاقاً ان لم ينص عليهم وكفر شركاً ان نص عليهم ، وان يكونوا فى البراءة أو الوقوف اذا تبرأ منهم على غير وجه يوجب البراءة وذلك ان يتبرأ منهم على فعل ما يجوز لهم فعله أو يجب فعله أو لا يوجب براءة ولو معصية •

(**ورخص فى**) براءته من (**غير ذى روح**) بـ (**أن يعصى**) أن يحكم عليه بمجرد العصيان (**فقط**) ويوكل أمره الى الله ؛ اذلك منه كبيرة ام لا ؟ فان أصرّ برئ منه لأنه ان كان ذلك كبيرة عند الله تعـالى فقـد أصرّ أيضاً ، وان كان صغيرة عند الله تعالى فقـد أصرّ والاصرار كبير ، (**وقيل : لا يهلك متبرئ من بهيمة**) بل يحكم عليه بمجرد العصيان كما فى غير ذى روح عند هذا القائل أيضاً ، ويستثنى من غير ذى روح ما يعظم شأنه كجسد الميت المتولى والمصحف والكعبة ، وحكم جسد المتولى بعد موته حكمه قبل موته ، وكذا ما انفصل من جسده فمن تبرأ من جسم نبى أو بعضه اشرك ، وكذلك المنصوص عليه ، ومن تبرأ من جسم متولى غير منصوص عليه او بعضه فقد نافق ، ووجه القول الأول أنه خالف الحق ووضع البراءة

فى غير موضعها ، وتقدم بين يدى الله ورسوله فى جنب البهــائم والجمادات وظلمهن اذ تبرأ بلا موجب ، وفعل ذلك كله فى جنب الطفل والمجنون مع الرجوع عن العلم ان كان فى ولايته والمضى حيث يجب الوقوف ان كانا فى الوقوف ، وكذا فى البالغ العاقل ، وان تبرأ منه بما لا يوجب براءة فذلك أيضاً كتحريم حلال ، ووجه القول الثانى أن ما لا روح فيــه لا يمكن أن يعاقب بالنار أصلاً ، فوصفه بموجبها ككذب لا يهرق دماً ولا يفسد مالاً ولا يوقع فى كفر ؛ لكن لا نسلّم لمن يقول : ان الكذب غير كبير الا ان كان كذلك ، ووجه الثالث فى البهيمة انها ولو كانت ذات روح لكنها كالجماد لا يمكن منها الكفر فى الحال ولا فى المــآل فكانت البراءة منها كالكذب المذكور آنفاً ، (**عندنا وعصى**) عصياناً لا ندرى اهو عند الله تعالى صغير أو كبير ؟ وهكذا حيث أطلقوا العصيان ولم نجد دليلاً على انه كفر لئلا نخرج الى القول بظهور الصغيرة واحترز بقوله : عندنا عن المخالفين ، فانه لم يرخص منهم أحــد أن لا يهلك متبرىء من بهيمة وليس كذلك بل عندهم خلاف هل ذلك كبيرة ؟ فقيل : كبيرة وكفر كفر النعمة ، وقيل : صغيرة فالظاهر انه قال : عندنا تحرزاً عن أن يقال : ان هذا القول ليس فى المذهب .

(**والبطر يكون بلسان**) تركاً وفعلاً فالترك كترك الأمر والنهى والتعليم حيث يجب ، والقراءة حيث تجب ، والارشاد للمصلحة حيث يجب والتنبيه على المضرة والسكوت فى كل ما يجب فيه التكلم والفعل ؛ (**كشتم**) للمتولى والموقوف فيه وذلك فى أمر الآخرة والدنيا كقولك له : يا ناقص أو يا كلب ، وخطابه بخطاب المؤنث ان لم يكن عرف كاهل تونس فانهم والعياذ بالله يقولون للذكر : أنت بكسر التاء ، وكشتم المتبرء منه بأمر لا يتأهل به للشتم .

وافتراء وغيبة ونميمة ونهى عن خير وأمر بشتم وايـذاء من حـرم ايذاؤه وبغيره من الجـوارح كاضرار بهـا ومنع واجب . . . . .

(**وافتراء**) اشد الكذب ، وقيل : الكذب عن عمد بناء على أن الكذب ايضاً يطلق حيث لا عمد ولكن لا ذنب فيه ؛ (**وغيبة**) ولو لغير المتولى بأن يذكر غير المتولى بما يجوز له فعله ويريد تنقيصه بذلك فان هذا فى منزلة غيبة المتولى (**ونميمة**) فانهـا حرام ولو لم يقع بها فتنة ولا حقد (**ونهى عن خير وأمر بشتم وايذاء من حرم ايذاؤه**) كنسبته الى أمه وندائه بأبغض أسمائه ، وقوله له : يا كافر ، والسعى به لجائر يضره ، والدلالة عليه أو على ماله لمن يضره ، والبهتان وذكر الايذاء بعد ذكر الشتم والافتراء والغيبة ذكر عام بعد خاص ، (**وبغيره من الجوارح كاضرار بها**) كضرب وسد طريق او مجرى وقعود او قيام فى طريق بلا اعطاء لحقها وافساد مال ؛ وغمز ورمز واشارة (**ومنع واجب**) من زكاة ودين وأرش وصداق وغير ذلك ، واما ما يحل فعله أو قوله أو تركه فليس بطراً ولو كان مكروهاً الا أنه ان كان مكروهاً وذكره بلفظ البطر وقرنه بما يعلم به أنه ليس معصية جاز .

والأشر كالبطر فى ذلك كله ما ذكره المصنف وما ذكرته ، ومن ذلك : الانتصار اذا ظلم فانه ليس بطراً ولا أشراً قال الله تعالى : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ (١) الآية وهذا فى القصاص والغرم والكلام حيث يجوز قـال ﷺ : « اذا قال الرجل لصاحبه : يا كافر فقد باء بالكفر أحدهما ، والبادىء أظلم » (٢) فاما أن يريد بالكفر الشرك فكل منهما ظالم والبادىء اشـد

---

(١) سورة الشورى : ٤١ .

(٢) رواه ابو داود .

• • • • • • • • • • • • • •

ظلماً لأن المشتوم غير مشرك ، والشاتم له بالشرك لا يكون بشتمه به مشركاً بل منافقاً ، وأما أن يريد بالكفر النفاق فاظلم بمعنى ظالم لأن المشتوم لا يعصى أصلاً بقوله : أنت الكافر ، لأن شاتمه قد كفر بشتمه بما ليس فيه ، وقد ورد الشرع بأشياء لا تجـوز المقابلة بها كالغيبة ، لا تقابل الغيبة بالغيبة ، ولا الشرك بالشرك ، ولا القذف بالقذف ، ولا التجسس بالتجسس ، وانما تجوز مقابلة الانسان بما فيه من سوء وبما يوصله اليـه قوله أو فعله ، ولا السبّ بالسب ، مثل السب بالآباء أو الأمهات أو بالقبائل أو بالصنائع ، قال ﷺ : « المتسابّان شيطانان يتهاتاران » (١) ، وقـال ﷺ : « وان امرء عيّرك بما فيك فلا تعيّره بما فيه » (٢) وروى أن رجلاً شتم ابـا بكر رضى الله عنه وهو ساكت ، فلما بدأ ينتصر قام النبى ﷺ فقال ابو بكر : انك كنت ساكتاً لمـا شتمنى فلما تكلمتُ قمتَ !! قال : « كان يجيب عنك ملك ، فلما تكلمت ذهب الملك ، وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس فى مجلس فيه الشيطان » ، وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ، ونهيه ﷺ عن التعيير بمثله نهى تنزيه لقرينة قوله تعـالى : ﴿ وجـزاءُ سيئة سيئة مثلها ﴾ (٣) ونحوه ، والأفضل تركه لكنه لا يعصى به ، والذى رخص فيه أن يقول : من أنت وهل أنت الا من بنى فلان ، قال سعد لابن مسعود : هل أنت الا من بنى هذيل ؟ فقال ابن مسعود : هل أنت الا من بنى أمية ؟ ومثل قوله : يا أحمق ، قال بعضهم : كل الناس أحمق فيما بينه وبيْن ربه الا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض ، وكذا يا جاهل اذ ما من أحـد الا وفيه جهل ، وكذا يا سىء الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاّباً للأعراض ، وما أحقرك فى عينى بما فعلت ، ولو كان فيك حياء ما تكلمت بهذا .

---

(١) رواه البيهقى .

(٢) رواه الترمذى وابن حبان .

(٣) سورة الشورى : ٤٠ .

• • • • • • • • • • • • • •

واما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين والنسبة الى الزنى والفحش فحرام بالاتفاق ، وانمـا الرخصة فى مقابلة الايذاء بالصدق جزاء على ايذائه السابق ، وقد قال ﷺ : « المستبّان ما قالا فعلى البـادىء ما لم يتعد المظلوم » وهذا رخصة ، والفضل تركه لئلا يجر الى الزيادة ، فان الوقوف على مقدار الحق صعب •

ومن الناس من يغضب ولا يضبط نفسـه عن الغضب ، ولكن يعود سريعاً ، ومنهم من يكف فى الابتداء ويحقد فى الدوام ، والناس أربعة : بعض كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود ، وبعض كالغضا بطىء الخمود ، وبعض بطىء الوقود سريع الخمود وهو الأجمل مـا لم يخرج عن الغيرة ، وبعض سريع الوقود بطىء الخمود وهو شرهم ؛ وعنه ﷺ : « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه بتلك » (١) وقال ﷺ : « ان بنى آدم خلقوا من طبائع شتى ، منهم بطىء الغضب سريع الفىء ، ومنهم سريع الغضب سريع الفىء ، فتلك بتلك ، ومنهم سريع الغضب بطىء الفىء آلا وان خيرهم البطىء الغضب السريع الفىء ، وشرهم السريع الغضب البطىء الفىء »(٢) •

ولـا كان الغضب يهيج فى الحـال ويؤثر فى كل انسـان وجب على السلطان أن لا يعاقب احداً فى حال غضبه عليه لأنه ربما يتعدى الواجب او يكون شافياً غيظه ومريحاً نفسه ، وانما الواجب الانتصار لله •

اراد عمر أن ياخذ سكراناً ليعزره اذا صحا فشتمه ، فرجع عمر ، فقيل

---

(١) رواه الداوقطنى •

(٢) رواه البيهقى وأبو داود•

• • • • • • • • • • • • • •

له فى ذلك ، فقال : لأنه اغضبنى ولو عزرته لكان ذلك لغضب نفسى ولم احب ان أضرب مسلماً لحمية نفسى ، وقال عمر بن عبد العزيز : لولا أنك اغضبتنى لعاقبتك والله أعلم ، وعنه ﷺ : « لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك » ويروى ان علياً اتى برجل جنى جناية فرأى ناساً يسيرون خلفه فقال : لا مرحباً بوجوه لا ترى الا عند سوءة ، وقال الله تعالى عن هارون عليه السلام : ﴿ ولا تشمت بى الأعداء ﴾ (١) وقيل لأيوب عليه السلام : اى شىء كان اشد عليك فى بلائك ؟ قال شماتة الأعداء ، قال الشاعر :

اذا ما الدهر جرّ على أناس كلاكله أناخ بآخرينـــا
فقل للشامتين بنا : افيقوا سيلقى الشّامتون كما لقينـا

وليس الفرح بمساءة الناس والشتم بهم من اخلاق العقلاء والأولياء ؛ لأن العاقل يتيقن أن الدنيا دار البلاء ، وأن من كان فيهـا لا يعطى له الأمان من الرزايا ، والأولياء من صفاتهم الرحمة لأهل البلاء .

أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام : « ارحم عبادى المبتلى منهم والمعافى » قال : يا رب هذا المبتلى فما بال المعافى ؟ قال : « لقلّة شكْره ايّاى على عافيتى » والله اعلم .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٠ .

فصـــل

وحرمت غيبـة احـــد . . . .

فصـــل

فى الغيبة

(وحرمت غيبة أحد) متولى أو موقوف فيه لأن اغتياب الموقوف فيه بما فيه اضرار له بما ينقصه فهو هتْك لستْره ، وفى معناها ذكر الفاسق بما فيه انتقاماً منه أو احتقاراً له لا لقصد نصر دين الله والتحذير عنه بل الغيبة تكون فيه ، وفى الموقوف فيه على قول الشيخ احمد والمصنف : ان ذكر احد بما ليس فيه غيبة اذا ذكره بما ليس فيــه ، قال الله تعــالى : ﴿ ولا يغْتب بعضكم بعضاً ﴾ (١) فهى محرمة بالاجماع لتشبيهها باكل ميتة الانسان ، وهى محرمة بالاجماع لحرمة اكل ميتة بالاجماع زيادة على أن النهى للتحريم بلا قرينة كما هنا ، ومن استحل الغيبة أشرك كمن استحل ميتة الانسان ، وهى كافساد المـال واهراق الدم كما جمعت معهما فى قوله

---

(١) سورة الحجرات : ١٢ .

. . . .

ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (١) وجمعت مع المـال فى قوله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا يغتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله اخوانا » (٢) وعن جابر بن عبد الله وابى سعيد عن رسول الله ﷺ : « اياك والغيبة فان الغيبة اشد من الزنى ، فان الرجل قد يزنى فيتوب فيتوب الله تعالى عليه ، وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه » (٣) وعن أنس عن رسول الله ﷺ : « مررت ليلة أسرى بى على قوم يخمشون وجوههم بأظافرهم من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدرهم فقلت : يا جبرائيل من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم » (٤) وعن سليمان بن جابر : اتيت النبى ﷺ فقلت : علمنى خيراً أنتفع به ، فقال : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو ان تصب من دلوك فى اناء المستقى وأن تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فـلا تغتابه » (٥) وظاهر هـذا أن الحاضر لا غيبة له وهو كذلك ، ولكن ذكره بسوء بحضرته كفر ، وقال البراء : خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى خدورهن فقال : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته » واوحى الله الى موسى عليه السلام : « من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار » وعن أنس أمر رسول الله ﷺ

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه ابو داود .

بصوم يوم فقال : « لا يفطرن احدكم حتى آذن له » ، فصام الناس حتى اذا امسوا جعل لرجل يجيء فيقول : يا رسول الله ظللت صائماً فاذن لى ان أفطر فيأذن لـه والرجل يجىء فيقول : يا رسول الله ظللت صائماً فأذن لى أن افطر فيأذن له حتى اذا جاء رجل فقال : يا رسول الله فتاتان من أهلى ظلّتا صائمتيْن وانهما يستحييان أن تأتياك ، فأذن لهما أن تفطرا ، فاعرض عنه ﷺ ثم عاوده فقال : « انهما لم يصوما ، وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان يستقيئا ، فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا ، فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم » فرجع الى النبى ﷺ فاخبره ، فقال : « والذى نفسى بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النار » وفى رواية أنه لمـا أعرض عنه جاءه بعد ذلك ، وقال : يا رسول الله انهما والله قـد ماتتا أو كادتا تموتان ، فقال النبى ﷺ :« اتونى بهما » فجاءتا فدعا رسول الله ﷺ بقدح فقال لاحداهما : قيئى فقاءت من قيْح ودم وصديد حتى ملأت القدح ، وقال للأخرى : قيئى فقاءت كذلك ، فقال « ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست احداهما الى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس » .

وعن انس خطبنا رسول الله ﷺ فذكر لنا الربا وعظم شانه ، فذكر أن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيهما الرجل ، وأربى الربا عرض الرجل المسلم ، وقال جابر كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فاتى على قبرين يعذب صاحباهما ، فقال : « انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس ، وأما الآخر فكان لا يستبرىء من البول » (١) فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما

(١) رواه مسلم .

• • • • • • • • • • • • • •

ثم أمر بكل واحـدة منهما فغرست على قبرهما فقال : « أما انه قد يهون من عذابهما ما كانا رطبتين أو ما لم ييـبسا » ولـما رجم رسـول الله ﷺ ما عزاً فى الزنى فقال رجل لصاحبه : هذا قعص كما يقعص الكلب ، فمرّ رسول الله ﷺ وهما معه بجيفة فقال : انهشا منها فقالا : يا رسول الله انـنْهش جيفة ؟ فقال : « ما أصبتما من اخيكما أنتن من هـذا » وكان الصحابة يتلاقون بالبشْـر ولا يغتابون عنـد الغيبة ويرون ذلك افضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين والبشْر بالباء » (٢) المعجمة والراء او بالباء والراء ، وأما بالشين والراء فلعل المراد بالشر المعاتبة نصحا فانه قيل : خير الأعمال وقال ابو هريرة : من اكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه فى الآخرة ، وقيل : له كله ميتاً كما اكلته حياً فياكله ويكلح يعنى لحم نفسه ، وروى مرفوعـاً كذلك ، وروى أن رجلين قعدا عند باب المسجد فمر بهما مخنث قد ترك ذلك فقالا : قد بقى فيه شيء منه وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك فى أنفسهما ما قالا ، فسالا عطاء فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلاة وامرهما أن يقضيا الصيام ان كانا صائمين ، وعن مجاهد انه قال : « ويل لكـلّ همزة لمزة » (١) الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى ياكل لحوم الناس ، وعن قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة ، وثلث من البول ، وثلث من النميمة ، وقال الحسن : والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الأكلة فى الجسد ، وقال بعض : أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة

---

(١) قوله : بالباء والشين والراء الخ الظاهر ان قوله : وكان الصحابة يتلاقون بالبشر الخ فيه ثلاث روايات كما يدل له قوله ، وبالباء والراء ، وأما بالشين والراء فلعل الخ ولم اقف على الروايتين الاخيرتين رغم شدة بحثى عليهما فى كثير من مظانهما .

(٢) سورة الهمزة : ١ .

• • • • • • • • • • • • • •

فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن اعراض الناس اى : لا يرغبون بالتقرب الى الله بصلاة النّفْل او صومه رغبتهم فى التقرب اليه بترك أعراض الناس ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ؛ وقال أبو هريرة : يبصر أحدكم القذارة فى عين أخيه ويدع الجذع فى عينه ، وكان الحسن يقول : ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك حتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك ، فاذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك ، وأحب العبادة الى الله تعالى ما كان هكذا ، وعن مالك بن دينار : مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون : ما انتن ريح هذا الكلب ، فقال عليه السلام : « ما أشد بياض أسنانه » نبههم أن يذكروا محاسن الشىء ويعرضوا عن مساويه ، وسمع على ابن الحسن رجلاً يغتاب آخر فقال له : اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار ، وقال عمر رضى الله عنه : اياكم وذكْر الناس فانه داء وعليكم بذكر الله فانه شفاء ، والغيبة وان كانت صدقاً فهى تزيد فى القبح على الكذب ، ونقض العهد ، لأنها جناية وهتك ستر يحدثان عن حسد ، وعنه ﷺ : « يا أبا هريرة ان شئت ان يفشى الله لك الثناء الحسن فى الدنيا والآخرة فكفّ لسانك عن غيبة المسلمين » (١) وعنه ﷺ : « ما صام من ظل يأكل لحوم الناس » (٢) وعن عمر رضى الله عنه : لا يعجبنكم من الرجل طنطنته ولكن من ادى الأمانة وكف عن اعراض الناس فهو الرجل ، وطنطنته كلامه ، أو عظمُ جسمه ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما : اذكر أخاك اذا توارى عنك بما تحب أن يذكرك به اذا تواريت عنه ، وقال مالك : كفى بالمرء أن لا يكون صالحاً ويقع فى الصالحين ، وقال عدى بن

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابن ماجة .

. . . .

حاتم : الغيبة رعى اللئام ، وقال الشاعر :

لا تكشفن من مساوى الناس ما ستروا
فيكشف الله ستراً عن مساويكا
وأذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا
ولا تعبْ احداً منهم بما فيكا

أى لا تعب احداً بشىء مطلقاً لأن فيك العيب اما من نوع ذلك العيب او من غيره ، وعن الحسن : الغيبة : فاكهة النساء ، وقال ابن السماك : لا تعن الناس على عيبك بسوء غيبك ، وقال ﷺ لمعاذ رضى الله عنه : « اقطع لسانك عن حملة القرآن وطلاّب العلم ، ولا تمزّق الناس بلسانك فيمزقك كلاب النار » وقال أبو قلابة : ان فى الغيبة خراب القلب من الهدى فنسأل الله العصمة ، وحسبك من الغيبة شؤماً محقها للحسنات وابطالها للطاعات ، وعنه ﷺ : « ان الغيبة تفطر الصائم وتنقض الوضوء وتهدم الأعمال هدماً وتسقى أصول الشّر » ، وقيل للحسن ان فلاناً اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رُطب فجاءه الرجل فقال : انى اغتبتك وانت أهديت الى فقال : بلغنا انك أهديت الينا حسناتك فأردت ان أكافئك بهذا فاعذرنى على التمام ، فقال ابراهيم للذى اغتاب الحسن : يا مكذب بخلت بدنياك عن أصدقائك وجدت بحسناتك على أعدائك فما انت فيما تبخل عنهم بمعذور ولا انت فيما سخوت به بمشكور ، وقال ﷺ : « احذروا على حسناتكم ان تنسّل منكم بالاغتياب كما ينسل الماء من يد أحدكم » (١) وقال ﷺ : « ما النار باليبس بأسرع من الغيبة فى حسنات العبد » (٢) وقال ابن المبارك لو

---

(١) رواه ابو داود .
(٢) رواه البيهقى .

* * * * * * * * * * * * * *

كنت مغتابا لاغتبت امى لأنها أحق بحسناتى ، وعن حاتم الأصم انه فاته القيام ذات ليلة فلما أصبح عزّته زوجته فقال : ان اقواما صلوا بالليل البارحة فلما اصبحوا نالوا منى فتكون صلاتهم فى ميزانى يوم القيامة .

ومستمع الغيبة شريك للمغتاب ، والواجب عليه أن ينكر عليه وان لم يقدر عليه فليعتزل ان امكنت العزلة ، وان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهى سماع ذلك فان ذلك نفاق ان استمع ، وعنه ﷺ : « المستمع أحد المغتابين »(١) قال بعض : لأن ادع الغيبة أحب الىّ من أن تكون لى الدنيا منذ خلقت الى أن تفن فأجعلها فى سبيل الله . قال ﷺ : « من ذبّ عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقا على الله ان يحرم لحمه على النار » (٢) وأخسس باخ يرى الكلاب تمزق لحم اخيه ولا تحركه الشفقة على الذب عنه ، ويقال : مثل من يغتاب الناس كمثل الجعل يعجز عن نيل الطرائف وينكب على العذرة ، فالغيبة مرتع الشياطين وادام السنة الغافلين .

وعن جابر بن عبد الله : هاج ريح منتنة على عهد رسول الله ﷺ فقال : « ان ناسا من المنافقين قد اغتابوا أناسا من المؤمنين ، فلذلك هاجت الريح » (٣) وقيل لبعض الحكماء : ان ريح الغيبة ونتنها كان يتبين على عهد رسول الله ولا يتبين فى وقتنا هذا ، قال : لأن الغيبة قد كثرت فى وقتنا هذا فلم يتبين ريحها ، ومثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدّباغين فلا يقدر

---

(١) رواه ابن حبان .

(٢) رواه الدارقطنى وابو داود .

(٣) رواه البيهقى وابن حبان .

• • • • • • • • • • . • • •

على القرار فيها من شدة تلك الرائحة ، واهل تلك الديار ياكلون ويشربون فيها ، ولا تتبين لهم تلك الرائحة لانهم قد امتلأت انوفهم منها ، فكذلك امر الغيبة فى زماننا ، هـذا وروى ان ابراهيم بن ادهم اضاف ناساً فلما قعدوا على الطعام جعلوا يتناولون رجالاً فقال لهم ابراهيم : ان الذين كانوا قبلنا كانوا ياكلون الخبز قبل اللحم وأنتم بدأتم باللحم قبل الخبز ، وروى عن أبى امامة الباهلى : « ان العبد ليقرأ كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها فيقول : يارب من اين لى هـذا ؟ فيقول : هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر ، وروى عن بعض الحكماء : الغيبة فاكهة القراء وضيافة الفساق ومراتع النســاء وادام لكلاب الناس ومزابل للاتقياء ، وقيل : ادام لكلاب النـــار .

وذكر عن عيسى عليه السلام انه قال لأصحابه : لو انكم اتيتم على رجل نائم قد كشف الريح عن بعض عورته لكنتم تسترونها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : بل كنتم تكشفون البقية قالوا : سبحان الله ! فقال : اليس يذكر الرجل عندكم فتذكرونه بأسوأ ما فيه فانتم تكشفون بقية الثوب عن عورته ، وروى عن خالد الربعى أنه قال : كنت فى المسجد الحرام حول اناس فتناولوا رجلاً فنهيتهم عن ذلك فكفّوا عنه فأخذوا فى غيره ثم عادوا اليه فدخلت معهم فى شىء من أمره فرايت تلك الليلة كانه أتانى رجل اسود جداً ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير فقال لى : كل ؛ فقلت : آكل لم الخنزير ؟ والله لا آكله فانتهرنى انتهاراً شديداً فقال : قد اكلت ما هو اشر منه فجعل يدسّه فى فمى حتى استيقظت من منامى ؛ فوالله لقد مكثت ثلاثين يوماً او أربعين يوماً ما أكلت طعاماً الا وجدت فيه طعم ذلك اللحم فى فمى .

وعن سفيان بن الحسين : كنت جالساً عند سفيان بن معاوية فمرّ رجل

. . . .

فتناولت منه فقال : اسكت ، ثم قال : يا سفيان هل غزوت الروم ؟ قلت : لا ، قال : هل غزوت الترك ؟ قلت : لا ، قال : سلم منك الروم والترك وماسلم منك أخوك المسلم ، قال : فما عدت الى ذلك بعده .

وعن حاتم الزاهد : ثلاث اذا كنّ في مجلس فالرحمة عنهم مصروفة : ذكر الدنيا ، والضحك ، والوقيعة في الناس ، وعن يحيى بن معاذ انه قال : ليكن حظ المسلم منك ثلاث خصال تكن من المحسنين : ان لم تقدر على نفعه فلا تضره وان لم تسرّه فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه ، وعن مجاهد : ان لابن آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر احدهم اخاه بخير قالت الملائكة : ولك مثله ، واذا ذكر اخاه بسوء قالوا : يا ابن آدم كشفت المستور عليه عورته ارجع الى نفسك واحمد الله الذى ستر عليك عورتك ، وعن بعض الحكماء : ان ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث ، ان ضعفت عن الخير فامسك عن الشر ، وان كنت لا تستطيع أن تنفع الناس فلا تضرهم ، وان كنت لا تستطيع ان تصوم فلا تاكل لحوم الناس .

قال السمرقندى : سمعت أبى يحكى عن الأنبياء الذين لم يكونوا مرسلين أن بعضهم كانوا يرون في المنام وبعضهم كانوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً فكان منهم نبى من الأنبياء من الذين يرون في المنام ، فرأى ليلة من الليالى في منامه انه قيل له : اذا اصبحت فأول شىء يستقبلك فكلْه والثانى اكتمه ؛ والثالث اقْبلْه والرابع لا تؤيسه والخامس اهرب منه ، فلما أصبح لقيه جبل أسود عظيم فوقف وتحيّر وقال : أمرنى ربى بأكل هذا ثم رجع نفسه وقال : ان ربى لا يأمرنى بما لا أطيق ، فلما عزم على أكله مشى اليه فلما قرب منه ودنا صغر ذلك الجبل ، فلما انتهى وجده لقمة فأكلها احلى

من العسل وحمد الله تعالى ومضى ، فاستقبله طست من ذهب وقال : قد أمرت أن أكتمه فحفر له ودفنه ومضى فاذا هو على وجه الأرض فنظر اليه وقال : انى قد صنعت ما أمرت به وذهب فاستقبله طائر وخلفه باز يريد أخذه فقال : يا نبى الله أغثنى فقبله وجعله فى كمه فقال البازى : يا نبى الله انى جائع وقد كنت فى طلب هذا الطائر منذ غداة ، فجهدت فى أمره حتى اردت أخذه فلا تؤيسنى من رزقى فقال فى نفسه : انى أمرت أن اقبل الثالث وامرت ان لا أؤيس الرابع وهو هـذا البازى فكيف أصنع ؟ فتحير فى امره ؛ ثم أخذ السكين فقطع من فخذه ورمى الى البازى فأخذ ومضى وأرسل الطائر ثم مضى فرأى جيفة منتنة فهرب منها فلما امسى قال : يا رب قد فعلت ما امرتنى فبيّن لى هذا الأمر ما هو ! فلما نام قيل له : اما الأول الذى اكلته : فهو الغضب يكون اوله كالجبل فاذا صبر وكظم غيظه صـار أحلى من العسل ، واما الثانى : فهو أن يعمل العبد حسنة فان كتمها فلا بد لها ان تظهر ، واما الثالث : فمن ائتمنك بالأمانة فلا تخنه ، وأما الرابع اذا سألك انسان حاجة فاجتهد فى قضائها وان كنت محتاجاً اليها ، والخامس : الجيفة المنتنة فاهرب من الذين يغتابون الناس .

والغيبة من اقبح القبائح وأكثرها انتشاراً فى الناس حتى لا يسلم منها الا القليل ، وعن أنس : « من اغتاب المسلمين واكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جىء به يوم القيامة مزرقّة عيناه ينادى بالويل والثبور يَعْرِفُ أهله ولا يعرفونه » وقال معاوية بن قرة : أفضل الناس عند الله أسلمهم صدراً وأقلهم غيبة ، وقال الأحنف بن قيس : فىّ خصلتان لا اغتاب جليسى اذا غاب عنى ولا أدخل فى أمـر قوم حتى يدخلوننى فيه ، وقيل للربيع بن خيثم : ما نراك تعيب أحـداً ، فقال : لست على نفسى راضـياً فأتفرغ لذم الناس ، وأنشـد :

لنفسى أبكى لست أبكى لغـيرها لنفسى من نفسى عن الناس شاغل

. . . .

قال محمد بن حزم : أول من عمل الصابون سليمان ، وأول من عمل السويق ذو القرنين ، وأول من عمل الحيس يوسف ، وأول من عمل خبز الجرادق نمرود ، وأول من كتب فى القراطيس الحجاج ، وأول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام ، ويقال : لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ، ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابَكَ عندَ غيرك ، وعن ابى أمامة عن رسول الله ﷺ : « ان الرجل ليؤتى كتابه منشوراً فيقول : يارب وأين حسنات كذا وكذا عملتها ليست فى صحيفتى ؟ فيقول : محيَتْ باغتيابك الناس (١) » وعن عثمان بن عفان سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الغيبة والنميمة تحتّان الايمان كما يعضد الراعى الشجرة (٢) » وعن ابن عباس رضى الله عنهما : نظر رسول الله ﷺ فى النار ليلة أسرى به فاذا قوم ياكلون الجيف قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين كانوا ياكلون لحوم الناس (٣) » وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ : « من نصر أخاه المسلم بالغيب نصره الله تعالى فى الدنيا والآخرة (٤) » ، وعن أنس عنه ﷺ : « من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه اثمه فى الدنيا والآخرة (٥) » .

وأعلم أنه لا يكفى أن يشير باليد أو نحوها أن اسكت ، بل يصرّح بالرد والا كان مستحقراً للمذكور ، وعنه ﷺ « من أذلّ عنده مؤمن فلم

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى وابن حبان والبيهقى .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه ابو داود .

(٥) رواه ابو داود .

ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق (١) ، وعن أنس عنه ﷺ : « من حمى عرض أخيه فى الدنيـا بعث الله تعالى ملكاً يـوم القيـامة يحميه عن النـار (٢) » وعـن أبى الـدرداء عن رسـول الله ﷺ : « من ذب عن عرض أخيه رد الله عنه عذاب النار يوم القيامة (٣) » وتلا رسـول الله ﷺ : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (٤) ﴾ .

(**ولـو**) كان المغتاب (**طفـلا**) أو طفلة (**أو مجنـوناً**) أو مجنونة (**أو عبـداً**) أو أمـة فكيف لو اغتـاب غيرهم أو اغتـاب اثنين أو ثلاثـة أو أكثر بمـرة كمن يغتاب قوماً أو أهـل بلدة أو نحـو ذلك من العمـوم كالبربر ، قال ﷺ : « اكذب الناس من يهجـو قبيلة بأسرها » ، وعن قاضى خان من علماء الترك : اغتـاب رجل أهل قرية فقال : أهـل القرية كـذا لم يكن ذلك غيبة لأنه لا يريـد جميع أهل القرية بل المـراد البعض وهو مجهول فلا شىء على السامع لأن المذكـور مجهول ولا يحسن هـذا التعميم ، ولو أراد الخصوص .

قال السمرقندى : لا تكون الغيبة الا عن قوم معلومين فلو قلت : أهـل مصر كذا بخلاء أو قوم سوء فلا يكون ذلك غيبة لأن فيهم البارّ والفاجر ، وعلم أنه لم يرد الجميع والكف عن ذلك أفضل ، والتغيى بالطفل والمجنون اعتباراً لاحتقارهما عادة والا فقـد يكونان أبعد عن الغيبـة فيهمـا مثل أن

(١) رواه ابن ماجة .
(٢) رواه ابو داود .
(٣) رواه ابو داود والدارقطنى .
(٤) سورة الروم : ٤٧ .

يكون الطفل لمتولى والمجنون له أيضاً ، وجن من الطفولية مع أنه لا يكتب القلم على الطفل والمجنون مطلقاً .

(و) الغيبــة (**هى الاخبــار عنه**) أى : عن مطلق الانسان المتبرأ منه والموقوف فيه بدليل استثناء الكافر بعد ، وتكون الغيبة فى عرض الجــن والملائكة وفى حكم الأخبــار الكتابة والمحاكاة لمــا قال أو فعــل والاشــارة باليـــد أو غيرها من الجــوارح .

قال صاحب كتاب « الطريقة المحمدية » : الغيبة ذكر مساوىء أخيك المعيّن المعلوم عند المخاطب أو محاكاتها وتفهيمها باليــد أو غيرهــا من الجــوارح على وجه السبّ والبغض وفى « المستطرف » : الغيبة ذكــرك الانســان بما فيه وبما يكره سواء كان فى دينــه أو بدنه أو نفســه أو خلقــه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه أو عمامته أو ثوبــه أو مشيته أو حركته أو بشــاشته أو خلاعته أو غــير ذلك مما يتعلق به ، ســواء ذكرته بلفظك أو بكتابك ، أو رمزت اليــه بعينك أو يدك أو رأسـك أو نحــو ذلك ، فأما الدين فكقولك : ســارق خائن ظالم متهاون بالصــلاة متساهل فى النجاسات بــاراً بوالديه ، قليــل الأدب ، لا يضــع الزكاة مواضعها ، لا يجتنب الغيبة ، وأما البــدن فكقولك : أعمى أو أعــرج أو أعمش أو قصير أو طويل أو أسود أو أصفر ، وأما غيرهما فكقولك : فلا قليــل الأدب متهاون بالناس لا يرى لأحــد عليــه حقــاً كثير النــوم ، كثير الأكل ، وما أشــبه ذلك ، أو كقولك : فلان أبوه نجــار أو اسكاف أو حــداد أو حائك تريــد تنقيصه بذلك ، أو فلان سىء الخلق متكبر مراء معجب عجــول جبار ونحو ذلك ، أو فلان واســع الكم ، طويل الذيل ، وســخ الثوب ، ونحــو ذلك .

ولا يخفى أن حرمة نحو الرئاء والاعجـاب من الدين كالسرقة ، وفى كتاب « الطريقة المحمدية » : الغيبة تعم ذكر عيوب الدين والدنيـا لـكن بشرط معرفة المخاطب وأن يكون على وجه السب عند علمائنا ، فذكر ما مر عن قاضى خـان وذكر عنه : الرجـل يصلى ويصوم ويضر الناس باليـد واللسـان ، فذكر بما فيه لا يكون غيبة وان أخبر السـلطان بذلك ليزجره فلا اثـم عليه وذكر رجلا يذكر مساوىء أخيـه على وجه الاهتمام لم يكن ذلك غيبة ، انما الغيبة : أن يذكر على وجه الغضب يريد به السب ، قال : فذكـر العيب لتغيير المنكر أو للاسـتفتاء أو للتحـذير من شره أو التعريف كالأعرج ونحوها ليس بغيبة ، ولا غيبة للمجاهر بالفسـق والظلم ، وتكون الغيبة أيضاً بالقلب وهى ظن السوء اذا ظـن سـوءاً أو أبقى نفسـه على الظـن وأقرها عليه كما يعبر عنه بتحقيق الظن فى قوله ﷺ : « اذا ظننت فلا تحقق » أى : لا تحقق بعقـد ولا فعل لا فى القلب ولا فى الجـوارح ، أما فى القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة فان أمارة عقـد الظن أن يتغير القلب منه عما كان فينفر نفـوراً ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقـده واكرامه والاغتمام بسببه ، وأما فى الجوارح فالعمل بموجبه ، فالواجب أن تكف عن ذلك وتقول : هو رجـل مستور الحـال ولا يعلم الغيب الا الله ، فما دمت لم تشاهد مشاهدة لا تحتمل التأويل فالأمر مستور ودعـه فى الستر واعرض عما يلقيه الشيطان فانه أفسق الفساق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا (١) » بل لو حكى عدل واحـد لكان السـتر باقياً أيضاً ، فلو كذبت هـذا العـدل أيضاً لكنت أحسنت الظـن بواحـد وأسأته بآخـر ، بل ان احتمـل العدل التأويل فاحمله عليه ولكن ان كان خبر العدل مما يوجب البراءة تبرأت منه لا من المحكى عنـه الا عند

(١) سورة الحجرات : ٦ .

. . . .

من زعم أنه يتبرأ بخبر الواحد ، ويناسب أن الغيبة تكون بالقلب ، أن عابداً سأل عالماً عن شيء من الحلال على التورع فقال العالم فى قلبه : أبقى من يسأل عن مثل هذا ؟ فقال العابد : الغيبة حرام ، وظهر له فى أرض من الذهب وغاب عنه ولم يره ٠

واذا نصحت انساناً بعيبه فاحذر أن تفرح باطلاعك عليه وأن تقصد الترفع عليه وتذلله لك والا فذلك غيبة ، واحذر أن يغرك الشيطان فى الظن فيقول : انك شديد التيقظ للاحوال سريع الفهم وان المؤمن بنور الله يبصر فان ذلك منه غرور بل الاذعان للظن ظلمة من الشيطان وغرور ، فقد بان لك أن الغيبة تكون بالجارحة واللسان والقلب وبالكتب والرمز وبالسكوت مع القدرة على الانكار فلم ينكر أو على القيام فلم يقم أو على القطع بكلام آخر فلم يقطع فهذه مراتب بحسب الطاقة ، ولو قلت : اقطع فلاناً أو ارجم تشير الى أنه سارق أو زان لكان غيبة ولو كان أمراً لا اخباراً ففى « المستطرف » اذا حاكى انسان انساناً بان يمشى متعارجاً أو متاطاً أو غير ذلك من الهيئات يريد تنقيصه بذلك فهو حرام ، وبعض المتفقهة والمتعبدة يعرضون بالغيبة تعريضاً تفهم به كما تفهم بالتصريح ، فيقال لأحدهم : كيف حال فلان ؟ فيقول : الله يصلحنا الله يغفر لنا ، الله يصلحه ، نسأل الله العافية ، نحمد الله الذى لم يَبتَلنا بالدخول على الظلمة ، نعوذ بالله من الكبر ، يعافينا الله من قلة الحياء ، الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما ينقصه ، فكل ذلك غيبة محرمة ٠

قال الغزالى : اعلم أن الذكر باللسان انما حرم لأن فيه تنقيص الغير فالتعريض به كالتصريح ، والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل فى الغيبة وهو حرام ، فمن ذلك قول عائشة رضى الله عنها : دخلت علينا

امـرأة فلما ولّت أومات بيدى انهـا قصيرة ، فقال عليه الصـلاة والسلام : « اغتبتها » ، والمحاكاة مثل أن يمشى متعارجاً أشـد من غيبة اللســان فى نـوع ما يحاكى لو اغتـابه فيه باللســان لان المحاكاة أعظم فى التصوير والتفهيم ولـمـا [رآها] ﷺ حاكت قال : « ما يسرنى انى حاكيت ولى كذا أو كـذا » ويدل لـمـا ذكرناه من الغيبـة بالكتاب ما ثبت أن الكتــابة كلام لحديث : « القلم أحـد اللسانين » فالمؤلف مغتـاب اذا عين أحـداً وقـدح فى كلامه لقصـد تنقيصه لا لرد البدعة ان ابتدع .

ومن كتب أو تكلم بلا تصريح لكن ذكر ما يفهم منـه المغتــاب فقـد اغتاب مثل أن يقول : بعض من مر بنــا اليـوم ، اذا كان المخاطب يفهم المراد ، وكان ﷺ يقول : « ما بال أقوام » ولا يعين ، وأخبث الغيبة غيبة قارىء أو عابد يغتاب غـيره مزكيا لنفسه مرائياً ، مثل أن يفهم المـراد بـلا تصريح مدعياً التعفف عن الغيبة يقول : ما أحـفظ فلاناً للقـرآن لكن قد لا يجوّده كما ابتلينا بذلك أو كما نحـن أهـل التقصير فيذم نفسـه تشبهاً بالصالحين ، وقصـده ذم المذكـور وربمـا غفـل السـامع فيقـول المغتاب : سبحان الله ما أعجب هذا ، فيتوصل بذكر الله الى تيقظ العاقل ويستخرج منه بمعجبه أن يدخله معه فى الغيبة ، وقد كان يدخـل فيهـا بالسكوت كما مـر أن المستمع شريك المغتاب كما مر فى حديث قول أحـد الرجلين فى ماعز أنه أقعص كما يقعص الكلب فجمعهما ﷺ فى قوله « انهشـا من هذه الجيفة » الخ ، وقال أبو بكر أو عمـر للآخـر : ان فلاناً لنـوم ثم انهماطلبا ادماً من رسـول الله ﷺ ليأكلا به الخبز ، فقـال ﷺ : « قـد ائتدمتما » فقـالا : ما نعلمـه ، قـال : « بلى انكما أكلتمـا من لحـم أخيكما » فجمعهما لأن من لم يقل منهما قد استمع (**بمنقص**) أى بامـر منقص دنيـوى أو دينى .

قال معاذ بن جبل : ذكر رجل عند رسـول الله ﷺ فقالوا ما أعجـزه !

. . . .

فقال ﷺ : « اغتبتم أخاكم » قالوا : يا رسـول الله قلنـا ما فيـه قـال : « ان قلتم ما ليس فيه فقد بـهـتمـوه (١) » وعن أبى هريرة : كنـا عنـد النبى ﷺ فقام رجـل فقالوا : يا رسـول الله ما أعجـز فلانـا أو قالوا : ما أضعف فلاناً ! فقال النبى ﷺ : « اغتبتم صاحبكم وأكلتم لحمه » ، وعن عائشـة قلت للنبى ﷺ : يا رسول الله حسـبك من صفية قصرها ، قال : « لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته (٢) » .

وعن حذيفة أنه ذكرت امرأة عند عائشة رضى الله عنها فقالت : انهـا قصيرة فقال ﷺ : « اغتبتهـا » ، وذكر ابن سيرين رجـلاً فقال : وذاك الرجل الأسـود ثم قال : استغفر الله انى أرانى قد اغتبته ، وذكر ابن سيرين ابراهيم النخعى فوضع يده على عينه ولم يقل الأعـور ومع ذلك لم يـرد تنقيصه ، ولو أراده لعـدّة غيبة ، وقالت عائشة رضى الله عنهـا : لا تغتابنّ أحـداً فانى قلت لامرأة مرة وأنا عنـد النبى ﷺ : ان هذه لطويلة الذيل فقال : « الفظى » فلفظت مضغة من لحـم ، وذكر عن ابراهيم بن أدهـم أنه دُعى الى طعـام فلما قالوا : ان فلاناً لم يجىء فقال رجـل منهم : ان فلاناً رجـل ثقيل فقـال ابراهيم : انمـا فعل هـذا من أجـلى والله لاَشهدَنّ طعاماً اغتيب فيه المؤمن ، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام .

وعن بعض المتقدمين : لو قلت ثوب فلان طويل أو قصير لكان غيبـة فاذا كان ذكرك ثيابه غيبة فكيف اذا ذكرت نفسـه ، وفى رواية أن امـرأة قصيرة دخلت على النبى ﷺ فلما خرجت قالت عائشة : ما أقصرها يا رسول الله ، فقال : « لقـد اغتبتها » فقالت عائشة : ما قلت الا ما فيهـا ، قال :

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .

« ذكرت أقبح ما فيهـا » وكان زيد بن ثابت يحدّث أهل الصفّة بما سمع من رسول الله ﷺ من الأحاديث ، فأتى النبى ﷺ بلحم فقالوا لزيد : ادخل على النبى ﷺ وقل له انا لم نأكل منـذ كذا وكذا ليبعث لنـا من ذلك اللحـم ، ولمـا قام من عندهم قالوا فيما بينهم : ان زيـداً لقى النبى ﷺ كما لقيناه فكيف نجلس يحدثنا ، فلما دخل زيد على النبى ﷺ وأدى الرسالة قال النبى ﷺ : « قل لهم قد أكلتم اللحـم الآن » وقالوا : ما أردنا بذلك الا خيْراً .

وعن السّدى : كان سلمان الفارسى فى سفر مع ناس فيهم عمـر فنزلوا منزلاً فضربوا خيامهم وصنعوا طعامهم ونام سلمان فقال بعض القـوم : ما يريد هذا العبـد الا أن يجىء الى خيام مضروبة وطعام مصنوع ، ثـم قالوا بعد ذلك : انطلق الى النبى ﷺ فالتمس لنا اداماً نتأدّم به ، فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال النبى ﷺ : « قد ائتـدموا » فرجع اليهم فأخبرهم بذلك فقالوا : ما طعمتنا وما كذب النبى ﷺ فقال لهم : « انكم قد ائتدمتم من لحـم صاحبكم حيث قلتم ما قلتم وهو نائم » ثم قرأ عليهم : ﴿ يا أيهـا الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ (١) ﴾ الآيـة ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى شأن رجل من أصحاب النبى ﷺ ، وذلك أن النبى ﷺ ضم مع كل رجلين غنيين فى السفر رجلاً قليل الشىء ليصيب معهما من طعامهما ويتقدمهما فى المنزل وما يصلحهما ، وقد ضـم سـلمان الى رجلين فنزلا منزلاً من المنازل ذات يوم ولم يهىء لهما شيئا فقالا له : اذهب الى النبى ﷺ فسَل لنا منه فضـل ادام ، فانطلق فقال أحدهما لصاحبـه حين غاب عنهما : انه لو أتى الى بئر كـذا لنفذ المـاء ، فلما انتهى الى النبى ﷺ وبلّغه الرسالة قال له : « قل لهما قد أكلتما اللحم فى أفواهكما » ، فقالا : لم يكن عندنا شىء وما أكلنـا اللحـم اليـوم ، فقال : « أكلتما لحـم

---

(١) سورة الحجرات : ١٢ .

لاخيكما حين قلتما حين غاب عنكما » ثم قال : « أتحبــان أن تاكــلا لحمــه ميتاً ؟ فقالا : لا ، فقال : فكما كرهتمــا أن تاكلا لحمــه ميتاً فلا تغتــاباه فانــه من اغتاب أخــاه فقد أكل لحمــه » فنزل قوله تعالى ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ الآية .

ولا غيبة لصاحب الكبيرة اذا ذكر تنقيصاً له لمعصيته لتهــان المعاصى أو ليحــذر منه ، وأما ذكــره عبثاً فلا خير فيــه وقد عــدّه بعضهم غيبة ، وأما ذكره انتقاماً منه للنفس أو ترفّعاً عليه فغيبة ، وقد ذكــرت امــرأة عنده ﷺ بأنهــا بخيلة فقال : « وما خيرها ؟ » اذ قال ذلك ليفيــد الأمــة مذمة البخــل ويزيد تنفيرهم عن البخــل ولــو كان صاحبه فى مكان من العبــادة (**وان فى غيبته**) أى عدم حضوره وهى الغيبة اللغــوية فلا دَوْر لأن المحــــدود الغيبــة العرفيــة وانمــا غيّا بعــدم حضــوره باعتبــار أن حضوره أشــد لأنه يسمع ما يكره ، وكــذا لو لــم يحضر ووصــل اليــه ما يكره فالغيبة فى هذا العرف تكون بحضرة المغتاب كما تكون فى عــدم حضوره ، والمشهور أنه لا يسمى غيبــة الا ان لــم يحضر اتبــاعاً للمعنى اللغوى ، فان حضر سمى ذلك بأسماء أخــر كالسب والظلم والاضرار واذا كتب اليه أو أرســل اليه فذلك كالحضــور فذكره بمــا ينقصــه فى حضرته أو بكتاب اليــه أو ارســال غيبة حقيقة فى هذا العــرف مجــاز لغوى لأن التنقيص لم يغب عنــه ، (**أو اذن**) المغتاب لمن يغتــاب (**بــه**) أى فى الاخبــار بمنقص (**أو أحبــه**) أى أحب الاخبــار بمنقص (**أو جهــل**) الذى يذكر بالمنقص أنه منقص ، وكذا لو جهــل الذاكر له به أنه منقص لا يعــذر لأنــه اقترف اذ كان مما يدرك بالعــلم ويجــوز بناؤه للمفعــول فيكون المعنى أن الغيبة تكــون للمعروف والمجهــول فاذا كان شىء ينقص الانســان فلا يذكر به ولو أحب ذلك الانســان أن يذكر بــه أو اذن لــمن يذكــره به ، كما أنــه لو أمــرك أن تقتــله أو تضره فى بدنــه أو تفســد

وهـل محلّهـا وآمـر بهـا . . . .

مالـه لم يجـز لك ، وقيل : ان لم يكن ذنباً وأحب الذكر به أو اذن لك جاز ذكره به ، وشمل كلام المصنف كصاحب الأصل الاخبـار بمنقص بلا قصـد تنقيص فانه أيضا غيبة ولم يشمل مالا ينقص ، والمذكـور به يكره الذكـر به فانه غيبة ولو كان مدحاً له لأنـه قد كره الذكـر به ، سـواء كان مباحاً أو مكروهاً أو عبادة ، فان ذكره به غيبة من حيث أنه يكـرهه ، مثل ان يكره ذكره بعبادة مخصوصة ميلا من المذكـور الى توفـير الأجـر بكتمان النفل ، وحذراً من مضـار الشهرة والرئاء ، وأما ذكره بلفظ عام يوجـب الولاية أو لا يوجبهـا مثل ان تقـول : انه موحـد او مقـرّ أو مؤمن أو موف فجـائز ، وشمل ذكره ما لم يكن فيـه فانه غيبة من حيث أنـه يضره وبهتان من حيث أنه ليس فيه ، والمشهور أن ذكـره بما ليس فيـه لا يسمى غيبة بل بهتاناً وهو الصحيح وما ذكره المصنف عرف لبعض .

وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : « اتدرون ما الغيبـة ؟ قالوا : الله ورسـوله أعلم ، قال : ذكرك أخـاك بما يكره ، قيـل : أرايت ان كان فى أخى ما أقـول ؟ قال : ان كان فيـه ما تقـول فقد اغتبته ، وان لـم يكن فقـد بَهتّـه (١) » وعن الحسن : الغيبة والبهتـان والافك كلهـا مذكـورة فى القـرآن ، فالغيبة أن تقـول ما فيـه ، والبهتان أن تقـول ما ليس فيه ، والافك أن تقول ما بلغَك .

(وهل محلّهـا) من قال : ان الغيبة حـلال أو اعتقـد أنهـا حلال أو قال أو اعتقـد أن اغتيابى حـلال لما يغتابنى أو لفـلان أو اغتيـاب غـيره ، (وآمـر بهـا) عمـوماً أو بغيبـة نفسـه أو غـيره

(١) رواه مسلم .

وآذن بهـا جـاز عن كافر بسوء فعله وتنقيصه به والبراءة منه ٠ ٠ ٠

(وآذن بهـا) لكن تحليلها شرك ان أطلق وان علق بفلان فنفاق بان قال : قد أجزت لك أن تغتابنى أو نحو ذلك ، وأما ان كان لا غيبة له أو لغيره فامر بذكره أو ذكر غيره أو أذن أو أحـل فلا بأس لأنـه لا غيبـة هنـاك اذا كان الذكر بما فيه من كفر أو سوء كما قال ٠

و (جـاز) الاخبـار (عن كافـر) كفر شرك أو نفاق (بسوء فعله) من مكـروه أو عـدم أدب أو معصـية غـير كبـيرة أو بكبـيرة ، (وتنقيصـه بـه) أى : بسـوء فعـله (والبـراءة منـه) لا بمـا فعـل له فيه كعمى وبرص وذلك الاخبـار بسـوء فعـله الـذى هـو كبيرة ، كل ذلك لوجـه الله اعزازاً لدين الله تعالى وزجراً لـه عن المعصـية وزجراً لغيره به واهانة للكفر ، فلو ذكـره بذلك عبثاً او انتقـاماً لنفسـه اذ ظلمه ذلك الكافر أو اذ فعـل ذلك الكافر ما يحـل له أو يجب أو يستحب او ارضـاء لغيره أو نحـو ذلك من كل ما ليس لوجـه الله فقـد اغتـابه ، وكـذا ان ذكره بما ليس فيه مما يضره فهو غيبة وبهتان ، وان ذكره بمباح هو فيـه ارادة لتنقيصه فهو غيبة ، وقيل : لا ، ثـم انه قد يشـتغل بذكر مساوئه فان قصـد التنبيه عليه حيث خاف أن يغرّ أحـداً أو يقتـدى بـه أحـد فذلك عبـادة اذا أخلصها لا غيبة والا فغيبة ، والمشهور أنـه ليس غيبة ، وورد الأمر فى الحديث بذكر الفاجر على رسم أن يعرفه النـاس ويحذروه كما ذكر المصنف بعد ذلك انه يجب اشهار مبتدع ٠

وذكر بعض قومنا أن العلماء أجازوا الغيبة فى أحد عشر :

الأول : النصيحة فيقتصر على المصـلحة وينصحه حتمـاً وان لـم يستشره ٠

الثانى : التجريح عند الحاكم فى الشهادة وحرم عند غيره والتجريح فى رواية الحديث لأن ذلك دين ٠

. . . .

والثالث : المعلن فى الفسوق .

والرابع : أصحاب البدع بألسنتهم أو بتآلفهم فيجب اشهارهم والنقض عليهم .

الخامس : أن تذكر انسانا عند آخر بما لا ينقصه عنده ، وقيل : ينهى عنه لأنه نفس الغيبة ، وان لم ينتبه السامع للنقص به ولأنه قد ينتبه بعد .

السادس : الدعوة عند الحاكم أو الشهادة مثل ان تقول أخذ فلان مالى .

السابع : التظلّم عند من يظن أن له قوة على ازالة ظلمة كالشكوى بالقاضى السىء الى الامام أو السلطان ، قال ﷺ : « ان لصاحب الحق مقالاً (١) » وقال : « مطل الغنى ظلْم (٢) » وقال ﷺ : « لىّ الواجد يحل عقوبته وعرضه (٣) » .

الثامن : الاستعانة على ازالة المنكر نحو فلان يفعل كذا كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان أو على طلحة فسلّم ولم يرد السلام ، فذكر ذلك لأبى بكر فليس ذكره له غيبة لأنه ذكره ليصلح ذلك ، وكما أبلغ عمَر رجل أن أبا جندل أدمن الخمر بالشام فلم يره مغتابا لأنه أبلغه ذلك شفقة على دين الله فكتب اليه عمر : ﴿ بسم الله الرحمن حم

---

(١) رواه ابو داود .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الدارقطنى .

وان رماه بما لا فعل له فيه أو نقصه كبرص أو جذام أو عمى فهل يحل أو لا ؟ . . . .

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير (١) ﷺ فتاب .

التاسع : الاستفتاء بأن يقول : ان فلانا ظلمنى بكذا ما طريقى فى ذلك ؟ أو هل يجوز له كذا مما هو فعل ؟ كما قالت هند بنت عتبة لرسول الله ﷺ : ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفآخذ من غير علمه ؟ فقال : « خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » فذكرته بالشح والظلم فلم يقل لها ان ذلك غيبة لأنه استفتاء منها له ﷺ ، والأولى التعريض بأن يقول : ما قولك فيمن فعل كذا أو لم يفعله أو فى رجل ظلمه أبوه أو زوجته .

العاشر : تحذير المسلمين من مكره مثل أن يشترى مملوكا بالسرقة وكذا المستشير فى التزويج والايداع .

الحادى عشر : أن يذكر صفة بدنه ليعرف كالأصم .

(**وان رماه**) أى : رمى الكافر أى سماه (**بما لا فعل له فيه**) مع أنه فيه بدون ارادة تنقيص به (**أو نقّصه به**) وهو فيه (**كبرص أو جذام أو عمى**) ومعنى رميه بذلك اطلاق اسمه عليه ، ومعنى اطلاق اسمه عليه أن يقول : ذو جذام أو ذو عمى أو نحو ذلك ، أو الأبرص أو المجذوم أو الأعمى أو نحو ذلك (**فهل يحل**) ولا يكون غيبة لأنه لا حرمة له : فقائل ذلك كقائل ما أنتن الجيفة أو العذرة أو نحو ذلك ! (**أو لا ؟**) فيكون غيبة لأنه اضرار له بما ليس من فعله ولا هو معصية ؟

---

(١) سورة غافر : ١ .

قولان ويجب اشهار مبتدع وبدعته وتنقيصه بما لا كذب فيه . . .

(**قولان**) اصحهما الثانى ، فترى المصنف كالشيخ أحمد اثبت أن الغيبة تكون فى الانسان مطلقا ولو موقوفاً فيه كما يدل عليه اطلاقه فانها تكون فى الكافر بغير سوء فعله كما يفهم من قوله : بسوء فعله ، وانها تكون فيه بذكر فيه مما ليس فعلا له على القول الثانى ، قال الغزالى : وقال قوم : لا غيبة فى الدين لانه ذمّ ما ذمّه الله تعالى ، وقد قال ﷺ فى المرأة التى كثر صيامها وصلاتها لكنها تؤذى جيرانها بلسانها :« انها فى النار » ، وقال فى المرأة المذكورة بخير الا انها بخير : « ما خيرها اذاً ؟ » قال : فهذا فاسد لأنهم سيذكرون ذلك لحاجتهم الى معرفة الأحكام الشرعية بسؤال رسول الله ﷺ ولم يكن غرضهم التنقيص .

قلت : يذكر الأخ فى أحاديث الغيبة ، فالفاسق غير أخ لنا ، والمشرك غير اخ لنا ، فقال من قال : لا غيبة لهما وان ذمّا بما ليس فيهما فبهتان ، (**ويجب اشهار مبتدع**) فى دين الله بأن زاد فيه ما ليس منه أو نقص مما فيه ، وما فى الأثر من دين الله أعنى مما تعبد به الله المقلد ، ألا ترى اذا خرج عن الأثر فسق ؟ وألا ترى أنه يقال : كلفنا الطهارة عند الله ؟ أى : كلفنا الله أن نتطهر بحسب ما تعبدنا به من آثار العلماء ، فاذا تبع الانسان ما فى الأثر نجا عند الله ولو كان خطأ فى نفس الأمر عند الله ، وألا ترى قوله تعالى : ﴿ أولئك عند الله هم الكاذبون ـ وأولئك هم الفاسقون ﴾ ؟ فسماهم فاسقين وسماهم كاذبين عند الله ، باعتبار ما نعلم بحسب الظاهر ، ولو أمكن أن يكونوا بحسب الأمر فى الغيب عند الله صادقين .

(**و**) يجب اشهار (**بدعته وتنقيصه بما لا كذب فيه**) مما هو من أسماء الذمّ العامة كالمبتدع والكافر والفاسق ، أو الخاصة

كمحـل كــذا ، ومحـرم كــذا ، وفاعـل كــذا ، وقائـل كــذا (وان عند العـامة) ليعرفوه فيحذروه وينزجروا به ، ولئـلا يولّى ولاية لا يستحقها ، فعنه ﷺ : « أترعون من ذكر الفاسـق متى يعـرفه الناس اذكروه بما فيـه يحذره الناس » ، وفى رواية عنه ﷺ : « أترغبـون عن ذكر الفاجر بما فيه ، اهتكوه حتى يعرفه الناس ، اذكروه بما فيـه حتى يعرفه الناس » (١) وكانوا يقولون : ثلاثة لا غيبة لهم : الامام الجائر ، والمبتدع ، والمجاهر بفسـقه • وروى عن الحسن : ثلاثة لا غيبـة لهم : صاحب الهـوى أى البدعة ، والفاسـق المعلن بفسقه ، والامام الجائر • قال الغزالى : وهؤلاء يجمعهم أنهم يتظاهرون بتلك المعاصى ويتفاخرون بهـا فكيف يكرهون ذلك وهم يقصـدون اظهاره ، نعم ، لو اغتـابه بغير ما يتظاهر به أثم ، اى لغرض صحيح لوجه الله •

وقال عوف : دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجّاج فقـال ابن سيرين : ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج من اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمـن ظلمه ، فاذاً اذا لقيت الله غداً كان أصغر ذنب أصبته أشـد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجـاج •

قال الغزالى : واذا رأيت فقيهاً يتردد الى مبتدع أو فاسـق وخفت أن تتعدى اليه بدعته فلك أن تكشف له بدعته أو فسقه متى كان الباعث الخـوف عليه من سراية بدعته وفسقه لا غير ، وذلك موضـع الغـرور ، اذ قـد يكون الحسـد هو الباعث ويلبس الشـيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق ، فاذا استشرت فى تزوج أو ايداع وديعـة أو نحـو ذلك ولـم تر ما يصلح قلت : لا يصلح لك ذلك ، وان علمت أنه لا ينزجر الا بالتصريح

(١) رواه ابو داود •

فلك أن تصرّح بعيبه · وعن أنس عن رسـول الله ﷺ : « من ألقى جلباب الحيـاء فلا غيبة له » (١) ، وروى : « من ألقى جلبـاب الحيـاء عن وجهه فلا غيبة له » ، وقال عمـر رضى الله عنه : ليس لفاجـر حرمة ، أراد المجاهر بفسقه دون المستتر ، اذ المستتر لابد من مراعـاة حرمته ، قال الصلت بن طريف : قلتُ للحسن : الرجـل الفاسـق المعلن بفجـوره ذكرى له بما فيه غيبة ؟ قال : لا ولا كرامة ·

قال ابو الليث : الغيبة كفر ونفاق ومعصية ومباح مأجـور عليه · فالأول أن يغتاب مسلماً فيقال له : لا تغتب ، فيقـول : ليس هـذا بغيبة وانى صـادق فيما قلت ، فقد أحـل ما حرم الله فصار كافراً ، يعنى هـو بمنزلة من أحـل حراماً ، وهذا كما نقـول : تابع هواه مشرك ، أى أنـه اتبـع غير الله ، وذلك كما نقـول لمن يرى الكبيرة حراماً ويعتقد أن فاعلها مسـلم أنه محـل ·

والثالث : أن يغتاب ويعلم أنهـا معصية ، وهذا عاص أى عصـياناً كبـيراً ·

الثانى : أن يغتاب انسانا ولا يسميه باسمه للناس حتى يعرفوه ، فهذا هـو النفـاق يرى أنه متورع بالرمز وهو مغتاب ·

والرابع : أن يغتاب فاسقاً معلناً أو صاحب بدعـة ، فهو مأجـور لأن الناس يتحرزون منه ، أى مأجـور ان نوى الاحتراز وأخلص لله ، ومعنى كـونه مباحاً أنه غير محجـور عليه ·

(**ورخص فيما يجيب به داعيه**) أى يجيب داعيه بسبب دعـائه به ،

(١) رواه الدارقطنى ·

ويعرف به كفلان الأعمى والأعرج ولو كره ذلك وتكون فيما يكرهه وينقصه ، وان من المحاسن كالطول والجمال وحسن الصورة والجود والشجاعة أو بنسبته . . . .

أى يدعوه به فيجيب كما اذا دعاه بشىء آخر ولو كان متولى (**ويعرف به كفلان الأعمى والأعرج**) ان لم يكره ذلك ، ورخص (**ولو كره ذلك**) ان لم يكن فيه تنقيص له ، ورخص ولو كان فيه تنقيص له ان لم يقصد تنقيصه كما ذكره .

وقال الغزالى : اذا عرف بلقب مشعر بالعيب كالأعرج والأعمش جاز ذكره به بلا اثم على من يقول ، روى أبو الزناد عن الأعرج وسليمان عن الأعمش وما يجرى مجراه ، فقد فعل العلماء ذلك للتعريف ، ولأن ذلك صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن صار مشهوراً به ، نعم لو وجد عنه معدلاً وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى : البصير عدولا عن اسم النقص .

(**وتكون**) الغيبة (**فيما يكرهه وينقصه**) أى : فيما يكره وان من المحاسن وفيما ينقصه (**وان من المحاسن كالطول والجمال وحسن الصورة والجود والشجاعة**) فقد يكون الانسان طويلا وهو يستحسن بطبعه القصر ، أو التوسط فيكره أن يذكر بطول ، وقد يكون جميلا فتخيل له نفسه أن الجمال للنساء فيكره أن يذكر بالجمال ، وقد يكون جواداً فيكره الذكر بالجود لئلا يقصد فيملك عليه ماله بلا روية ولا تمييز لموضعه ، وقد يكون شجاعاً فيكره الذكر بالشجاعة لئلا تظن به النساء أنه مشتغل بالحروب ولا همة له فى جمع المال ، ولئلا يقصده جائر ليقاتل به فيما لا يحل ، وهكذا ما أشبه ذلك من الأغراض فى هذه المسائل مما لا يحصره العدد ، وكذلك اذا كانت تلك الصفات الحسان نقصاً عند قوم أو أحد فيكره الذكر بهن عندهم (**أو بنسبته**) ، أو بمعنى

لأبائه أو قبيلته أو بلده ان كره ذلك أو يتضرر به عند السلاطين ، ورخص فيمـا كان بأحـد أن يذكـر به ان لم يقصـد تنقيصه . . . .

الواو ، أى وتكون الغيبة بنسبته ، ويجـوز أن تكون فى بمعنى البـاء فى قوله : فيما يكره أى بما يكره أو بنسبته ، فيكون عطف خاص على عـام ، ويجـوز أن يكون توهـّماً راعى كأنه قال : كالغيبة بالطـول والجمال الى آخـره فقال : أو بنسبته (**لأبائه أو قبيلته أو بلده**) أو صنعته أو نحو ذلك (**ان كره ذلك**) بدون أن يتوقع ضرّاً به (**أو يتضرر به عند السلاطين**) أو غيرهم بأن يكون اذ عرفه السلطان أنه من أولاد فـلان أو من قبيـلة كـذا أو بلده قتله أو ضره أو حبسـه أو اخـذ ماله أو من ماله أو استعمله فى شغل أو جعله من العسكر ، أو اذا عرف أن صنعته كذا استعمله فيهـا ولا يجب ذلك مطلقاً ، أو لأنه يستعمله بلا أجـر أو فى حرام أو بحرام أو نحـو ذلك مما لا يحصره العـد .

(**ورخص فيما كان بأحـد**) ولو متولى (**أن يذكر به**) ولـو كان اسم تنقيص (**ان لم يقصـد**) ذاكـره بـه (**تنقيصه**) مثل كلب وحمـار وبغل وجمـل ، وقال الشيخ أحمـد : انه يذكر بالأسماء الناقصـة اذا كانت فائدتـه فيهـا مثل أن يقـول : انـه أجـذم أو أبرص فلا يأخـذه جـائر ، أو يقول : انه حـداد فلا يعقله أو لا يغـرمه أو لا يأكل طعامه ، ومثل أن يذكره بأسم العلة للطبيب ليداويه ، أو يذكره لـن يعرف الدواء بذلك الاسم أو يذكره بعلـّته نصحاً لغيره لئـلا يخالطه كالجذام والبرص ، ولا يجـوز له قصد الشكوى بذلك ، ويذكره بما فيه لمن يخرج منه الحق أو يأخـذ منه الديّن الذى له عليه أو الأمانة ، أو لئـلا يعطيه الـدين أو الأمانة اذ يستهلكهما مثل أن يقـول انه فعل كذا مما يلـزم به الأدب ، أو أنه يماطل ، أو مفلس ، أو ينكر ، وكـذا ان قال : انه يلزم الفقـير أو نحو ذلك على النصح بلا قصـد تنقيص ، وقيل : يجـوز ذكره بهذا ونحوه

ولو قصــد التنقيص له ان قصده انتقاماً لمــن لــه الحق لا لنفسه ، ومن اعتقد ما يكون التكلم به غيبة وقصــد مجــرد العلم بما كان فيه من ذلك او ليحذره فلا بأس ، وان قصــد الاعتبار بما فعل الله فذلك عبــادة ، وان قصــد بغضــه وتنقيصــه وحــب ما ينقصه ويذكــره بــذلك فــلا يجوز ، ولا يلــزم اعطـــاء المــال على الغيبــة كمــا يلــزم على المضــرة فى المــال والبدن ولكن تلزم عليه تباعة فيما بينــه وبين الله وهى الظلم الــذى ظلم مذكــوره باغتيابه فليحسن اليه ليمحو السيئة بالحسنة ، اما بالمــال أو بالذكر الجميل او بالبدن ، ليصــل النفع حيث وصــل الضر ، ويتــوب الى الله ، ويظهر التــوبة عند من اغتابه عندهم ان لم يكن عندهم ممن لا غيبة له ولم يعلموا أن ذاكره له غيبة عنده ، لأنهم ان علموا أن ذاكره كان مذكوره عنده ممن له غيبة تبرأوا منه لأنه فعل كبيرة على حسب ما عنده ، وقيل : لا يبرأون منه لأنه فى الواقع عندهم لا غيبة له ، ومع ذلك يظهر التوبة عندهم لأنه خالف بغيبته ما عنده ، ولزمت المغتاب كفارة مغلّظة قياساً على ما وردت فيه المغلظة من الكبائر ، وقيل : لزمته مرسلة ، وقيل : يتصــدق بشىء ، وقيل : لا تلزمه الصدقة ولا الكفارة ، وما فسرت به التباعة أولى من تفسير بعضهم لها بهذه الكفارة المغلّظة .

(وهل جازت محاللة فى غيبة) وهى أن يقول لمن اغتابه : أنت فى حل من الغيبة التى صدرت منك علىّ ، ومعنى ذلك انه عفا عن مظلمته لا أنه قلب الحرام حلالاً ، اذ الحرام لا ينقلب ، قال ﷺ : « من كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال فليتحللها منه قبل أن ياتى يوم ليس فيــه دينار ولا درهم » (١) ، والمراد طلب العفو والتنصل عن ذلك .

وروى : انه قالت عائشة رضى الله عنها لامراة انها طويلة الذّيْل فقال

---

(١) رواه مسلم .

• • • • • • • • • • • • • •

ﷺ : « اغتبتها فاستحلّيها » فاذا الاستحلال لا بد منه ان قدر عليه ، وان غاب أو مات استغفر له ان كان متولى ونفعه بالدعاء ونواه بصدقة أو قراءة أو غير ذلك من الحسنات ، وان لم يكن متولى نفعه بذلك ولا يستغفر له ، ولا يجب على من ذكر تحليل ذاكره بل تبرع وليس بواجب بل مستحب ، وما ذكرته من الاستحلال انما هو ان حضر للغيبة أو بلغته ، وأما ان اغتابه وليس بحضرته ولا بلغته أو اغتابه حاضراً بلغة لم يفهمها أو بتلويح لا يفهمه أو غافلاً ولم ينتبه ولم تبلغه أو لم يسمع فليتب ولينزل ما حدث من نقص عند السامعين أو مضرة فقط ، ولا يذكرها له لئلا يشوش قلبه عليه ، وقيل : يذكرها له. ولو لم تبلغه ويطلب منه الحل للأحاديث المذكورة ، ولقوله ﷺ : « الغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها » .

قال الغزالى : الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحلّه فيخرج من مظلمته وينبغى ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على ما فعله ، فان استحلّه فى الظاهر ولم يندم فى الباطن فقد قارف معصية أخرى .

وسئل عطاء عن توبة المغتاب قال : أن يمشى الى صاحبه فيقول له : كذبت فيما قلت ان كان كاذباً ، وهذا على أن الغيبة تكون بما ليس فيه كذب أيضاً ، أو اراد بالكذب عدم الاستقامة ، وظلمتك وأسأت فان شئت اخذت بحقك ، وان شئت وهبْت .

قال الغزالى : وقول القائل : العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال ، كلام ضعيف لأنه قد وجب فى العرض حد القذف وللأحاديث السابقة . وسبيل المغتاب أن يبالغ فى الثناء عليه والتودد له ويلازم ذلك حتى

يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودّده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة ، (أو لا ؟) تجوز المحاللة فى الغيبة لا يقول : اجعلنى فى حلّ ولا يقول المذكور : جعلتك فيه ، بل يحسن اليه ويستغفر له كما مر . قال الحسن : يكفيه الاستغفار دون الاستحلال ، قال رسول الله ﷺ : « كفارة من اغتبته أن تستغفر له » ، قال مجاهد : كفارة اكلّك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وكان بعض السلف يقول : لا أحلل من اغتابنى ، وقال سعيد : لا أحلل من ظلمنى أى لأن الظلم لا يحل منه ، ومنه الغيبة فلا الفظ بلفظ يوهم تحليل الحرام ، قال ابن سيرين : انى لم أحرمها عليه فأحللها ، ان الله حرم الغيبة عليه ، وما كنت لأحل ما حرم الله ابداً ، ووجه ذلك التنزه عن اللفظ الموهم (قولان) .

قال الغزالى : وما ذكره ابن سيرين حسن فى التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة . وان قلت : فما معنى قول النبى ﷺ : « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى مخضم كان اذا خرج من بيته قال : اللهم انى قد تصدقت بعرضى على الناس » فكيف يتصدق بالعرض ؟ ومن تصدق به فهل يباح تناوله ؟ وان كان تنتقل صدقته فما معنى الحث عليها ؟ قلت : معناه أنه رغب الى الله أن يثيبه عليها ثواب الصدقة ، أو معناه أنى لا أطلب مظلمة منه يوم القيامة ولا أخاصمه والا فتصير الغيبة له حلالاً ، ولا تسقط المظلمة لأنه عفو قبل الوجوب الا أنه وعد له العزم على الوفاء بأن لا يخاصم ، فان رجع وخاصم كان القياس لسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء بأن من أباح له القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ، ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

والباعث على الغيبة اما التشفى ممن غضب عليه وهو باعث عظيم ، واما

• • • • • • • • • • • • • •

موافقة المغتابين ان لم يغتب معهم استثقلوه ، ويظن أن ذلك مجاملة فى الصحبة ، واما أن يستشعر أن سينقصه ويذمّه فيسبق بذلك ليسقط ما يشهد به عليه وليقال انه قال فيه ما قال لأنه قد سبقه بالذم لا لصدقه ، وقد يبدأ السابق بما صدق فيه ليروح به ما يرميه به ، واما أن ينسب الى شىء يريد البراءة منه فيذكر الذى فعله • وكذا من حقه أن يبرىء نفسه بلا ذكر لفاعله أو يذكر غيره بمشاركة العمل ليمهد عذر نفسه ، واما الترفع بتنقيص غيره مثل أن يقول : فلان ركيك الفهم يثبت فى ذلك فضل نفسه ، واما أن يحسد ما يثنى عليه النـاس ويرى ثناءهم عليه تنقيصاً له فيقدح فيه بما يتركون الثناء عليه ، واما اللعب مثل أن يذكر عيوب الناس ليضحك الناس ، واما السخرية والهزء بالمغتاب احتقاراً له وتكبراً ، فهذه الثمانية فى العامة ، واما التعجب مثل أن يقول : ما أعجب ما رأيت من فلان كان يفعل كذا ، وكيف يحب جاريته وهى قبيحة ، وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل ، فان صدق فكيف يذكره او يذكر غيره ، وأما الرحمة مثل أن يهتم بما أصاب احداً فيقول : فلان قد غمّنى امره وما ابتلى به ، وقد صدق ، ولكن ان كان له ضر بذكر اسمه فقد اغتابه ، وأما الغضب لله يغضب لمنكر ويذكر مع ذلك اسم فاعله ، والثلاثة غميضة لا ينتبه لها العلماء فضلا عن العوام •

قال عمر بن واثلة : مر رجل فى حياة رسول الله ﷺ على قوم فسلم فردوا فلما جاوزهم قال احدهم : انى لأبغض هذا فى الله تعالى ، فقالوا : لبئس ما قلت ، والله لتبيّننه ، يا فلان قم فاخبره ، فاتى الرجل رسول الله ﷺ وحكى له وساله أن يدعوه فدعاه وساله ﷺ فقال : قد قلت ذلك ، فقال ﷺ : ولم تبغضه ؟ فقال : انا جاره وانا به خبير ، والله ما رأيته يصلى صلاة قط الا هذه المكتوبة ، قال : فاساله يا رسول الله هل رآنى اخّرتها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

. . . .

عن وقتها أو أسأت الوضوء أو الركوع أو السجود ؟ فسأله فقال : لا ، فقال : والله ما رأيته يصوم شهراً قط الا هذا الشهر الذى يصومه البر والفاجر ، قال : فسله يا رسول الله هل رآنى قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً ، فسأله فقال : لا ، قال : والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً فى سبيل الله الا هذه الزكاة التى يؤديها البر والفاجر ، قال : فسله يا رسول الله هل رآنى نقصت منها أو ماكست طالبها ، فسأله فقال : لا ، فقال له ﷺ : « فلعله خير منك » .

والعلاج المانع من الغيبة اما ان يتذكر الوعيد الوارد فيها كما مر أنه تنقل حسناته للمغتاب ، وذكر المحدثون أنه ان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المغتاب ، وربما تنتقل اليه سيئة واحدة تترجح بها كفة سيئاته فيدخل النار ، ولم يثبت ذلك عندنا ومر تأويله . روى ان رجلاً قال للحسن : بلغنى انك اغتبتنى ، فقال له : ما بلغ من قدرك عندى أن أحكمك فى حسناتى ، واما ان يقطع الأسباب الداعية الى الغيبة فيقطع الغضب بتذكير الوعيد الوارد فيه والثواب الوارد فى كظمه مثل قوله ﷺ : « ان لجهنم باباً لا يدخل منه الا من يشفى غيظه بمعصية الله تعالى » ، وقد مر فى بابه ، ويقطع مساعدة المغتاب بأن يعلم ان الله تعالى يغضب عليه اذا طلب رضى المخلوق فى سخط الله تعالى ، والواجب عليه أن يسخطهم فى رضى الله جل جلاله فيغضب للغيبة لأن الله تعالى هو المنعم المعز المذل ، وارضاؤهم بسخطه مبعد لرضاهم مقرب لسخطهم ، ويقطع تنزيه النفس بنسبة العيب لغيره بمعرفة أن التعرض لمقت الله اشد من التعرض لمقت الخلق فيحصل له ذم الله تعالى نقداً ، ولا تدرى هل تتخلص منه غداً وتنتظر دفع ذم الخلق بنسية ، ويقطع التمهيد بأن غيره قد فعل مثله بأن تعلم ان ذلك اقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به ، ولو دخل النار لم توافقه عليها ولو وافقته

. . . .

لسفه عقلك ، فما ذكرته غيبة وزيادة معصية ، ويقطع المباهاة وتزكية النفس بأن تعلم أنك أبطلت فضلك عند الله جزماً وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر بل قد ينقصونك باغتيابك غيرك ، ويقطع الحسد بأن يعلم أن فيه عذاب الدنيا بهم الجسد وعذاب الآخرة ، واهديت حسناتك الى عدوك فانت عدو نفسك بل قد ينتشر فضله بغيبتك ، قال الشاعر :

واذا أراد الله نشر فضيلة　　طويت أتاح لها لسان حسود

ويقطع الاستهزاء بأن يعلم ان مقصوده اخزاء الغير عند ناس قليل فى زمان قصير ، وقد تعرض بذلك لخزى دائم يوم القيامة بحضرة الناس كلهم ولانتصار من يستهزىء به عليه يوم القيامة برؤيته يساق الى النار ، ويقطع ما يرد على الرحمة من الغيبة بأن يعلم انه استنطقه ابليس حسداً منه له بما ينقل به حسناته الى المرحوم فيكون هو المستحق لأن يرحم اذ حبط عمله لأجل رحمة احد ، ويقطع التعجب بأن يتعجب من نفسه كيف أهلك نفسه ودينه بدين غيره ودنياه وبأن لا يامن أن يهتك الله ستره بهتك ستر أخيه والله أرأف وارحم بنا وعلم ٠

فصـــل

لا تنسب نميمة لمسـلم وهى من ذنوب اللســـان . . . .

فصـــل

فى النميمـة

وهى ماخوذة من قولك : نمّنمْتُ الكتاب ، اى زينته بالنقش لان النمام يزين الكلام (لا تنسب نميمة لمسلم) ومن نسبها اليه كفر ، وكذا لا تنسـب لموقوف فيه لانه ان نسـبها اليـه وقد صحت عنده عنـه فليس فى الوقوف وهو فى البراءة وليس بمسلم ، وان لم تصح عنه كفر من نسبها اذ كذب وأما السامع فلا يبرأ منه حتى يعلم أنه كذب بخلاف ما اذا نسبها للمسلم فان السامع يبرأ ممن نسب الا أن يصح أن المسلم فعلها فيكون ذلك المسلم فى البراءة ، وكذا سائر الكبائر الا الشرك والزنى فيبرأ السامع ممن نسب أحدهما الى الوقوف فيه الا ان علم صدقه .

(وهى من ذنوب اللسان) وتكون بالجوارح أيضاً اذا أشار الى ما يكون نميمة أو كتبه لو نطق به ، مثل أن يحرّش بين الناس بالاشارة بيده أو عينه أو يخبر بيده أو برأسه او غيره بما يكون غيبة ومثل أن يفعل فى

ومعناها نقل الكلام بين النـاس على وجـه الافسـاد • • • • •

ملك أحد ما يظن به أن الآخر فعله مثل أن يرى فتنة بين اثنين فيفسـد فى مال احدهما ليظن أن الآخر هو الذى أفسد ، أو فى مالهما فيظن كل ان الآخر هـو الفاعل ، فقـد جمع بين البهتان والنميمـة بلا نطق وهكـذا ما يشبه ذلك •

(ومعناها نقل الكلام) أو الفعل مثل أن يقول : ان فلانا حين أدبرت عنه غمزك برأسه أو اشار بيده استهزاء أو لم يذكر لفظ استهزاء (**بين الناس على وجه الافساد**) سواء كان الكلام المنقول أو لم يكن لكنه كذب وحكى فحينئذ يكون نميمة وبهتانا ، قال المحلى : هى نقل كلام بعض الناس الى بعض على وجه الفساد بينهم قال ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام » [رواه الشيخان] يعنى البخارى ومسلما ، وروينا أنه ﷺ مـر بقبرين فقـال : « انهما ـ أى ان صاحبيهما ـ ليعذبان وما يعذبان فى كبير » زاد البخارى « بلى انه كبير » يعنى عند الله « اما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، واما الآخر فكان لا يستبرىء من البول » وأما نقل الكلام نصيحة للمنقول اليـه فواجب كما فى قوله تعالى : ﴿ ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين ﴾ (١) اهـ ، وانما ينقل نصحا اذا خيف عليه القتـل أو ما دونه ممـا يكون فى بدنه من ضرب وفاحشة وحبس وما اشبه ذلك مما فى البدن ، أو خيف عليه فى ماله ، ولا خير فى ذلك ، ولو قام عنه فساد •

قال الغزالى : كل ما رآه الانسان من احوال الناس فليسكت عنه الا

---

(١) سورة القصص : ٢٠ •

ما فى حكايته فائدة لمسلم أو دفـع لمعصية كما راى من يتناول مال غـيره فيشهد عليه مراعاة لحق المشهود له .

قلت : وكذلك يخبر أن فلاناً يريد قتلك او قتل فلان أو يريد أخـذ مالك أو مال فلان او يخبر الامام او نحوه بان فلاناً يسعى فى فساد المملكة او فى الباطل فيجب البحث وازالة فساد المملكة وقطع الطريق ونحوه ومعنى قوله ﷺ : « وما يعذبان فى كبير » أى ما يعذبان فى كبير عندكم ولو كان عند الله كبيراً ، وهكذا كنت افسر الحديث حين بلغنى ، ويدل لـه زيادة البخارى المذكورة كما قال الله تعالى : ﴿ وتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم ﴾ (١) ، وقيل : ما يعذبان فى كبير تركه والاحتراز عنه ، وزعم بعض أن المعنى فى أكبر الكبائر ، وعرف الشيخ أحمد رحمـه الله النميمة بانها فعل ما يكون تحريشاً بين الناس أو بين البهائم بالشر كما لا يحل للفاعل ولا لهم ، قصد التحريش أو لم يقصده ، مثل أن يقصد الاصلاح فيوافق الشر ، أو قصد الاضحاك أو تكلم به عمداً بلا قصد خير أو شر أو قصد العبث فوافق الشر ، وسواء بين المسلمين أو المشركين أو بين المسلمين والمشركين ، وتفسير النميمة بالتحريش المذكور أعم مطلقاً من تفسيرها بالنقل المذكور لاجتماعهما فى الكلام المنقول وانفراد التحريش بالاغراء بين حاضرين وبالاغراء بلا كلام وباغراء البهائم ، وعرفها بعض بانها كشف ما يكره كشفه وافشاء السر سواء كره كشفه المنقول عنه او المنقول اليه أو غيرهما عملاً أو قولاً نقصاً او عيباً أو غير ذلك ، فان كان نقصاً او عيباً ففيه الغيبة والنميمة ، وقال : : انها فى الاكثر تطلق على نقل القول المكروه الى المقول فيه ، قال :

(١) سورة النور : ١٥ .

ومن نقله على مبـاح لـه فقـام عنـه لم يكن نمّاماً وان قصـد صلاحـاً فوافق مـــا لا يجـيزه العلمـــاء ان يذكره . . . .

وهى حرام الا أن يكون له ضرر فيه ولم يعلمه ولم يمكنه دفعه الا بالاعلام فيجب لأنه نصح .

(**ومن نقله على**) وجه (**مباح له فقام**) الافساد (**عنه**) أى عن النقل أو عن الوجه المباح (**لم يكن نمّاماً**) ولم يلحقه اثم ، مثل أن يقول :فلان ذهب الى موضع كذا أو لم يذهب ، وقد قال آخر : ان ذهب أو قال : ان لم يذهب أضر به ولم تعلم بذلك ، وذلك فيما لا يدرك بالعلم ولا بالنظر الصحيح فى شان الناس كان لهم ذلك الواقع او لم يكن ، مثل أن يقصد تقوية الحق وتضعيف الباطل او يقصد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أو يخبر من لا يجاوز الحق فى المخبر عنه وقصد ادبه أو قصد ان يؤخذ منه ما لزمــه ولا يخبر من يجاوز فيه الحق فى ضرب أو مال او حبس أو عرض ، وان أخبره فجاوز الحق او انتشر شر فنميمة ولو لم يقصد الشر اذا كان ذلك يدرك بالعلم أو بصحيح النظر ، لأنه ولو لم يعلم ذلك لكنه قد قارف فصار كمن أخطأ فى مال أو بدن ، وذلك ان يعرف أنه يجاور الحق أو لم يعلمه يجاوز ولم يعلمه لا يجاوز ، واما لو كان عنده ثقة أو أخبر عنه الثقات أنه ثقة ولم ير هــو خلاف ذلك فأخبره فجاوز الحق فلا يكون نميمة اذا نظر مع ذلك جهده ، لأن كونه يجاوز الحق لا يدرك بالعلم ولا بتجويد النظر وليس بمقصّر لأنه أخبره بعد العلم بانه ثقة ، فلو كان قليل الفطنة فتكلم بما يكون نميمة ولم يعرف المتكلم ذلك ولو كان ذكياً فنميمة ولو قصد الخير ، اذ قارف ووافق الشر الا ان لم يكن الشر ، وقيل : ولو لم يكن ، وقيل فيمن قصد النميمة وذكر ذلك لمن لا يقوم عنه الشر فليس بنميمة .

(**وان قصد صلاحاً فوافق ما لا يجيزه العلماء**) ، وقوله : (**ان يذكره**)

فنمام ، وكذا قاصد به مزاحاً أو اضحاكاً أو انتقاماً وان لغيره والاهتمام بها واستحلالها والأمر بها ذنب ، وان قصدت وذكرت لمن لا يقوم عنه شر لم تضره

بدل هاء يجيزه بدل اشتمال (**فـ**) هو (**نمام**) مثل ان يعلم من شخص الزنى أو الشرك فيخبر الامام أو الحاكم به أو الجماعة ليخرج الحق منه ظناً منه أن ذلك جائز مع أنه لا يجوز له الاخبار بذلك الا مع أمناء ثلاثة فى الزنى ، ومع أمين فى الشرك ، ومثل ان يخبر الحاكم بفعل أحد ليخرج الحق منه فوافق الحاكم الجائر ، واذا فعل او قال ما هو نميمة وقصد السوء فهو نميمة ولو لم يكن الشر ، وان لم يقصد الشر فقيل : لا نميمة اذ لم يقصدها ولم يقع سوء وقيل : نميمة ·

(**وكذا قاصد به**) أى بنقل كلام (**مزاحاً أو اضحاكاً**) بكسر الهمزة مصدر أضحك بهمزة التعدية (**أو انتقاماً وان لغيره**) ولا سيما لنفسه فكل ذلك نميمة كما اذا جرى كلام بين اثنين بمغاضبة وتقول لأحدهما : ان فلاناً وهو الآخر يقول : اذا لقيك صفعك أو ضربك ، سواء قال أو لم يقل ، وفى نسخة من الأصل : الانتفاع بدل لفظ الانتقام ·

(**والاهتمام بها واستحلالها والأمر بها ذنب**) لكن الاهتمام بها اذا زاد على الخطور فى البال بأن عزم عليها أو أثبتها ذنب صغير أو ذنب لا ندرى لعله عند الله كبير ، واستحلالها شرك ، والأمر بها كبيرة ، سواء فعل المأمور أو لم يفعل ، وسواء قام الشر أو لم يقم ، وقيل : ليس كبيرة الا أن فعل ، وقيل : لا الا ان قام الشر ·

(**وان قصدت وذكرت**) أى أوقعت بمعنى تكلم بها أى تكلم كلام يسمى فى الجملة نميمة (**لمن لا يقوم عنه شر لم تضره**) ولم تسمّ نميمة ولم يسم

وتكون وان بين أطفال ، وهل هلك محرّش بين بهـائم وان له ان قـام عنه فسـاد أو اثم فقط ؟ قولان ، وتضرب غالبة وتدفع . . . . .

نماماً ، وقيل : نميمة وهو نمام الا ان علم أنه لا يقوم شر ، وقد مر فى كلامى (وتكون) من بالغ عاقل (وان بين أطفال) أو بين مجانين ، أو طفل ومجنون ، أو بالغ وطفل . أو عاقل ومجنون .

(وهل هلك) كفر كفْر نفاق (محرّش بين بهائم) أو طيور بلسان أو صوت أو اشارة (وان) كانت (له ان قام عنه) أى عن التحريش (فساد) فيها أو فى غيرها من مال أو نفس أو دابة وان لم يقم فساد اثم (أو اثم) أى : أذنب ذنباً صغيراً أو لا يدرى أصغير أم كبير ؟ لكنا نحكم عليه بالذنب (فقط ؟) دون وصْفه بانه كبير (قولان) المختار الأول ، ولذلك بدأ به المصنف رحمه الله ، وظاهر صاحب الأصل اختيار الثانى ، وانما اختار المصنف الأول لقوله ﷺ : « ملعون من حرّش بين بهيمتين » (١) فهذا صريح فى هلاكه لكن الحديث ليس فيه قيد قيام الفساد ، فالصحيح انه يهلك ولو لم يقم فساد ، وصاحب الأول حمل الحديث على ما اذا قام الفساد ؛ وظاهر اطلاقه الحكم بالهلاك ولو لم يقم منه فسـاد .

(وتضرب) بهيمة (غالبة) لأجل ضرهـا بالمغلوبة فتزول عنهـا (وتدفع) عنها ، وكذا تدفع عن المـال بالضرب ان كانت لا تزول الا به وبالأولى تدفع بالضرب عن الآدمى ، ولا ضمان على ضاربها الا ان تعدى أو جاوز محل الضرب مثل أن يكسرها وكذا مجنون اذا قام .

---

(١) رواه ابو داود .

(ويؤدب طفل ان نمّ) اى : ان كان منه ما يكون من البالغ نميمة (و) لكن (لا يكون بذلك نماماً) لا ذنب عليه ولا يسمى نماماً ولو جاز أن يطلق عليه انه نم ، والحق عندى أن تقول للطفل نمام : وسارق وكاذب ولا تعتقد انه مذنب فى ذلك .

قال الغزالى عن عبد الله بن المبارك : ولد الزنى لا يكتم الحديث فمن لا يكتم الحديث ويمشى بالنميمة دل انه ولد زنى ، لقوله تعالى : ﴿ هماز مشّاء ـ الى ـ زنيم ﴾ (١) أى : دعىّ بل قال ﷺ : « الساعى فى الناس الى الناس لغير رشيدة » (٢) اى ليس بولد حلال وعن أبى موسى الأشعرى : لا ينم على الناس الا ولد بغىّ ، وسعى رجل الى بلال بن ابى بردة برجل وكان بلال أمير البصرة فقال له : انصرف حتى أكشف عنك فكشف ، عنه فاذا هو ابن بغى ، وقال فى قوله تعالى : ﴿ ويل لكلّ همزة ﴾ (٣) الهمزة النمام ، وقيل فى قوله تعالى : ﴿ حمّالة الحطب ﴾ (٤) نمامة حمالة للحديث قيل : وعليه أكثر المفسرين ، وسميت النميمة حطباً لأنها سبب للعداوة والقتال فصارت كالحطب للنار ، وقيل فى قوله تعالى : ﴿ فخانتاهما ﴾ (٥) أن امرأة لوط عليه السلام تخبر بالضيفان ، وامرأة نوح عليه السلام تخبر أنه مجنون ، وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام » (٦)

---

(١) سورة القلم : ١٣ .
(٢) رواه البيهقى .
(٣) سورة الهمزة : ١ .
(٤) سورة المسد : ٣ .
(٥) سورة التحريم : ١٠ .
(٦) رواه مسلم .

• • • • • • • • • • • • • •

وفى رواية : « لا يدخل الجنة قتّات » أى نمـام ، وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : « أحبكم الى الله تعالى أحاسنكم اخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى الله تعـالى المشّاءون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الأحبة ؛ المبتغون للبراء العثرات » (١) ؛ وقال ﷺ : « ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى ، قال : المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العيب » (٢) ، وقال أبو ذر : قال رسول الله ﷺ : « من اشار على مسلم بكلمة ليشنْه ُ بها بغير حق شانه الله تعالى بها فى النار يوم القيامة » (٣) ، وقال أبو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « ايما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة فى النار » ، وقال ابو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فلْيتبوأ مقعده من النار » ويقال : ان ثلث عذاب القبر من النميمة ، وثلثا من البول ، وثلثا من الغيبة ، وعن ابن عمر عن النبى ﷺ : « لـمـا خلق الله تعالى الجنة » قال لهـا : « تكلمى ، فقالت : سعد من دخلنى ، فقال الجبار جل جلاله : وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : مدمن خمر ، ولا مصرّ على الزنى ، ولا قتّات ، ولا ديّوث ولا شرطى ، ولا مخنّث ، ولا قاطع رحم ، ولا الذى يقول : علىّ عهد الله ان لم افعل كذا ولا يفى له » وروى كعْب ُ الأحبار أن بنى اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرّات فما سقوا ، فأوحى الله تعالى اليه : « انى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمّام قد أصر على النميمة » ، فقال موسى : من هـو يا رب دلّنى عليه

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الدارقطنى .
(٣) رواه ابو داود .

. . . .

حتى أخرجــه من بيننا ؛ قــال : « يا موسى أكره النميمــة وأنم ؟ » فتابوا جميعا فسقوا ، وفى رواية : « أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً ؟ » .

ويقال : مشى رجل سبع مائة فرسخ الى حكيم فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال : انى جئتك للذى آتاك الله من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها ، وعن الصخرة وما أقسى منها ، وعن النار وما أحرّ منها ؟ وعن الزمهرير وما أبرد منه ، وعن البحر وما أغنى منه ، وعن اليتيم وما أذل منه ، قال الحكيم : البهتان على البرىء أثقل من السماوات ، والحق أوسع من الأرض ، والقلب القانع أغنى من البحر ، والحرص والحسد أحر من النــار ، والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير ، وقلب الكافر أقسى من الحجر ، والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم ، وفى رواية : أزعفُ من كل سمّ أى أهلك ، والسم الزعاف هــو المهلك ، وفى رواية : أضعف من كل يتيم ، وقال أكثم بن اصبع : الأذلاّء أربعة : النمام والكذاب والمديان واليتيم ، وعن يحيى بن أكثم : النمام اشد من الساحر فان النمام يعمل فى ساعة ما لا يعمل الســاحر فى شهر ، ويقال : عمل النمام أشد من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالحيل والوسوسة ، وعمل النمام بالمواجهة والمعاينة ، والنميمة للفتنة كالحطب لايقاد النار .

وعن حماد بن سلمة : باع رجلّ غلاماً فقال : ليس به عيب الا انه نمام ، فاستخف المشترى بقوله واشتراه على ذلك فمكث أياماً ثم قال لزوجة سيده : ان زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك أفتريدين أن أعطفه عليك فنحتال بحيلة فيه ؟ قالت : نعم ، فقال لها : خذى الموسى واحلقى شعرات من باطن لحيته اذا هو نام ، ثم جاء الغلام الى الزوج فقال ان امرأتك تخونك قد اتّخذت خليلاّ وهى تريد قتلك أتريد أن أبيّن لك ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فتناوم لها ، يعنى : اجعل نفسك كالنائم ففعل ، فجاءت

• • • • • • • • • • • • • •

المراة بالموسى لتحلق الشعرات فظن الزوج انها تريد قتله فاخذ منها الموسى فذبحها ، فجـاء أولياؤها فقتلوه بها ووقع القتال بين الفريقين ٠

وعن الحسن البصرى : من نقل اليك حديثا فاعلم انه ينقل حديثك الى غيرك ، ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فذكر رجلا فقال له : ان شئت نظرنا فى أمرك فان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ ان جاءكم فاسق ﴾ (١) الآية ، وان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ (٢) ، وان شئت عفونا عنك ، قـال : العفو يا امير المؤمنين ولا أعود الى مثل هذا ٠

وزار حكيما بعض أصدقائه فذكر عن بعض أصدقائه فقال له : قد ابطأت فى الزيارة وأتيتنى بثلاث : جنايات بغضت الىّ أخى واشغلت قلبى الفارغ واتهمت نفسك الأمينة ، وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهرى فجاء رجل فقال سليمان : بلغنى أنك قلت فىّ كذا وكذا ، فقـال الرجل : ما قلت ولا فعلت ، فقال سليمان : ان الذى أخبرنى صادق ، فقال له الزهرى : لا يكون النمام صادقا ، فقال سليمان : صدقت ، ثم قـال للرجل : اذهب بسـلام ٠

والنمام من الذين يسعون فى الأرض فسادا ، ومن الذين يبغون فى الأرض بغير الحق ، ومن الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، وسعى رجل الى علىّ برجل فقال : يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك ، وان كنت كاذبا عاقبناك ، وان شئت الاقامة اقلناك ، فقال : أقلنى يا امير المؤمنين ، وقيل لمحمد بن كعب : اى خصال الرجال أوضع له ؟ فقال : كثرة

(١) سورة الحجرات : ٥ ٠

(٢) سورة القلم : ١٠ ٠

• • • • • • • • • • • • • •

انكلام وافشـاء السر وقبول قول احد ، وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميراً : بلغنى أن فلاناً اعلم الأمير أنى ذكرته بسوء ، قال : قد كان ذلك ، قال : فاخبرنى بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك ، قال : ما أحب ان أشتم نفسى بلسانى وحسبى أن لا أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال ، وقال رجل لعمرو بن عبيد : ان الاسوارى ما يزال يذكرك فى قصصه بشرّ ، فقال له عمرو : يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ، ولا ادّيت حقى حين أبلغتنى عن اخى ما أكره ولكن أعلمه أن الموت يعمّنا والقبر يضمنا والقيامة تجمع بيننا ، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين .

ورفع رجل الى الصاحب بن عبّاد رقعة ينبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فكتب على ظهرها : السعاية قبيحة وان كانت صحيحة ، فان جريت مجرى النصح فخسرانك فيها أعظم من الربح ، ومعاذ الله أن اقبل مهتوكاً فى مستور ، ولولا انك فى خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك ، فتوقّ يا ملعون العيب فان الله اعلم بالغيب ، الميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمـال امره الله ، والساعى لعنه الله .

وعن مصعب بن الزبير : نحن نرى قبول السعاية شراً من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة ، وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبـله فأجازه وأمضاه فاتقوا الساعى فلو كان صادقاً فى قوله لكان لئيماً فى صـدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة ، والسعاية هى النميمة الا أنهـا اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية .

ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه فى الكلام وقال : انى مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله ، وان كرهته فان وراءه ما تحب

. . . .

ان قبلته ، قال : قل ، فقال : يا أمير المؤمنين انه قد اكتنفك رجـال ابتاعوا دنيـاك بدينهم ورضاك بسخط الله خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيـك ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، ولا تصغ اليهم فيم استحفظك الله اياه ، فانهم لم يألوا فى الأمة خسفاً ، وفى الأمانة تضييعاً ، وفى الأعراض قطعاً وانتهاكاً ، أعلى قربهم النميمة والبغى ، وأجل رسائلهم الغيبـة والوقيعة ، وأنت مسئول عما أجرموا وليسوا بمسئولين عمـا أجـرمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبناً من باع آخـرته بدنيا غـيره ، وسعى رجل بزياد الأعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجـل فقال :

فأنـت امـرؤ امـا ائتمنتك خائنـا
فخنـت وامـا قلـت قـولاً بـلا علم

فأنـت من الأمـــر الذى كان بيننـا
بمنزلـة بـين الخيـانة والاثـم

وقال لقمان لابنـه : يا بنى أوصيك بخـلال ان تمسكت بها لم تـزل سـيداً ، أبسـط خلقـك للقريب والبعيد ، وامسـك جهلك عـن اللئيم والكريم ، واحفظ اخوانك ، وصل اقاربك وأمنهم من قبـول قول ساع أو سـماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك ، وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك .

وقال بعضهم : النميمة مبنية على الكذب والحسـد والنفـاق ، وهى موجبات الذل ، وأثافى الذل ، وعن بعضهم : لو صـح ما نقـله النمـام

. . . .

اليـك لكان هو المجترىء بالشتم عليك والمنقـول عنه أولى بحلمك لأنـه لم يقابلك بشـتمه .

وقال بعض الحكماء : من أخبرك بشتم عن آخـر فهو الشـاتم لا من شتمك ، وقيـل : من مدحك بما ليس فيـك فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيـك ، ويجب على من حملت اليـه النميمة سـتة أمـور ، الأول : أن لا يصدّقه فان النمام فاسـق وهو مردود الشـهادة ، قال الله تعـالى : ﴿ يا أيهـا الذين آمنوا ان جاءكم فاسـق بنبـأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهـالة (١) ﴾ ، الثانى : أن ينهـاه عن ذلك وينصح له ويقبّح عليـه فعـله قال الله تعـالى : ﴿ وأمر بالمعـروف وانْه عن المنكر (٢) ﴾ ، الثالث : أن يبغضه فى الله لأنه عاص ، وبغض المعاصى واجب لأن الله تعالى يبغضها ، الرابع : ان لا تظـن بأخيك الغائب السـوء لقـوله تعـالى : ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن فان بعض الظن اثم ﴾ (٣) ، الخامس : أن لا يحملك ما حكى لك على البحث لقوله تعالى : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ (٤)، السادس : أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نميمته فتقول : فلان قد حكى لى كذا وكذا ، فتكون نماماً مغتاباً .

وعن أبى هريرة : النمام هو شر خلق الله ، وعن الحسن البصرى : من نقل اليك حديثاً فاعلم أنه ينقـل حديثك الى غيرك ، وعن رسـول الله ﷺ : « الهمازون واللمازون والمشاءون بالنميمة الباغـون للبراء العيب

---

(١) سـورة الحجرات : ٥ .

(٢) سـورة لقمان : ١٧ .

(٣) سـورة الحجرات : ١١ .

(٤) سـورة الحجرات : ١٢ .

. . . .

يحشرهم الله تعالى ووجوههم وجوه الكلاب » ، وعنه ﷺ : « ملعون ذو اللسانين ملعون ذو الوجهين ملعون كل شغاز وملعون كل قتّات وملعون كل نمام » والشغاز من يحرش بين الناس ، والقتّات هنا من يستمع حديثهم وهم لا يعلمون وينم به ، وقيل : الذى يكون بين قوم يتحدثون فينم حديثهم ، وفى رواية : منان بدل قتات ، وهو من يمن بما فعل من الخير ، وروى عنه ﷺ : « شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » وعنه ﷺ : « من مشى بالنميمة بين اثنين سلط الله عليه ناراً تحرقه فى قبره الى يوم القيامة » ، ويقال : النميمة سيف قاتل ، وعن بعض الأدباء : لم يمش ماش شر من واش ، وقال الشاعر :

مَنْ نمّ فى الناس لم تؤمن عقاربه
على الصديق ولم تؤمن أفاعيه

كالسّيْل بالليل لا يدرى به أحد
من أين جاء ولا من أين يأتيه

الويل للعهد منه كيف ينقضه
والويل للودّ منه كيف يفنيه

وروى عنه ﷺ : « لا يدخل الجنة دبثوب ولا قلاّع » الدبوب : الذى يدب بين الرجال والنساء يجمع بينهم ، والقلاّع الذى يقلع من تمكن عند الأمير بالنميمة ، وعن حكيم : الساعى بين منزلتين قبيحتين : ان صدق فقد خان الأمانة وان كذب فقد خان المروءة ، وعن بعض حكماء الفرس : الصدق يزين كل أحد الا السعاة فان الساعى أذم وأنم

. . . .

ما يكون اذا صـدق ، ولمـا لقى أسقف نجـرأن عمر رضى الله عنه قال : يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثـلاثة ، قال : ومن هـو ؟ قال : الرجـل يأتى الامام بالحديث الكاذب فيقتله الامام فيكون قد قتـل نفسه وصاحبه وامامه ، فقال عمر رضى الله عنه : ما أراك أبعدت .

وفى حكم القدماء : أبغض الناس الىّ المثلث ، قال الأصمعى : هو الرجل يسعى بأخيه الى الامام فيهلك نفســه وأخاه وامامه ، وسعى رجل بجـار له الى الوليد بن عبد الملك فقال له الوليـد : أما أنت فتخبرنى أنك جـار السـوء وان شئت أرسلنا معك ، فان صـدقت أبغضناك ، وان كذبت عاقبناك ، وان شئت تركناك ، قال : اتركنى يا أمير المؤمنين ، قال : قد تركنـاك ، وقال حكيم العرب : أياك والسعادة فانهم أعداء عقلك ولصوص عدلك يفرقون بين فعلك وقولك ، وفى المثل : من أطـاع الواشى ضيع الصـديق ، وقال الاسكندر لسـاع سعى اليه برجـل : أتحب أن أقبل عقلك ما تقول فيه على أن أقبل عنـه ما يقـول فيك ؟ قال : فكف عن الشر يكف عنك الشر ، وقال بعض البلغـاء : النميمة دناءة والسـعاية رداءة وهما رأس الغـدر وأساس الشر ، وقال مروان بن زنْباع العبسى : يا بنى عبس من نقـل اليكـم نقـل عنـكم ، واياكـم واظهـار السرور واستكثروا الصـديق ما استطعتم واستقلّوا من العدو ، احفظوا عنى هذه الثلاث ، وقال الشـاعر :

يسـعى عليـك كمـا يسـعى اليك فـلا
تأمن غـوائل ذى وجهـين كَيّـاد

وعن بعض الحكماء : من أراد أن يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فليكن قاضياً حكيماً بينـه وبينهم بالعـدل ولا يقبـل قول أحـد فى أحـد ولا فى نفســه الا بشـهادة عدول ، فانا قـد أحببنـا بقـول أقوام وأبغضنا بقـول أقـوام فاصبحنـا على ما فعلنـا نادمـين ، ويقـال : من لطـف

. . . .

الله تعـــالى فى النميمــة أن حـــكم بفســـق صاحبهـــا حتى لا يقبـل لــه قــول فيستريح الخـلق من شره لمـا قد علم الله من شرها واستظهـار شرها وعموم مضرتها فى الورى ، وكلّم معاوية الأحنفَ بن قيس فى شىء بلغـه عنه فانكره الأحنف فقال له معاوية : بلّغنى عنك الثقــة ، فقال الأحنف : ان الثقــة لا يبلّغ مكروهاً ، وقيـل : من سعى بالنميمة حـذره القريب ومقته الغريب ، وقال المأمـون : النميمة لا تقرب مودة الا افسدتها ولا عـداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتهـا ، لابـد لمن عـرف بهـا أو نسـب اليهـا أن يجتنب ويخـاف من معرفته ولا يوثق بمكانه ، وقـال عبد الرحمن بن عوف : من سمع بفاحشة فأفشـاها فهو كالذى أتاها .

ومن العجب الذى لا عجب بعده ان الرجل يشهد عنـدك فى باقـة بقل فلا تقبله حتى تسـأل عنه هل هو ثقــة ، وينم عليك بحـديث فيه الهـلاك وفساد الأحـوال فتقبله مجاناً بلا سؤال ، وقال رجـل للمهـدى : عنـدى نصيحة يا أمير المؤمنين ، قال : لمـن نصيحتك هذه ؟ النا أم لعامّة المؤمنين أم لنفسـك خاصة ؟ قال : بل لك يا أمـير المؤمنين ، فقال المهدى : ليس الساعى بأعظم عورة ولا أقبح حالاً ممن قبل سعايته ، ولا تخـلو من أن تكون حاسـد نعمة فلا يشفى لك غيظ ، أو عـدواً فلا يعاقب لك عدوك ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أيهـا الناس لا ينصح لنـا ناصح الا ما فيه لله رضى وللمسلمين صـلاح .

فـوائد : تجـوز شـكاية الرعية للأمير من العمال ، وقيـل : لا ، خوفاً من العقوبة عليهم ، وعليه فيلزم الرعية ضمان ما عوقبوا به مطلقاً ، وعلى الأول ان زادوا فى الشكاية بهم على ما كان منهم ، وقيل : تجـوز ان علم الشاكى انهم يعاقبون بما يعاقب به غيرهم ويجوز لمن جـاروا

. . . .

عليه ولا يقدر على ردهم الا بالشكاية أن يشتكى بهم ، ومن تعـدى على أحـد فأظهره حتى بلغ الجـائر فعاقبه فان قصـد باظهاره أن يبلغـه فيعاقبه لزمه ضمانه ، وان قصـد به أن يكف ظلمه عنه فلا بأس ، وان حبس بعض أعوانه أو ألزمه ما لم يلزمه جـاز أن يطلب الأمير فى اخراجه أو ترك الأخـذ بماله أو رده بعد أخذه والله أعلم ٠

باب

. . . .

باب
فى الكسل والعجز والملامة

والعجز والكسل لا باس بهما فى أمر الدنيا ما لم يوصلا الى حرام أو ريبة ولا فى النفل ، الا انه قد ينتقل من الكسل والعجز فى أمر الدنيا أو النقل الى الكسل والعجز فى امر الدين والفرض ، ولا يحسن وصف المتولى بهما لئلا يتوهم أنه عجز عن الفرض وكسل عنه ، وليس العجز فى هذا الباب هو العجز عن الشىء بحيث يسقط التكليف به بل معنى قريب من الكسل والكسل الثنائى عن الشىء والفتور فيه قال الله تعالى : ﴿ ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ﴾ (١) اى : متثاقلون كانهم أكرهوا عليها ، والعجز : الضعف عن الشىء ، ولو حزم لقوى عليه ، وفى الحديث : « الثقة بكل أحد عجْز » (٢) والعجز عجزان : التقصير فى طلب الأمر وقد أمكن ، والجد فيه وقد فات ، قال الشاعر :

وقد يقال العجز والتوانى للفقر والفاقة ناتجان

---

(١) سورة النساء : ١٤٢ .

(٢) راه ابن حبان .

. . . .

وعن بعضهم : اياك والكسل فانه شؤم وآفة عظيمة ، وقال الشاعر :

وكل ذى عمل فى الخير مغتبط   وفى بلاء وشؤم كل ذى كسل

وقال آخر :

دعى نفسى التكاسل والتوانى   والا فاثبتى فى ذل هون

وقال هلال بن العلاء الرقاء :

كان التوانى انكح العجز بنته   وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها : اتكى   فانكما لا بد أن تلدا فقرا

وفى رواية :

فانقدها لما تزوجها مهرا   فراشا وطيئا ثم قال : ارقدا معا

والتوانى : هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وترك العمل ، وأما التأنى فخلاف التوانى : وهو الرفق وضد العجلة والنظر فى العواقب ، وقد قيل : من نظر فى عواقب الأمور سلم من آفات الدهور ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ﴾ (١) وعنه ﷺ : « من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة » (٢) وقال ﷺ لعائشة رضى الله عنها : « عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيئا الا زانه ، ولا يفارق شيئا الا صانه » (٣) ، وفى التوراة : الرفق رأس الحكمة ،

---

(١) سورة طه : ١١٤ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

وقالوا : العقل أصله التثبت وثمرته السلامة ، ووجد على سيف مكتوب : التانى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الأمل ، وقال حكيم : اذا شككت فاجزم ، واذا استوضحت فاعزم ، وقالوا : يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ، ويد العجلة تغرس شجرة الندامة ، وانشدوا :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

وأقول وربما فات الأمر بالتأنى ، وقالوا التانى حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة ، وقالوا : اذا لم يدرك الظفر بالتأنى والرفق فبماذا يدرك ؟ وقال المهلبى : اناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت ، وقالوا : من تانى نال ماتمنى ، والرفق مفتاح النجاح : وقال حكيم : اياك والعجلة فانها تكنّى أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ولن تصحب هذه الصفة أحداً الا صحب الندامة وجانب السلامة ، وسأل معاوية سعيد بن العاص عن المروءة فقال : العفة والحرفة ، وكان أيوب السختيانى يقول : يا فتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم ، يعنى الأمراء ، وقال رجل للحسن : انى أنشر مصحفى فاقراه بالنهار كله فقال : اقراه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك وما لا بد منه ، ومرّ الحسن باسكافى فقال : يا هذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل وياكل ، ولا يحب من ياكل ولا يعمل ، وقال أبو تمام :

اعاذلنى ما احسن الليل مركبا   واحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى واهوال الزمان اقاسها   فاهواله العظمى تليها رغائبه

. . . .

أرى عاجزاً يدعى جليداً لقسمة ... ولو كلف التقوى لكلّت مضاربه
وعفّا يسمى عاجزاً بعفافه ... ولولا التقى ما اعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطاه الغنى ... ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال آخر :

ولا تركن الى كسل وعجز ... يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى : العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للأمانى المستحيلة ، ويقال : فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر ، وقال لقمان لابنه : يا بنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقاً ، واذا ضجرت لم تصبر على حق ، وقال أبو العتاهية :

اذا وضع الراعى على الأرض صدره ... فحق على المعزى بان تتبددا

وقال حكيم : الحركة بركة ، والتانى هلكة ، والكسل شؤم ، وكلبٌ طائف خير من أسد رابض ، ومن لم يحترف لم يغتلف ، وقال حكيم : من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير ، وقال على : التانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولّدت الفاقة ، ونتجت الهلكة ، ومن لم يطلب لم يجد وأفضى الى الفساد ، وعن الشافعى : احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس ، وعن رسول الله ﷺ : « باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح » وقيل : احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمدّه من جزعه وعوّده قلة الصبر ونسّاه ما فى العواقب ، وليس للعجز ضد الا الحزم ، وقال

يوصف مجتهد بنشاط وجدّ لا بكسل وعجز اذ لا يوصف بهما صالح لكونهما في فرض او موصل لتضييعه حتى يخرج وقته فيكفر به ولا عصيان حيث لا فوت

بعض العلماء : من الخذلان مسامرة الأمانى ، ومن التوفيق بعض التأنّى ، وعن على : من اطاع التأنّى ضيع الحقوق ، ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه ، وقال الشاعر :

على المرء ان يسعى لما فيه نفْعه ... وليس عليه أن يساعده الدهر

وقال آخر :

على المرء ان يسعى ويبذل جهده ... ويقضى الله الخلق ما كان قاضياً

(**يوصف مجتهد**) فى أعمال الدين أو الدنيا المباحة (**بنشاط وجدّ**) وعزم (**لا بكسل وعجز**) على الاطلاق ، بل يوصف بهما غير الصالح ولو كان له اجتهاد فى الدنيا (**اذ لا يوصف بهما صالح**) فى دينه لئلا يتوهم السامع أنه تهاون عن الفرض أو السنة ، وان وصفه بهما أحد فلا يبرأ السامع من الواصف لاحتمال أن يكونا فى أمر الدنيا ، ومن أراد وصفه بهما فليبين أنهما فى أمر كذا مثل ان يقول : كسلان عن السفر ، أو كسلان عمايبنغى الكسل عنه كالانتقام الجائز ، وايضاً لا يوصف بهما باطلاق (**لكونهما**) فى عرف المتورعين المتفقهين انما يكونان (**فى فرض أو**) فى (**موصل**) بان يبقى فيما يوصل (**لتضييعه حتى يخرج وقته فيكفر به**) اى : بالتضييع (**ولا عصيان حيث لا فوْت**) بان أدركه فى آخر الوقت ، وقيل : يعصى

ويكونان من القلب ومن الجوارح وخص النشاط والعزم والجهد والسهو

والغفلة بالقلب . . . .

بالتاخير للصلاة الى آخر الوقت لقوله ﷺ : وآخر الوقت عفوُ الله (١) »
والجواب أن المراد أن التأخير الى آخر الوقت مكروه كراهة معفواً عنها ،
وقيل : اذا لم يبق من الوقت الا قليل لا تدرك فيه عصى ولو أدركها
باختصار ، واذا خرج الوقت كفر ، وقيل : اذا تركها حتى لا يدركها كفر
وقد مرّ كلام لصاحب الأصل فى هذا فى محله حاصله : هل تجب الصلاة
كلها بدخول وقتها أو كلما حصل جزء منه وجب جزء منها ، وقيل :
يهلك لها كلها بخروج جزء من الوقت المضيق أو كلما ذهب جزء فقد
دخل فى جزء الهلاك حتى يتم الهلاك بخروج الوقت كله وذلك بقدر
ما ياتى بوظائفها أيضاً ، أو لا يهلك ما بقى ما يصليها بلا وظائف أو ما بقى
ما ياتى فيه باكثرها أو ما بقى منها شىء ، وهل طلوع قرنها حكم طلوعها
كلها أو لا ؟ وكذا الغروب أقوال .

(**ويكونان**) أى : الكسل والعجز (**من القلب ومن الجوارح**) ،
أما كونهما من القلب فقط فمثل أن يفعل شيئاً ولا رغبة لقلبه فيه ، وأما
كونهما من الجوارح فمثل أن لا تنشط جوارحه لحر أو برد أو غيرهما
وقد رغب فيه قلبه ويكونان منهما معاً بأن لا يرغب قلبه ولا تنشط
جوارحه ، أو يكونان من القلب فلا يعمل .

(**وخص النشاط والعزم والجهد والسهو**) عن الشىء الى غيره
(**والغفلة**) : الاعراض بلا عمد بدون انتقال (**بالقلب**) يبحث فيه بأن

---

(١) رواه مسلم .

ويكون الكسل فى عمل ، ان فى أول الوقت ان لم يعمل بنشاط وقصد وتقرب

الجـد والنشاط يكونان أيضاً فى الجوارح وهما فيها أظهر ، ويجاب بأن المراد : الجـد والنشـاط اللذان بمعنى شدة الرغبة ولا ينبغى الا العزم والنشاط والجد فى الفرض والنفل ، ومعنى قول صاحب [الأصل] : وانما يكون الكسل والعجز فيما افترض الله على عباده وما يصلون به الى تضييع فرائضهم حتى يخرج أوقاتها فذلك عصيان ، وذلك العصيان على وجهين : يكون كبيراً ويكون صغيراً ، ان ترك الفرض حتى يخرج وقته عمداً كبير ، وتركه حتى يضيق الوقت حتى لا يدركه باختصار أو عجلة صغير ، وكذا لو تركه حتى لا يدركه الا بالتيمم ، ولا ينافى ذلك قوله : وما لم يكن فيه فوت الفرض لا يسمونه عصياناً لأن من لا يدركه الا باختصار أو عجلة أو تيمم قـد فاته بعض فوت ، أو سمّى العمل آخـر الوقت معصية لظاهر الحديث : « آخر الوقت عفو الله » ، ولو أوّله بما مر فان المكروه الشديد شبيه بالمعصية أو هو معصية ، ولكن ينافيه قوله : وما لم يكن فيه فوت الفرض لا يسمونه عصياناً اللهم الا ان يقول : المؤخّر الى آخر الوقت قد فاته العمل الذى هو خالص عن المعصية او الكراهة الشبيهة به ، ويجوز أن يريد أن نفس التأخير حتى يخرج الوقت كبير ، وان التلبس بما يكون سبباً لعدم أداء الواجب معصية صغيرة مثل أن يلبس خاتم حديد قبل أن يصلّى ولا يطيق نزعه ، ومثل أن يخرج بلا ماء وقد دخل وقت الصلاة ، ومثل ان يخرج بماء ويهرقه وقـد دخل الوقت فيصلى بتيمم وهذا فى قول (**ويكون الكسل**) والعجز (**فى عمل ان**) عمله (**فى أول الوقت**) أو وسطه وذلك (**ان لم يعمل بنشاط**) ، شدة انبعاث (**وقصد**) عزم (**وتقرب**)

والنشاط والعزم وان بآخره ما لم يخرج ، وندب اتيان فرض أوله ما وجد اليه سبيل ، وقد روى : لا تقدموا الصلاة لفراغ ولا تؤخروها لشغل دنيوى

الى الله عز وجل به ، بأن ينوى به القرب الى رضى الله ورحمته ، أو نشط ولم يقصد أو لم يتقرب أو تقرب ولم يقصد او لم ينشط .

وان قلت : فمال حال من ثقلت عليه الصلاة مثلاً ولا يجد من نفسه نشاطاً ولكن يصلى بقصد وتقرب ؟ قلت : هذا اذا كان يكره حاله ولا يرضى عن نفسه ويراها بالنقص ، ويحب أن لو كان ينشط ويتعاطى النشاط فهو غير كسلان وغير عاجز فى عبادته لأن تعاطى النشاط والتعلق به نشاط .

(و) يكون (**النشاط والعزم وان**) عمل (**بآخره ما لم يخرج**) أو بوسطه اذا نشط وقصد وتقرب ، ومن تعجّل فى صلاته ونقص منها أو لا يستوى فى ركوعه فقد كسل بجوارحه ايضاً .

(**وندب اتيان فرض**) صلاة أو زكاة أو غيرهما مما يحتمل التأخير (**أوله**) أى أول الوقت (**ما وجد اليه**) أى الى الاتيان به أول الوقت (**سبيل وقد رُوى**) عن رسول الله ﷺ : (**لا تقدموا الصلاة لفراغ**) لعمل الدنيا ، أى لا تنووا بتقديمها أول الوقت أن تتفرغوا لعمل الدنيا ، بل انووا به ثواب الصلاة أول الوقت والفوز بها قبل حدوث ما يشغل عنها (**ولا تؤخروها**) لوسط وقتها أو آخره (**لشغل**) أى : لشغل (**دنيوى**) تؤثرونه عليها الا دنيوياً ضرورياً كتنجية نفس فانه دينى أيضاً ، وشهر عنه ﷺ « أول الوقت رضوان الله ، ووسطه رحمة الله ، وآخره عفو الله » وروى

وجاز تأخيرها لديني ما لم يمض من الوقت نصفه ، وقيل : ثلثاه وان بانتظار فاضل أو . . . .

عنه ﷺ « فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الأولى » وعنه ﷺ : « افضل الأعمال الصلاة لأوّل وقتها » (١) وعنه ﷺ : « ان فضل اول الوقت على آخره سبْعون ضعفا » وقيل : افضل الأوقات من الليل والنهار أوقات صلاة الفريضة ، وعن عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عن الله عز وجل : « ان عبدى اذا أتانى وقد اقام الصلاة لوقتها ــ أى لأوّله ــ فان له عهداً أن لا اعذبه وأن أدخله الجنة بغير حساب ؛ وان أتانى قد أضاعها ــ اى الى آخر وقتها وادركها ــ فلا عهد له عندى ، ان شئت عذبته وان شئت رحمته » وهذ االتفسير الذى فسرت به على أن الحديث الرباني فيمن اعتاد تأخيرها وما مر من ان آخره عفو الله فيمن لا يعتاد ولا يكثر ، وفى بعض كتب أصحابنا رحمهم الله : ان من حضرته الصلاة وهو يحرث أو يحصد أو المرأة تنسج فجرّ بعد دخول الوقت محراثاً واحداً او حصد قبضة واحدة او زادت المرأة فى نسجها خيْطاً واحداً فقد وفّر ما استصغره الله واستصغر ما وفره الله ، ولو أطعموا ذلك بالمرق ما أدركوا مـا مر لهم .

(**وجاز تأخيرها لـ**) ـأمْر (**دينى**) يخـاف فوته غـير واجب (**ما لم يمض من الوقت نصفه ، وقيل :**) ما لم يمض منـه (**ثلثاه**) والجـواز فى القولين ثابت الا صـلاة المغرب فلا يؤخرهـا عن أولها ، (**وان**) كان التأخير (**بانتظار فاضل**) يصلى معهم (**أو**) بانتظار حصول

---

(١) رواه مسلم .

(**جماعة**) ليصلوا بامام (**او**) بانتظار (**محـْسن**) للصلاة بالجماعة يصلى بهم اماماً ، وجه الأول أن ما دون النصف غير خارج عن أول لضميمة ذلك الأمر الحادث الدينى ، بخلاف ما اذا كمل النصف فقد شرع فى النصف الأخير ، ووجه الثانى ان ما زاد على النصف مما دونِ الثلثين مغتفر للرغبة فى هذا الحادث الدينى ، وأما ما هو على التوسعة وقبول التأخير كنسخ الكتب ومطالعتها فلا ينبغى التأخير عن أول الوقت لأجله الا ان كان كتاب يفوت أو مسألة حال ضاقت ، وقيل : ينتظر الامام الجماعة الى ثلث الوقت ، وتنتظر الجماعة الامام الى ثلثيه ، ولا انتظار بصلاة المغرب بل اذا وصل المؤذن أمــام المحراب اقام ، وقد قيل : اطلب العلم طلباً لا يشغلك عن العبادة واعبد عبادة لا تشغلك عن طلب العلم ٠

وقد روى عن رسول الله ﷺ : أنه كان يصلى أربعا بعد الزوال قبل ان يصلى الظهر ، ويطيل فيهن وقال : « من صلاهن تماماً يصلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل » ، وكذا كانوا يصلون أربعا قبل العصر بعد دخول وقته ولا باس بذلك ، فمن له قوة فى الخشوع ولا يلحقه فتور فى الفرض فعل ذلك ، وان كان ان صلى ذلك نقص خشوعه وحضور قلبه فى الفرض بعده فلا يجوز تقديم ذلك على الفرض ، وعلى هذا حملت كلام ناصر بن أبى نبهان اذ قال : لا يجوز تقديم النفل على الفرض ، وقال : انى لا اصلى خلف امام يفعل ذلك وكذا يحكى عن أبيه ٠ قلت : أيضاً علة عدم الصلاة خلف من يفعل ذلك أن العامة والخاصة يكون خلف الامام فلعله ينقص خشوعه وحضور قلبه بتقديم النفل فيكونون قد صلوا خلف امام ناقص الأمر ، ثم ان ما ورد فيه النص من التقديم فقيده ما ذكرته وما لم يــرد

* * * * * * * * * * * * * *

فاحمله على ذلك أيضاً اقتداء بمن قبل فى التقديم وقيده بذلك ، أو اعتبر فيه تقديم الأهم وهو الفرض مطلقاً ، ولعل من طبْع بعض الناس أيضاً الاستدراج فى الخشوع وحضور القلب فما يزالان يقويان فليقدم النّفْل ليقوى قلبه على الفرض بزيادة الخشوع والحضور ، والله أعلم .

فصـــل

عصى لائم جـاوز بلومـه المقـدار . . . .

فصـــل

فى الملامـة

وهو مصدر ميمى بمعنى اللوم ، وهو ان يوبّخ ويعاتب الشخص على فعل ما لا يليق به أو بأمثاله مما لا يحسن ، وان لم يكن معصية أو لم يكن قبيحاً فى حق غيره ممن لم يكن فى درجته ، كما وقع للشيخ أبى مسّور رحمه الله مع شيخه أبى معروف : كان أبو معروف يعمل فى جنانه لابساً سراويل لا غيره للعمل ، فدخل عليه أبو مسور ولمـا رآه كذلك أخرجه الى الخطة فقال : تبتّ ، وروى : ان أبا معروف جعل يتوب ويستغفر ، وأراد لومه بعد ذلك فقال له أبو معروف : ليس لك ذلك بعد التوبة ، وهـذا منهم رحمهم الله من احياء السير والورع والحذر ، وفى رواية انه قال : قد كان اللوم متوجهاً قبلى قبل التوبة واما بعدها فقد ارتفع اللوم ؛ (**عصى لائم جاوز بلومه المقدار**) أو لام حيث لا يجوز اللوم معصية صغيرة أو معصية لا يدرى أهى عند الله كبيرة أم صغيرة ؟ والذى عندى أن من لام على الفرض

ولا يلام غير مستحقه لقولهم : ملامة مسلم ذنب ، وينصح ان فعل منقصاً او مدنساً ، ويلام بقدره ويهاجر به . . . .

أو ما دونه مما هو طاعة جزماً أو على ترك الكبيرة أو ما دونها مما هو معصية كافر نفاقاً ، وان جنح بلومه الى التحريم أو التحليل فمشرك ، وعلى غير ذلك مما لا يكون معصية يكون عاصياً كما يعصى بمجاوزة اللوم المقدار اذا جاز ، ولعله وصاحب الأصل أطلقا ليشمل ذلك فيصرف اللوم فى كل موضع الى ما يصلح له ، ومقدار اللوم راجع الى الاجتهاد ؛ فان زاد على قدر اجتهاده عصى ، فان عظم الفعل أو الترك لام بقدر ذلك ، وان هان فبقدره ، وان عظم شأن الفاعل أو التارك الملوم عظم اللوم ، وان كان الملوم يرتدع لما بعد ويكف ، كفاه لومة واحدة ؛ واللوم يكون حال الفعل لما يلام على فعله ، وفى حال الترك لما يلام على تركه ، وبعد ذلك ، ويلام قبل ذلك على القصد أو العزم .

(**ولا يلام غير مستحقه**) أى : مستحق اللوم (**لقولهم : ملامة مسلم**) بلا فعل منقص أو مدنس (**ذنب**) وكذا لوم موقوف فيه ، وان لام كافراً على غير ما يلام عليه عصى أيضاً ، وكذا ان لا على شيء هو طاعة أو لا اختيار له فيه فان ذلك كله ظلم لهم ولم يخرجوا فيه الى أن ذلك الذنب كفر .

(**وينصح**) المسلم (**ان فعل منقصا أو مدنسا**) عند الله أو عند الخلق او عند الله والخلق ؛ والتدنيس أعظم من التنقيص (**ويلام بقدره ويهاجر به**) اى : بقدره أى بقدر ذلك المنقص أو المدنس ، أو بقدر موضعه فى الاسلام مع النظر الى ذلك المنقص أو المدنس ، والهاءان عائدان الى واحد من المنقص والمدنس ، وما ان يعاد الأول لأحدهما والثانى للقدر ، او الأول

ويؤدب بلا حب اضرار اخروى أو دنيـوى لـه ويرادان لـذى كبير ودنيوى لـذى وقـوف ولا يلام من لم يتسبب لفعل . . . . . .

للمسلم والثانى للقدر ففيه تفكيك الضمائر ، وسواء فى ذلك ما ينقص أو يدنس من فعل أو ترك مثل ان يكون قاضياً ويلى البيع والشراء ، أو يبيع ويشترى فى مجلس القضاء ، ومثل ان يأكل فى الطريق وما اشبه ذلك مما لا ينبغى ، أو من أخلاق السوء ، وأن لا يرغب فى السنن ، وان يفعل مباحاً لا يحسن لمن فى رتبته كما قال الشيخ أحمد صاحب الأصل رحمه الله : أن المسلم يلام على ما لا يلام عليه غيره .

(**ويؤدب**) على ذلك بما يستحقه من الخطة أو النهر أو تغليظ الكلام أو الضرب اذا فعل موجبه ، وعطف على يهاجر ، عطف عام على خاص (**بلا حب اضرار أخروى أو دنيوى له**) وكذلك الموقوف فيه ينصح ويلام بدون وجوب ، وقال قومنا : بوجوب النصح له ، وكذا قالوا فى الفاسق لدخولهما فى عامـة المسلمين فى حديث النصيحة عنـدهم ، والواجب عندنا لهما الأمر لهما بالمعروف ونهيهما عن منكر .

(**ويرادان**) أى : الاضرار الأخروى والدنيوى (**لذى**) ذنب (**كبير**) ؛ أما الأخروى فعلى كفره وأما الدنيوى فعليه وعلى ما يلام عليه ، (**و**) يراد اضرار (**دنيوى**) لا اخروى (**لذى وقوف**) على ما فعله أو تركـه ليرتدع ويضعف عن ذلك ويلام الموقوف فيه ودون الذنب الكبير على قدر ما يستحقان ويهاجران كذلك ويؤدبان (**ولا يلام**) على فعل (**من لم يتسبب لفعل**) ولا على ترك من لم يتسبب لترك اذا كان الفعل أو الترك من الله فيه بلا كسب منه ولا سبب ؛ أو كان الفعل أو الترك من الخلق فيه بلا كسب ولا سبب « وذلك مثل أن يخلقه الله قبيح الصورة أو ضعيفاً أو معلولاً لا يقدر على الوضوء ، أو بستة أصابع أو أربع ، أو يقطع الناس يده أو رجـله ولا سبب له فى ذلك ولا كسب ، ومثل ما يجر انساناً الى نفسه بلا كسب

ككون أبيه حداداً » (١) فانه يجره كون أبيه حداداً الى الحدادة بمعنى أنه يضاف اليها ، وان كان له سبب او كسب فى شىء من ذلك ليم على كسبه وسببه ، فيلام الأب على ما يفعله مما يكون فى الجملة سبباً لمضرة أو عيب او عصيان فى ولده يلام على ذلك قبل أن يظهر فى ولده وبعد أن يظهر فيه ان كان فيه .

(**وصحّ**) اللوم (**على غير معصية**) من مباح ومكروه ، (**كتارك نفعه**) أى : نفع نفسه ، وكذا تارك النفع لغيره بأن لا ينفع غيره فيلام على عدم نفعه (**أو دفع ضره**) أى : كف ضره أى : ضر نفسه أو غيره كما قال : (**وان**)

---

(١) اعلم أن بعض الصنائع تكون فى عرف اقوام مزرية بالانسان ولا سيما اذا كان ذا منزلة فى قومه : كالحدادة فانها فى وطننا تعتبر كذلك لسوء الحظ مع أنها من اشرف الصنائع ، فان خدمة الحديد آلات من اكبر الحرف الجليلة عند الامم ، وعلى اصحابها يعتمد فى المهمات والملمات ، وعليهم مدار القوتين الدفاعية والهجومية ؛ انظر حال الامم الراقية ذات القوات الهائلة كيف ترى أصحاب المصانع الحديدية فى مقدمة الرجال فاقل شهادة فى حرفة الحديد تؤهل صاحبها لان يتقاضى مرتبا كبيرا فى اى معمل من المعامل ولكن من سوء البخت نرى اصحابنا فى الوطن يمتهنون الحداد ويعتبرونه من حثالة القوم ، والمرء فى اقل حاجة من الآلات يؤم بابه ويستعطفه فى اجادة مطلوبة والتعجيل به .

فبدل أن نجد الحرف التى هى من الفروض الكفائية تشجيعا لكى تتقدم ويتفنن أصحابها حتى تتوفر وسائل العمران ، صرنا نرى احتقارا لاصحابها وامتهانا لها فاذا كان أصحابها ممن يحطون كرامتهم بما يأتون من الطمع والاستجداء فان الصنعة لشرفها يجب احياؤها والعناية بها ممن منح موهبة الاعتناء بالمعارف ورفع شأن الامة .

ولا ريب أن كلّ أمة أضاعت الحرف وازدرت بها تكون عرضة للهلاك والانحلال ، اذ تكون دائما فى حاجة الى استمداد حاجياتها من الخارج وانفاق أضعاف أضعاف ثمنها ومع ذلك لا يؤمن انقطاعها ، هنالك تكون الطامة الكبرى والهلاك المبين زيادة على الهلاك بالاثم الذى يعم الامــة بتضييع الفرض الكفائى .

عن غيره ولا يحل التنقيص على معروف ولا يحقر ما فعل لله ، فان اللعنة قيل : تدور مع المعروف فان لم تصادف صانعه أو مصنوعاً . .

كان ترك الدفع (عن غيره) وذلك بأن فعل فعلاً أو ترك فعلاً كما يجوز له فتولدت مضرة من ذلك على غيره فيلام على ذلك مثل أن يقتص من ضاربه أو يقتل قاتل وليه أو يأخذ حقه فتقوم فتنة على ذلك ، أو يتعدى على أحد ، لذلك حد الله فيقال له : لو تركت ذلك المال أو بعضه لكان خيراً ، أو يعاتب ، ومثل ان يترك اللباس بحيث لا يهلك ولا يفوت عضو ، ومثل أن يترك الدواء فيهيج به المرض .

ولا يحل للناس لوم الله سبحانه وتعالى فى قلوبهم ولا فى السنتهم على ما فعل من محبوب أو مكروه أو ترك لأن أفعاله وتركه كلها عدل وصواب وحكمة ، ومن لام الله سبحانه وتعالى أو نسبه الى الجور فقد كفر كفر نفاق عائد فى المعنى الى الشرك ، ومن نقّص فعل الله عصى ، وأقول : بل كفر كفراً فى معنى الشرك ، وذلك اذا كان تهويناً بالله اذ فعل ذلك أو تركه وان نقص نفس الفعل دون استشعار فاعله سبحانه وتعالى عصى .

(ولا يحل) للانسان (التنقيص) تنقيص فاعل المعروف (على معروف) فعله له أو لغيره كالصدقة والاعارة والاعانة ، أو فعله لله مما لا يصل مخلوقاً كالصلاة والصوم ، (ولا يحقر) الانسان (ما فعل) هو من المعروف لغيره ليثيبه أو لأنه قد أحسن اليه قبل ، أو ليحبه ، أو ليداريه به ، أو نحو ذلك أو (لـ) وجه (لله) وذلك كالضيافة وحق الجيران والصدقة على المسكين (فان اللعنة قيل :) أى : قال بعض السلف موقوفاً (تدور مع المعروف) المصنوع للضيف أو للجار أو للرحم أو للمسكين أو غيرهم (فان لم تصادف صانعه أو مصنوعا

لـه حلّت على ابليس ، ولا يضر تحقيره لا من جهة نعمة الله بل لكـون صـانعه أهـلاً لأكثر . . . .

لـه) بان لم يحتقراه (**حلّت على ابليس**) نعوذ بالله منه ، وان صادفت صانعه بان احتقره حلت عليه ، أو مصنوعاً له بأن احتقره حلت عليه ، وان احتقره الصانع حلت عليه ، وان احتقره المصنوع له أيضاً ، بعده أو قبله ، حلت عليه ايضاً فيكونان ملعونين جميعاً ، وذلك كله ظاهر ، ولو لعنا بشيء قبله ثم احتقراه زادت لعنة أخرى لهما الا حلولها على ابليس حين لم تحل عليهما أو أحدهما فانه ان تسبب لهما في التحقير ولم يحقرا فظاهر أنه قد استوجبها فحلت عليـه ، وان لم يتسبب فكيف تحـل عليـه ولم يفعـل موجبها ولم يفعلاهـا بوسوسته ، ولعـل معنى حلولها عليه حينئذ انه المتصف باللعنة المطلقة المحكوم عليه بها دون أن يحكم عليهما بهـا للتحقير اذ لم يحقراه ، أو معنـاه : أن ابليس يستصغره اذا لـم يحقـراه اما عناداً لله تعالى أو لحبه للعصيان . وعنه ﷺ : « حرام على الرجل أن يقـدم للضيف ما يحقره في منزله ، وحرام على الرجل أن يحقـر ما قـدم اليه » ، وروى ان الأضياف باتوا عند عمر رضى الله عنه فقال : انكم بتّم عند ثلاثة : عنـدى وعند رزقكم وعند الله فان لمتمونى فقـد لمتم رزقكم ، وان لمتم رزقكم فقد لمتم الله ، وان لمتم الله فقـد كفـرتم . ومن أعطى شيئاً فرده احتقـاراً له ثم رُد له جـاز أخـذه ، وان زيـد لـه أخـذ الأول دون الزيادة لأنهـا ليست بطيب نفس كمـا ذكره الشيخ عامـر في عطية الجـار وعطية الجـار وغيره سـواء ، وكذلك ان قبض ما أعطى وأظهر عدم الرضى فزيد له ، وذلك في النفـل ، وأما ان رده لانه أعطاه له على عمـل أو في صـداق فوجـده دون حقه فله اخـذ الزيادة مع الأول كلهـا اذا اطمأنت النفس ، والا فليأخذ من ذلك ما يطمئن اليـه النفس انه حقه .

(**ولا يضـر تحقـيره**) بـأن يحقـــره غـيرهما أعـنى غـــير الصـــانع والمصـــنوع لـــه أن يحقـــراهما أو أحـــدهما كل ذلـك (**لا من جهـــة نعمـــة الله بـــل لكـــون صـــانعه أهـــلاً لأكثر**)

مما صـنع أو لا يسـد حاجـة مصنوع له ولا يحـل نسبة قضاء حاجـة لغـير الله تعـالى ولـزم العلم باضافته اليـه على يد مخلوق . . .

أى : لصنع أكثر (**مما صـنع**) أى : انما يضر المحتقر احتقـار المعـروف اذا احتقره من جهة ذاته أعنى : ذات ذلك المعـروف الذى هو فى نفسه نعمة الله وما كان نعمة الله لا يتأهل للاحتقار ، وأما اذا احتقـر المعروف صانعه أو غيره لكونه حقه أن يصنع أكثر أو اعظم من ذلك لكثرة ماله او لعظم جرمه أو لوقـوع ما يحبـه نذر أو لم ينذر أو غير ذلك ، أو لعظم شـأن المصنوع له أو عظم حقـه عليه (**أو**) لكون ذلك المعروف (**لا يسدّ**) عطفـاً على أهلاً وفى يسـد : ضمير الصانع أو ينصب عطفاً لمصـدره على الكون ففيـه ضمير المعـروف ، (**حاجـة مصـنوع لـه**) لشـدة جـوعه أو اعـرائه أو كثرة عيـاله أو ديونه فلا يضره ذلك ، ولكن ينبغى للصانع ان يقول له مثلا : أنت أهل لاكثر من هـذا دون أن يقـول : ما اغطيتك شىء حقـير أو لا قيمة له أو ليس بشىء وما اشـبه ذلك ، فان ذلك تحقير للمعروف بحسـب ظاهـره ولـو اراد معنى انك أهـل لاكثر من هـذا (**ولا يحـل نسبة قضاء حاجة لغير الله تعالى**) ، بان ينسب قضاءها الى غـير الله تعالى تحقيقاً مع قطع النظر عن كـون الله هـو القاضى لهـا والخـالق لها ولكسب الساعى فيها ، فهذا لا يجـوز ، فاما ان ينسب ذلك غافلاً فليستغفر واما أن يعتقد أن مخلوقاً اسـتقل بقضائها عن الله فقـد أشـــرك .

(**ولـزم العلم باضافته** » أى : باضافة القضاء (**اليـه**) أى الى الله سبحانه وتعالى حـال كونها (**على يـد مخلوق**) فيمـا كان على يـد مخلوق ، وعندى انه يجـوز أن يقـول : قضاها فلان ويعتقد أن الله خلقها وأجراها على يده كما قال ﷺ : « من قضى لاخيـه المؤمن حاجة قضى الله لـه سبعين حاجة أدناها المغفـرة » (١) ، فنسـب القضاء لمخلوقين بمعنى

---

(١) رواه الدارقطنى .

وكـذا منعهـا والحمـد على الكسب والقصـد كالذمّ على التقصـير ٠ ٠

الجريان على يده من الله سبحانه وتعالى ، ولا يقول ذلك مهملاً أو معتقداً أن فلاناً قضـاها مستقلاً عن الله عز وجـل ، فالأولى أن يقـول : قضـاها الله سبحانه وتعالى على يد فلان ، وان لم تكن على يد مخلوق لـم يقـل على يد أحـد ، ومعنى يد فلان واسطته أو كسـبه ، وخص اليـد لأنهـا أعمل الجوارح أو أطلقهـا على مطلق الجارحة على طريق المجـاز الارسالى لعلاقة الاطلاق أو التقييد أو كليهما أو على فـلان أو مخلوق ، وذكـر اليـد لأن غالب العمل بهـا ، وذلك أنهـا قـد تكون باللسـان أو بالرجل أو الظهر أو غيرهما ، والأولى أن يقـول : ولزمت اضـافته اليـه لأنهـا المـراد هنا ، ولكنه ذكر العلم لأنه لازم ايضـاً ، ولا يكفى عنه العمل فى مثل هـذا فيضيف الى الله تعـالى مع العـلم بأن الاضـافة اليـه واجـب ٠

(**وكـذا منعها**) يضيفه الى الله تعالى خلقـاً واجـراء على يـد مخلوق ان كان المنع جـارياً على يـده ولا يضيفه الى مخلوق مهمـلاً أو معتقداً أن المخلوق مستقل به ، وهكذا على حد ما مـر فى قضـائها ولو شـاء لم يقضها المخلوق ولو شـاء الله لم يمنعها ٠

(**والحمـد**) مبتدأ (**على الكسب**) خبر (**والقصـد**) عطف على الكسب ، أى : انما يحمـد المخلوق فى قضائها على سعيه فيهـا (**كالذمّ**) للمخلوق فى منعها (**على التقصـير**) والشكر للمخلوق الجـارية على يـده بقصـد واجب ، وهذا الكلام متصل بما قبله بمعنى أن القضـاء من الله لا من غـيره ، لكن لابـد من كسب وقصـد وترك تقصير ٠ وعنه ﷺ : « لا يشـكر الله من لا يشـكر النـاس » (١) ، وقـال بعض العلمـاء :

---

(١) رواه ابو داود ٠

من لم يشكر الانعـام فعدهُ من الانعام . قال الشاعر :

لأشكرنّك معروفاً هممـت به ان اهتمامك بالمعروف معروف

ولا ألومك ان لم يمضه قدر فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

فاذا شكر نعمة المخلوق فقـد أدى حقها مثـل أن يدعـو له أو يكافئه بخدمة أو مال أو بمنـع ضر توجـه اليه أو يظهـر له أنـك قد فعلت فى الخير ، ولا يفعـل ضـد ذلك ، فاذا كان كذلك استحق المزيد ولم يعـد كافـراً للنعمـة (**ونهـى عن الالحـاح فى طلب الحوائج**) فما يحتـاجه الانسـان ان طلبه فلا يلح فى طلبه (و) عن الالحـاح (**فى مستغنى عنه**) اذ لا يجـوز طلب ما استغنى عنه فضـلاً عن أن يلح فى طلبه ، والالحـاح ان يلزم المسئول حتى يعطيه ، والأولى أن يقـدر ، وعن الطلب فى مستغنى عنه قال الله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس الحافاً ﴾ (١) أى : اذا اضطروا الى السؤال سألوا بلا الحاح ، وقيل : لا يسألون اصلاً فانظر : « هميان الزاد الى دار المعاد » قال الشيخ اسماعيل رحمه الله حكاية : عزُ المؤمن تجمله فى فاقته واستغناؤه بربه عن خلقه ، قال الله تعالى : ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾ ، وعنه ﷺ : « ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال » ، وقال الله تعالى : ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ (٢) ، وقال ﷺ : « أفضل العبادة انتظار الفرج فان الله يحب أن يسأل من فضله » ويقال : كثرة طلب الحوائج تميت القلب وتورث الذل وتذهب بنور الوجه ، وعن عبد الله بن سلام : قلت لكعب الأحبار : ما الذى يذهب العلم من العلماء بعد اذ وعوهُ ؟ قال : الطمع وشره النفس وطلب الحوائج ، فقيل للفضـل :

(١) سـورة البقرة : ٢٧٣ .
(٢) سـورة النسـاء : ٢٧ .

. . . .

فسّر لى قول كعب ، قال : يطمع الرجل فى الشىء فيطلبه فيذهب عليه دينه ، والشرّه أن تشره النفس حتى لا تحب أن يفوتها شىء فتكون لك الى هذا حاجة ، والى هذا حاجة ، فاذا قضاها لك خرم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له ، فمَن حبّك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به ، وعدته اذا مرض ولم تسلم عليه لله ولم تعده لله فلو لم تكن لك اليه حاجة لكان خيراً لك ، ثم قال : هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وعن فلان ٠

ويروى عن على : استغن عمن شئت فانت مثله ، واحتج الى من شئت فانت أسيره ، وأحسن الى من شئت فانت أميره ، ويقال : اترك الطمع يتركك الفقر ، واحمل نفسك على مالك يحملك ، وانزع الطمع من قلبك تحلّ القيد من رجلك ، ويقال : من طمع فى مال غيره نزعت البركة من ماله ويقال : من ترك سؤال الناس عزّ عليهم ، وقال لقمان لابنه : يا بنى اذا افتقرت فافزع الى ربك وحده فادعه وتضرع اليه واساله من فضله وخزائنه فانه لا يملكها غيره ، ولا تسال الناس فتهون عليهم ، ولا يعطوك شيئاً ، ويقال : المسالة اما محرمة وهى مسالة من اظهر على نفسه ما ليس به كاظهار فقر وليس بفقير ، واظهار أنه فلان أو من بنى فلان أو أنه يريد التزوج وليس كذلك ، فكذلك اكل مال الناس بالخدعة ، واما مباحة وهى مسالة من لا يجد غنى يغنيه وذلك غذاؤه وعشاؤه ، قال ﷺ : « من سال وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جهنم » قالوا : يا رسول الله وما يغنيه ؟ قال : « ما يغديه أو ما يعشيه » ، واما مكروهة وهى مسالة من له أوقية وهى أربعون درهماً ٠

والذى ينبغى للمسلم : التعفّف عن السؤال وصيانة النفس والتجمل بحسن الحال ، ويقال : من فتح على نفسه باباً من المسالة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ، ولا ينبغى أن يتدنس بمطالب الشؤم ومطالع اللوم

. . . .

ويتضرع الى الأرذال ، ويقال فى التوراة : من تواضع لغنى لينال ما عنده أحبط الله ثلثى دينه ، وأما اذا كان السؤال لنازله وفاقه حاله فلا حرج فى السؤال ، وعنه ﷺ : « من سال عن ظهر غنى جاءت مسالته يوم القيامة فى وجهه خدوشاً أو خموشاً او خروشاً » قيل : وما الغنى ؟ قال « خمسون درهما او عدلهـا دهباً » (١) كما فى الايضاح ، وقال ﷺ : « من سال ومعه أوقية فقد سال الناس الحافاً » كما فى الايضاح ، وأخرج ابو داود والترمذى والنســائى عن ابن مســعود رضى الله عنـه عـن رســول الله ﷺ : « من سال الناس ولـه ما يغنيه جـاء يوم القيامة ومســالته فى وجهـه خموش أو خدوش أو كدوح » قيـل : يا رسـول الله وما يغنيه ؟ قال : « خمسون درهما أو قيمتها من الذهب » ، زاد هشام : « وهى أربعون درهماً » وأخرج أبو داود عن أبى سعيد الخـدرى أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سال وله أوقية فقد الحف » ، وأخرج النسـائى : « من سال وله اربعـون درهماً فهو ملحف » . واخـرج مسلم عن أبى هريرة عنـه ﷺ : « من ســال النـاس تكثراً فانمـا يسـال جمـراً فليستقلل أو يستكثر » ، وروى عن ابن عباس فى تفسـير الآية : ﴿ لا يســالون الناس الحـافاً ﴾ انه اذا كان عنده غداء لا يسـال عشاء ، واذا كان عنده عشاء لا يسال غداء ، وكذا روى جماعة كصاحب الوسيط وغيره ، وان سال وله ذلك فقد سال الحافاً ، وأخرج الشيخ هـود رحمـه الله عن أبى ذر : « من كانت له أربعـون ثم ســال فقد الحف » .

وعن عطـاء بن يسار قال رسول الله : « من سال وله أوقية فقـد سال الحافاً » ، وقال ﷺ : « ان الله سبحانه يحب الحليم المتعفف ويبغض البذىء السئال الملحف » واختلفوا فى الالحـاح : هل هو كبيرة ؟ فقيل : كبيرة ، وقيل : صغيرة ، وقيل : مكروه ، والله سبحانه تعالى مدح من

---

(١) رواه مسلم .

. . . .

ترك الالحاف فيكون من يلح مذموماً ، والأصل فيما ذم الله التحريم واذا مدح شيئاً ولا قرينة على عدم وجوبه حمل على وجوبه أشار اليه فى « السؤالات » فيحمل قوله ﷺ : « ملعون من سال بالله » على من سال الحافا وهو غنى عما يسال ، فاما على أن الالحاح بلا ضرورة كبيرة فواضح كفره ، واما على انه صغيرة أو كبيرة فعلى انه سال بالله لعلمه أو ظنه انه اذا سال بالله تعالى فانه يعطيه وهو كاره فيكون بمنزلة الغاصب ، والغاصب ملعون ، ويكون ممن يأكل مال الناس بالباطل ، او يحمل على ما اذا اظهر حالة اضطرار الى ما يسأله وهو غير مضطر اليه ، أو على من يسأل تكاثراً أو على من أظهر فقراً أو ارادة حج أو نكاح أو غرامة او مكاتبة أو دين أو نسبة الى قوم ولم يكن كذلك أو نحو ذلك ، فان ذلك مكر وخداع ، وهما كبيرتان ، قال ﷺ : « المكر والخديعة فى النار » وذلك كفر ولو سال بلا الحاح وبدون اسم الله ، ولكن خص ذكر اسم الله تعظيماً لفجور فاعل ذلك حيث توصل بذكر الله الى معصية ، وحيث لعب باسم الله تعالى عن كل نقص ، وأنت خبير بأن المبعوث يوم القيامة مخدوشاً فى وجهه أو مخموشاً أو مكدوحاً يتبادر أنه شقى والعياذ بالله ، وقد علق ذلك بسؤاله ، وينص على ذلك قوله ﷺ : « من سال وعنده ما يغنيه فانه يستكثر من جهنم » قيل : وما يغنيه ؟ قال : « ما يغديه ويعشيه » وقال ﷺ : « لا تحل المسألة الا لثلاثة : غرم مفظع ، وفقر مدقع ، ودم موجع » فيفهم أن غير ذلك حرام وفعل الحرام كفر غالباً ، وقول قبيصة بن مخارق : تحملت بحمالة فأتيت النبى ﷺ أسأله فقال : « نؤديها عنك اذا جاءت ابل الصدقة يا قبيصة ان المسألة محرمة الا لثلاثة : رجل تحمل بحمالة فتحل له حتى يؤديها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة أو فاقة حتى شهد له ثلاثة من ذوى الحجا من قومه يسالهم حتى يصيب قواماً من عيش ثم يمسك ، وما سوى ذلك فهو سحت » (١) فصرح بالتحريم ،

---

(١) رواه مسلم .

. . . .

والسحت فيما سوى ذلك فيحمل على ما سواه حديث : « ملعون من سال بالله » وخص ذكر الله لما مر ، والحكم كذلك ان سال بدون ذكر الله جل جلاله ، وقال ﷺ : « لن تزل المسألة بالعبد حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه « مزعة لحم » والمزعة بضم الميم القطعة وهذه أمارة شقاوة وقد علقها بالسؤال ، فالسؤال الذى يوصل اليه كفر وكبيرة .

وذكر فى « القناطر » : ان سؤال السائل وله أوقية مكروه ، وما ذكرته أوضح ، أو يحمل الحديث على من سال بالله ما ليس له أهلاً كغنى أو عبد يسال الزكاة أو الكفارة او على من سال معصية من المعاصى كزنى وربا فيكون تخصيص السؤال باسم الله تعالى لما مر وحكم السؤال بدون ذكره كذلك ، وقيل : لا يكفر من سال معصية أو ما لا يجوز له حتى يأخذ وقد صرحت الشافعية أن الأصح تحريم السؤال على من له قدرة على الاكتساب .

وفى السؤالات : « من سال الناس عن ظهر غنى جاءت مسالة يوم القيامة فى وجهه خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً معناه : جاء بسبب مسئلته مخدوشاً ، والكدح : العض ، والخدش أثر فى الجلد ، والخمش أشد ، وفى الحديث : « من سال وله أوقية سال الحافاً » أى الحاحاً وهو معنى قوله ﴿ لا يسالون الناس الحافاً ﴾ رحمهم الله ، وهو رأى أبى ذر رحمه الله ، والأوقية أربعون ، وقد ذكر ذلك ونحوه ما مر فى « القناطر » وذكره الغزالى ، قال الشيخ عمرو التلاتى رحمه الله : الغزالى مرضى عندنا ، قلت : يعنى لأنه قد رجع عن اثبات الرؤية ولم تعرف منه براءة المسلمين مع صحة ديانته واعتقاده ، والذى عندى أنه لم يصح عنه الرجوع عما فيه من تخطئة أصحابنا رحمهم الله ، ولو صح عنه الرجوع عن الرؤية ، وفى « السؤالات » : لا تزال المسالة

. . . .

بالعبد حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهة مزعة لحم » أى قطعة لحم والله أعلم .

وفى الحديث : « لا تحل المسألة الا لثلاثة : رجل تحمل بحمالة بين قوم ورجل أصابته جائحة فاجتاحت حاله فيسأل حتى يصيب سداداً من عيش أو قواماً ـ بكسر السين والقاف ـ ورجل أصابته فاقة حتى يشهد ثلاثة من أهل الحجا من قومه أنه قد أصابته فاقة وأنه تحل له المسألة وما سوى ذلك من السؤال فهو سحت » ولا يخفى أن بعث الانسان لا مزعة لحم فى وجهه عقوبة لا تكون لأهل الجنة ، والخدش أو الخمش والكدح مثل ذلك أو دونه ، ولو لم يكن الا مكروهاً ما عوقب بذلك ، فان العقاب يختص بالكبيرة اذ المكروه لا عقاب فيه ، ويدل لذلك سائر الأحاديث الا أن يقال كراهة شديدة تلحق بالتحريم ، وظاهر « السؤالات » أن السؤال اما مباح أو حرام فيحمل الأحاديث ولو لم يذكرها كلها على التحريم ، وفى « القناطر » : أنه يكون أيضاً مكروهاً ، وان قلت : ما معنى عن ظهر غنى ؟ قلت : شبه فى نفسه الغنى بالدابة بجامع الانتفاع بكل ، والتوصل بكل الى المقصود والكفاية بكل عن غيره ، وأشار الى ذلك بلازم الدابة وهو الظهر ، وكأنه قال : من سأل حال كونه منتقلاً عن ظهر غنى ونازلاً عنه ولم يجعله حاجزاً بينه وبين العقوبة بما ذكر ولم يقل من سأل عن غنى لأنه يحتمل ذلك المعنى ويحتمل معنى آخر أى : سأل بسبب الغنى ليحصله . وان قلت : ما وجه الاشتراط فى قوله ﷺ : « حتى يشهد له ثلاثة من ذوى الحجا من قومه » ؟ قلت : اشتراط الشهادة ليزيل السائل بها عن نفسه التهمة بارادة التكاثر وباقتحام عار السؤال فانه عار عادة وشرعاً واقتحام عقوبته ، وليكون أدعى للاعطاء ، واشتراط الثلاثة تسهيلاً له بان يكفى فى ذلك أن يشهد له ثلاثة من أهل الجملة ولم يكلفه بعدلين مرضيين ، ويدل لذلك قوله ﷺ : « من أهل الحجا » أى العقل ، ولم يقل من أهل البر

. . . .

والصلاح ، وقال : من قومه ، باعتبار الغالب والمتبادر لانهم أعرف بحاله من غيرهم ، فلو حصلت معرفة غيرهم له لاجزت أيضاً .

وان قلت : كيف بين احاديث الخدش في وجهه واحاديث لا مزعة فى وجهه والخمش ونحوه انما هو فى الجلد واللحم ؟ قلت : بعض يبعث مخدوشاً وبعض لا مزعة في وجهه أو الخدش فيمن أخذ سؤاله قليلاً أو كثيراً دون الذى لا مزعة فى وجهه ، والذى لا مزعة فى وجهه هو الذى أخذ أكثر سؤاله أو الذى لا مزعة فى وجهه هو من يكرر السؤال أو يعتاده ، وربما أشار الى ذلك قوله : « لن تزل المسألة بالعبد » والمخدوش هو من دون ذلك ، ولك طريق آخر هو أنه يمكن أن يكون فى وجهه لحم قليل دون قطعة فيقع فيه خدش أيضاً ويزال لحم باقى وجهه ، وأن يكون لا لحم فى وجهه أصلاً لا قليلاً ولا كثيراً الا جلد تغطى العظم فيقع فيها الخدش أو لا لحم ولا جلدة ويقع فى العظم مثل ما يقع فى اللحم والجلد من خدش فسمى ذلك خدشاً والله أعلم .

ومحل التنفير عن السؤال كراهته أو تحريمه ما اذا لم تدع اليه حاجة مضطرة له ، أما اذا دعت الضرورة فلا بأس ، فمن حديث ابن عمر : ما المعطى من سعة بأفضل من الآخذ اذا كان محتاجاً بل اذا اضطر لزمه السؤال ، فالسؤال واجب وحرام ومكروه ومباح ، فهو أربعة لا ثلاثة فقط ، وحاصل ذلك كله حمل السؤال فى قوله ﷺ : « ملعون من سال بالله » على سؤال غير جائز ، وأما قوله ﷺ : « وملعون من سئل بالله ولم يعط » فالمراد به ان شاء الله من سال [وهو] صادق فى سؤاله محتاج مضطر ولم يكن المسئول مثله لا يجد التفضل عليه ، ويدل لذلك ما روى : « لو أن السائل يصدق لم يفلح من رده » وما فى « القناطر » « والاحياء » : « لولا أن السؤال يكذبون ما قدس من ردهم » فرتب الوعيد وهو عدم التقديس على ردهم لو صدقوا فثبت الوعيد على ردهم

. . . .

اذا صدقوا قالا : فالواجب على من وقف عليه سائل ان لا يخيبه ان قد رأى سائل كان لقوله ﷺ : « اعط السائل ولو جاء على فرس » ولا سيما سائل المسجد لأنه ضيف الله أوى الى بيت الله ووجه التعميم فى الوجوب حمل أحاديث جواز رد السائل بكلام حسن ولطف وآثار ذلك على ما اذا لم يجد المسئول يعطيهم ، وانما يعطى ولو جاء على فرس لأنه لا يدرى ما حاله ولعله جائع ولباسه وفرسه ليسا ملكاً له ، وأما اذا علم ان السائل يسال تكاثرا فلا يجب اعطاؤه أو يسال ما لا يجوز له فلا يجوز اعطاؤه ، وحديث : « لولا أن السؤال يكذبون ما قدس من ردّهم » يدل على هذا فانه يدل على رفع العقوبة بعدم التقديس عمن ردهم اذا كذبوا بأن يقولوا : لا شىء عندنا أو ليس عندنا كذا أو انا من بنى فلان أو نحو ذلك ، أو بأن يسالوا ما لا يجوز لهم كذب أيضاً وخروج عن الحق ، وأصل الكذب هكذا ، وأيضاً سؤال ما لا يجوز بمنزلة القول انه جائز ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ وأما السائل فلا تنهر (١) ﴾ فبعد سؤال السائل له ﷺ ، واعطائه العنقود الموهوب له هدية ورد الواهب ذلك اليه ﷺ بالشراء من السائل وتكرر ذلك ثلاثاً نهر ﷺ السائل وقال : « أردت أن تكون تاجراً !! » نهاه الله تعالى عن نهره لا عن رده اذ كان السائل فى غنى عن ذلك العنقود ، ويعلم أيضاً من الحديث أنه لا يجب الاعطاء لمن يسال للتجر أو للتكاثر أو يسال ما هو فى غنى عنه وأنه لا يجوز له السؤال لذلك اذ قال : « أردت أن تكون تاجراً ؟ » بعد ما نهره .

ويجوز أن يريد بلعن السائل بالله شتمه ، فان من يسال الناس بالله

---

(١) سورة الضحى .

. . . .

فيما يكرهون اعطاءه يشتمونه ويسبونه ، ومن معانى اللعن فى اللغة : الشتم والسب ، ومن شتم السائل بالله قولهم انه ملحٌ ملْحف والملح الملحف مذموم فالسائل به مذموم من حب الالحاح ، ومن شتمه قولهم : انه حريص ، ومن شتمه ما يجرى فى الألسنة من أنه مكفر للمسئول أى داع له الى الكفر اذ كان سببا لسؤاله بالله موقعاً فى عدم الاعطاء بعد السؤال ، فكان المسئول كالكافر بالله اذ سئل بالله عز وجل ولم يعْط كأنه لم يؤمن به ، ومن شتْمه أن يقال : انه كالغاصب لأموال الناس اذ كان يسأل بالله فيعطونه ولو كرهوا ، ويحتمل أن يريد بلعن المسئول شتمه أيضاً اذ يقال : فلان يختار متاع الحياة الدنيا على الله اذ سئل بالله تعالى ولم يعط ، وانه شحيح حريص حتى كان لا يعطى سائله بالله ، وكأنه كافر بالله تعالى اذ كان يسئل به ولا يعطى ، ويحتمل أن يكون معنى لعن السائل أو المسئول محمولاً على الشتم والآخر محمولاً على الأوجه السابقة من تقييده بحالة وجوب الاعطاء أو تحريم السؤال ، ويحتمل أن يريد بلعن السائل بالله : السائل عن الله بأن يسأل الناس عن صفات الله تعالى تعنتاً أو ليوقعهم فى الكفر باجابتهم جواباً فاسداً ، أو باقامة حجة وجوب المعرفة عليهم ولم يعرفوا ، ويريد بلعن المسئول : لعنه باجابته جواباً فاسداً اذا أجابه به أو لعنه باقامة الحجة عليه ولم يعرف الجواب لكن الذى عندى أنه يعذر المسئول عن ذلك .

ومن خطر فى قلبه ولم يعرف كيف الجواب وأنه عليه أن يسأل من يعرف وان لم يسأل لم أكفره ، ويعتقد ان الله ليس كمثله شىء ، والباء بمعنى عن ، ومعنى لم يعط على ذلك الوجه لم يجب الجواب الحق بل لم يعرف فسكت او أجاب جواباً فاسداً ، ويحتمل أن يكون السائل الملعون هو السائل فى العلم مطلقاً تعنتاً وجدالاً ، والمسئول الملعون من سأله سائل عن الحلال والحرام لينفى الجهل عن نفسه فكتم العلم فلم يجب فيكون معنى لم يعط انه لم يعط العلم فانه كثيراً ما يطلق الاعطاء

والتصدق على تعليم العلم ، ومعنى قوله : بوجـه الله فى الله أى سـال فيما هو من سبيل الله وهو العلم ، واذا كان السؤال على وجـه لا يجـوز كسؤال ما لا يحـل والسؤال تكاثراً فقـد سال هجـراً فلا يلعن المسئول حينئذ بعدم الاعطاء مثل أن يسال العلم ليضر المسلمين أو للجدال ، وانما سـاغ حمل الاحاديث على الوجـوه المتكلفة والمعانى اللغوية لقرينة أنه لا واجب فى المـال الا الزكاة ونحـوها من الحقوق كنفقة العيال والضيف ، نعم تتفاوت الأوجه قوة وضعفاً ويدل على لعن السائل تعنتاً ما رواه أحمـد فى مسنده أنه ﷺ : « نهى عن الاغلوطات » وهى صعاب المسائل ، وعنه ﷺ : « سيكون أقوام من أمتى يغلطون فقاءهم بفضـل المسـائل أولئك شرار أمتى » وعن الحسن : شر عبـاد الله الذين يبتغون شرار المسـائل يعمون بها عباد الله ، وقال الأوزاعى : ان الله تعالى اذا أراد أن يحـرم عبده بركة العلم القى على لسـانه المغاليط فلقد رأيتهم أقل النـاس علماً ، ويحتمل أن يريد بلعن السائل بوجـه الله فلعن مانعه المبالغـة فى لومهما لا حقيقة اللعنة والكفـر وقد قال ﷺ : « لا يسال بوجـه الله الا الجنة » رواه أبو داود والضـياء عن جابر بن عبد الله ، والمعطى والمـانع الله . (فالافتقار الى الله) غنى (والاستغناء عن الخلق غنى) بأن يوقن أن المعطى والمانع الله ولا يخـرج قلبه وجوارحه عن ذلك فهو فى ذلك غنى ولـو لم يجـد شيئا لأن قلبه وجوارحه مطمئنة كأن المـال كله وحوائجه فى يده ، وانما أخبر عنهما بغنى واحـد لأنه لا يتصـور الافتقـار الى الله بالحقيقة الا بالاستغناء عن الخلق ، وبالعكس ، ولكن اذا اجتمع ذلك فقد حصـل له غنـيان : غنى افتقار الى الله وغنى استغناء عن الخلق ، ولو استعان بمخلوق أو سال مخلوقاً حيث يجـوز له ذلك مع اعتقـاد أن المعطى الله والمانع الله وان الخلق لا يعطونه ما منع الله ولا يمنعون ما أعطى

الله ، ومع اعتقــاد ان ليس الخلق الا واسـطة فقد استغنى عن الخلق ومع ذلك فكلما ازداد ترك الحاجة الى الخلق كان أولى .

(**وحسن الظن بالله فرض**) بأن يستقر فى قلبــه ضـمان الله الرزق ولو طالت مدة حاجته ، وأن المطيع له الجنة والمنفق له الخَلَف ، ويعتقـد أن كل ما أخبر الله به واقــع فان ظن أنــه لعـله يدخـل العاصى الجنـة بلا توبة ويحــرم المطيع الجنة ، أو أنــه يخلف الوعـد أو نحو ذلك فقد أساء الظن بالله (**واســاءته**) أى اسـاءة الظن (**بــه**) أى بالله (**كفــر**) اى كفــر شرك (**والاستغناء عنــه فقــر**) اعتماداً على ما فى يده أو على غيره من الخلق اذ ترك من بيــده الرزق والحوائج فلا يستغنى أبداً ولــو اصــاب ما أصاب من مال وغيره لانه اســتند الى من لا يملك شـيئاً فيبقى قلبــه وجوارحــه ابـداً كقلــب وجـــوارح من لم يصب ، وهكذا حــال الحــريص .

ويقال ان الملائكة تنزل من السـماء يطوفون على الأبــواب لينظروا كيف يصنع الناس بما أعطاهم الله ، وأكثر ذلك بعد صلاة المغرب ، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ردوا السائل بوقْر ولــين وجميل فانــه ياتيكم من ليس بانسى ولا جــان لينظر كيف صنيعكم فيما خَوّلكم الله ، وســال رجلٌ اهــل مسجد ليطْعموه فافترقوا عنه ولم يشتغلوا به فلمــا أصبحوا وجدوه ميتاً فاخذوا فى جهــازه فدفنــوه فرجعــوا الى المســجد فوجــدوا الكفن فى المحراب مكتوباً فيــه كفنكم مردُود عليكم ، والــرب ساخط عليكم ، ومات رجل فى بلد بالجــوع بعد أن أعطى ماله من الأصل فى مقدار ما يشبعه فلم يعطوه ، فرأى شيخ ذلك البلد أنه تلزمهم ديتــه فجمعوها وأعطى منابه ، وذكر بعض العارفين أنه خــرج فى رفقة من

. . . .

أرض العراق يريدون مكة ومدينة المصطفى ﷺ قال : فاذا نحن برجل من أهل العراق وقد خرج معنا به ادمة فى شعره وهو مصفر اللون ذهب الدم من وجهه مما بلغت فيه العبادة ، وعليه ثياب خلقة من رقاع شتى ، وبيده عصى ومعه مزود فيه شىء من الزاد وهو أويس القرنى وأنكره أهل الرفقة وقالوا : نظنك عبداً قال : نعم ، قالوا : مملوك ؟ قال : نعم ، قالوا : نظن أنك عبد سوء هربت من مولاك ؟ قال لهم : نعم قالوا : كيف رأيت نفسك حين هربت من مولاك وما صار حالك اليه ؟ أما انك لو أقمت عنده ما كانت حالتك هذه ؟ وانما أنت عبد سوء مقصر ، فقال لهم : نعم والله انى لعبد سوء ونعم المولى مولاى ومن قبلى التقصير ، ولو أطعته ما كان من أمرى هذا ، وجعل يبكى حتى كادت نفسه تزهق فرحمه القوم وظنوا أنه مولى ، وانما أراد أنه عبد لرب العزة جل وعلا فقال له رجل من القافلة : لا تخف أنا آخذ لك من مولاك الأمان فارجع اليه وتب فقال : أنا راجع اليه وراغب فيما عنده ومضوا حتى خرجوا الى زيارة قبر رسول الله ﷺ وسارت القافلة ذلك اليوم وسار معهم وجدوا فى المسيرة ، ولما كانوا ليلا نزلوا فى فلاة من الأرض ، وكانت ليلة شاتية باردة كثيرة المطر ، فأوى كل واحد من القافلة الى رحله وخبائه ولم يأو أويس الى شىء ولم يسأل شيئاً وقد آلى على نفسه أن لا يسأل شيئاً من أمر الدنيا من مخلوق ، وانما تكون حوائجه الى الله سبحانه فبلغ به البرد تلك الليلة مبلغاً شديداً حتى اضطربت جوارحه من شدة البرد واشتد عليه سلطان البرد حتى مات فى جوف الليل ، ولما أصبح وأرادوا الرحيل نادوه : قم أيها الرجل فان الناس قد رحلوا فأتاه رجل قريب منه فحركه فوجده ميتاً رحمه الله ، فنادى : يا أهل القافلة ان العبد الآبق على سيده قد مات ولا يصلح لنا الرحيل حتى تدفنوه قالوا : وما الحيلة فى أمره ؟ فقال لهم رجل صالح كان معهم : ان هذا العبد كان تائباً راجعاً

. . . .

الى مولاه نادماً على ما صنع ونحن نرجوا أن ينفعنـا الله به ، وقـد قبل توبتـه ، ونخاف أن نسئل عنـه ان تركنـاه غـير مدفون ولابدّ لكم أن تصبروا حتى تحفروا له قبراً وتدفنوه فيه ، فقالوا : هذا موضـع ليس فيه ماء ، فقال بعضهم لبعض : اسالوا الدليـل فسالوه فقال : ان بينكم وبين المـاء ساعة ولكن أرسلوا معى رجلاً واحـداً وانـاء آتيكم بالمـاء فاخـذ الدليـل دلْواً وسـار الى المـاء ، ولمـا خرج من القافلة اذا هـو بغـدير من المـاء فقال الدليـل : هذا هو العجب الذى ما رأيت مثله هذا موضـع ليس فيـه ماء ولا على قريب منـه فرجع اليهم (وقال :) قد كفيتم المؤنة فعليكم بالحطب ، فجمعوه ليسخنوا به المـاء من شـدة البرد فجاءوا الى المـاء ليأخذوا منه فوجدوه سخناً يغلى فازدادوا تعجباً وفزعوا من ذلك الرجـل وقالوا : ان لهـذا العبد قصـة وشـأنا فأخذوا فى حفر قبره فوجدوا التراب ألين من الزبـد وأشـد رائحة من المسك الاذفر لم يشموا أطيب منه ، فاشـتد خوفهم وملئوا رعباً وضربوا لـه خبـاء وأدخلوه فيه وغسـلوه وتنافسوا فى كفنه فقال رجل من القـوم : أنا أكفنه ، وقال آخـر : أنا أكفنـه ، فاتفق رأيهم أن يجعـل كل واحـد منهم ثوباً ثم كتبوا صفته لعـل أحـداً يعرفه اذا وصـلوا المدينة ، ولمـا أرادوا كفنه وجـدوه مكفناً بكفن من الجنة لم يرَ الراؤون مثله وعليه مسك وعنبر وملأت رائحته أنوفهم ، وعلى جبينه خاتم من مسـك ، وكذا على قدميه ، فقالوا : لاحـول ولا قـوة الا بالله العـلى العظيم ان الله عـز وجـل قد كفّنه وأغنـاه عن أكفـان العبـاد ونرجوا الله تعالى قد أوجب لنـا الجنة ورحمنا بهذا العبد الصالح وندموا ندامة شـديدة على تركه تلك الليـلة حتى مات بالبرد ، ثم انهم حملوه ليدفنوه وصلّوا عليه ولمـا كبروا سمعوا صـوت التكبير من السـماء الى الأرض ومن المشرق الى المغرب ، وانخلعت أفئدتهم وأبصـارهم ، ولم يدروا ما صلّوا عليه من الفزع ، وعظم رعبهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

. . . .

مما سمعوا فوق رؤوسهم ، فحملوه ليدفنوه وكأنه خطف لخفّته ودفنـوه ، ولمـا وصلوا الى الكوفة دخلوا المسجد وأخبروا بخبره وصفَتِه فاذا هـو أوَيْس القـرنىّ ، وارتفعت الأصـوات فى مسجد الكوفـة بالبكاء ، وفى رواية . مات مع اهل النهروان من أصحابنا اللهم ارحمنا .

بـــاب

من فعــل القلــب الحـــب . . . .

بـــاب

فى الحب والبغض والتاديب واخـراج الحـق والحكم

الحب : ميل القلب الى الشىء وهو بضم الحـاء مأخـوذ من الحبّ بفتحها وهو حبة البرّ ونحـوه مما يكون فى السـنبل والأكمام فى الأصل لكن استعير لفظ الحبـة بالفتح لحبّة القلب ، واشتق منه الحـبُ بالضم بمعنى ذلك الميل الى الشىء لأنه أصاب حبة القلب وَرَسخ فيهـا أو مأخوذ من الحبّ بالكسر وهو بزر الرياحين لأنه يترتب عليه الاحسـان والنعم كمـا يتولد الثمار من الحبّ ولها رائحة ، والبغض ضـده ، ومر الكلام فيه ، ويقال : الحب عبارة عن ميل الطبع الى الشىء الموافق الملذّ فان تأكـد ذلك الميل وقوى سمّى عشـقاً ، والبغض عبـارة عن نفرة الطبـع عن المؤلم المتعب ، واذا قـوى سمّى مقْتاً ،

(من فعل القلب الحب) ويعلم باقرار المحب أو المحبوب اذا صدقه السامع لوثوقه به أو ظن صـدقه لذلك او لأمـارة عليـه ، ويعلم أيضـاً

• • • • • • • • • • • • • •

باحسـان المحب ، وسـواء قلب الآدمى والجنى والدابة والطـائر والملك لجـواز وصف الملائكة بالقلوب كالأيدى والأرجل والاذان والعواتق ونحـو ذلك لا بالعورة ، وأما حب الله لعبـده فمعناه مسبّب الحب فى الجملة وهو الانعـام عليه فى الدنيـا والآخرة والثنـاء عليه ، وقال القشـيرى : قال الله تعالى عـزّ وجـل : ﴿ يحبهم ويحبـونه (١) ﴾ ، وقال تعـالى عـزّ وجل : ﴿ والذين آمنوا أشـد حبا لله (٢) ﴾ ، وقال سبحانه وتـعالى : ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً (٣) ﴾ قيل : سيخلق فى قلوبهم وُدّ الله عز وجـل ، فأما معنى المحبـة فى صـفة الحـق سبحانه لعبـاده فيكون بمعنى رحمتـه وارادته بالجميـل لهم عز وجـل فيكون بمعنى مدحه لهم وثنـائه عليهم عز وجل ، ويكون بمعنى انعـامه عليهم واحسـانه اليهم عز وجـل قال : فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمـدح لهم كان من صفات ذاته ، وأراد بالرحمة والمـدح قضاءه لهم بأنهم أوليـاؤه •

ولم يزل الله تعالى عز وجـل محبـاً لأوليائه ولا يزال محبـاً لهـم عـز وجـل قال : « وأما محبة العبد لله عز وجل فتكون بمعنى طاعته وموافقته لأمره وتكون بمعنى تعظيمه له وهيبته منه عز وجل ، فكل من كان أكثر طاعة له وأشـد تعظيماً كان أكثر محبة ، ومن كان عاصياً لأمـره ومخالفاً لـه كان بعيداً عن محبته ، قال : وتكلم الناس فى اشتقاق المحبـة وفى أصـل ذلك فقال بعضهم : أصـله من حبب الأسـنان وهـو صفاؤها ونظافتها فكان محبة العبـد صفاء أقواله وضـياء أحـواله ، وذلك بتنزهه عن الغفـلات وتباعده عن العـلاّت ، وتوقّيه عن الأوضـار ، وترقيـه

---

(١) سـورة المـائدة : ٥٤ •
(٢) سـورة البقرة : ١٦٥ •
(٣) سـورة مريم : ٩٦ •

. . . .

عن ادناس الزلات ، وان القلب كالمرآة التى يشاهد فيها أحكام الغائبات ولا تريك المرآة الشواهد الا ان صفت ، واجمعوا أن كل محبة تكون على ملاحظة غرض تكون معلولة حتى تكون صافية عن كل مطمع ، وقيل : أصلها من قولهم أحبّ البعير اذا استناخ فلم يبرح ، قال الله تعالى عز وجل : ﴿ فقال انى أحببت حبّ الخير عن ذكر ربى (١) ﴾ أى لصقت بالأرض من حب الخير ، فالمحب أبداً يكون مقراً على باب محبوبه بنفسه وبدنه ، فان لم يمكنه فبقلبه وبروحه ، قال أبو على الدقاق : ان المشايخ قالوا : ان طريقتنا هذه بينة لا تصلح الا لأقوام كنّس الله بأرواحهم المزابل ، فالمحب أبداً يكنس باب محبوبه بروحه لا يدع خدمته ما أمكنه ، يصل سيره بسراه ، ويدع هواه فى رضاه وأنشدوا :

أحبكم ما دمت حياً وان أمت ... أحبك قلب فى التراب تريب

وأنشدوا :

ومن كاسفات الريب انى وامق ... تجافيك عنى واعتكافى ببابك

يهجر فيأبى الا الوصال ، ويقال بالصدّ والرد والاهانة والطرد والتنفير والبعد ، ولا يزداد بالظاهر الا جهداً على جهد ، وبالباطن الا وجداً على وجد ، يؤثر الذل على العز ، والبعد على القرب ، وأنشدوا :

وأهنتنى فأهنت نفسى صاغراً ... ما مَن يهون عليك ممن أكرمُ

وأنشدوا :

---

(١) سورة ص : ٣١ .

رأيتــك يدنينى اليـك تباعـدى   فباعـدت نفسـى لابتغـاء التقـرب

وقيل : أصله من الحب وهو القرط يسمى حبا لقلقه وهـو اضطرابه كما أن القرط لا يستقر بل يضطرب أبداً كذلك المحب عديم القـرار بعيد الاصطبار ، لا يسـكن أنينـه ، ولا يهدأ حنينه ، نهـاره ليـل ، وليـله ويـل ، ونومه معقود وفى قلبه وقود ، قال القشـيرى : وقيل أصـله من الحبـة وهى بزر ينبت فى الصحراء فالمحبة شجرة تغرس فى الفؤاد وتسقى بمـاء الـوداد أصـلها ثابـت فى السر وفرعهـا نابت فى هـواء الهمـة وثمرها لطائف الأنس تؤتى أكلها دائماً ، وقيـل : الحب الحقيقى : الايثار وهو أن لا يدع لمحبـوبه ميسـوراً الا بذله ولا ممكناً الا استعمله ، لا يبقى لنفسـه ولحظـة نوماً ولا سـنـة ولا يستثنى من جمـلة ما يبذله لحظـة ولا نسمة ، وانشـدوا :

لئن بقيـت فى العـين منى قطـرة   فانـى اذا فى العاشـقين دخيــل

(**ويكون**) الحب (**طاعة ومعصية وغيرهما**) من مكروه ومباح وحب معصية بالضرورة بلا قصد فعل لها ولا نية فانه لا ذنب عليـه لأنه كاره لذلك الحب ، والحب المكروه كحب ما يكره مثل حب أكل ما يكره أكله ، وحب شرب ما يكره شربه ، ولبس ما يكـره لبسـه ، وركـوب ما يكره ركوبه ، وكـذا السكنى وغيرها والقـول ، وكذا ترك ما يكره تركـه ، والمبـاح كحب الحـلال بلا تكاثر ولا وجـه محرم ، أو مكروه ، والحب الميـل الى الشىء بالقلـب امـا لمـا يسـتلذ بحواسـه كحسـن الصـورة أو ما يسـتلذ من الفعل كالاحسان ودفع المضـار ، أو لوصف غـير محسوس كالفطنة والشجاعة والصبر •

وقال ابن بطال : الحب ثلاثة : حب اجـلال وتعظيم ، كحب الوالد ،

ومن غـير عاقـل ، وسـببا ومسـببا . . . .

وحب شفقة ورحمة كحب الوالد ، وحب مساكنة واستحسان كحب الصاحب والزوجة ! ويقال : سبب الحـب الاستحسان ، فان كان لفضـائل النفس حـدث منه الاعظام ، وان كان للصـورة والحـركة حـدث العشـق وسببه الطمع ، ويتولد الحب من المـودة ، وسبب المـودة الثقة ، وتتولد المحبة من المصـافاة وسبب المصافاة خلوص النيـة ، وتتولد المصـافاة من المؤانسة وسببها الانبسـاط ، ويتولد الانبسـاط من المواصلة وتتولد المواصـلة من التجـانس.

(و) يكون الحب من عاقل لعاقل ومن عاقل لغـير عاقل ، ويكون (من غـير عاقل) لغير عاقل كحب الدابة ولدها وكحبها النبات ، ولعاقل كحب الدابة مولاها .

(و) يكون الحب (سببا) مثل أن تحب زيـداً فيحسن اليك زيـد لحبـك اياه ، (ومسـببا) مثل أن تحسن الى زيـد فيحبك ، فحبه ايـاك مسببا لاحسـانك اليه ، والاحسان سبب له ، ومثل أن تحبـه لأنه أحبك ، فحبـه ايـاك سبب لحبـك ايـاه ، وحبـك ايـاه مسبَّب لحبـه ، وفي « السـؤالات » : الحـب من المخلـوق امـا اضطرار وامـا اكتسـاب ، قال الشـاعر (١) :

أحبـك حبـين لـى واحـد   وحـب لأنـك أهـل لذاكا

فالاضطرار كحـب ولدك ، والاكتسـاب كحـب المتـولى ، والبغض اضطرار كبغض من أسـاء اليك ، واكتساب كبغض فاعل الكبيرة ، ويكون الحـب والبغض طاعة ومعصية وكبيرة وصغيرة ونفلاً وغـير طاعة وغـير

---

(١) القائلة هى « رابعة العدوية » .

والطـاعة اما فـرض وتوحيـد كمحبـة المسـلمين والملائكـة والانبيـاء والرسـل ، ومحبـة هى ولايتهـم وتصـويب افعالهم ، • • •

معصية ، ومن عاقل وغير عاقل ، وسبب ومسبب ، والسبب هـو المسبب فيهما ، والسبب هو فعـل القلب (**والطـاعة**) أى والحـب الـذى هـو طاعـة (**اما فرض وتوحيـد كمحبة المسـلمين**) جملة ، وكحب المسـلم المنصـوص عليه باسمه ، أو بصفته اذا قامت به الحجـة ، (**والملائكة**) جمـلة وكمحبة الملك المخصوص اذا قامت به الحجة ، وقيل : لا يعذر فى جهـل جبريل (**والانبيـاء والرسل**) جمـلة وكمحبة المخصوص بـه اذا قامت به حجة ، ولا يعذر فى جهـل محمد ﷺ ، وقيل : فى آدم كذلك ، وكمحبة القرآن وما قامت عليـه الحجـة به من كتب الله تعالى ، وكمحبة كلمة الشـهادة وكل ما هو توحيد .

(**ومحبـة**) هؤلاء (**هـى**) مع الثناء عليهم والدعـاء لهم بخـير الآخـرة (**ولا يتهم وتصـويب افعالهـم**) ومعنى كـون حبهم تصـويبا لأفعالهم : أن حبك اياهم لازم لتصويب افعالهم ومسبب له وبغضهم شرك فان مطلق الاحسان يكون فى الجملة سببا ولو احسن لغـيرك فكيف اذا أحسن اليـك ؟ فان من يسعى فى مرادك تحبـه فكـذلك تحـب من يسـعى فى الصـلاح ، قال الله تعالى : ﴿ ان الـذين آمنـوا وعمـلوا الصـالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً ﴾ أى : يحـدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسـبابها ، وعنـه ﷺ : « اذا أحـبّ الله عبـدا يقـول لجبريل : أحبَبْت فلانا فأحببه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله يحب فلانا فيحبه أهل السماء ثم يوضـع له القبول فى الأرض » (١) ، ووجب الحب للمتولى والبغض للمتبرأ منه بحسب ما يظهر لك ولو خالف ما عند الله ولك الثواب ، فعن محمد بن على عن رسـول الله ﷺ أنـه

---

(١) رواه مسلم .

وفرض فقط كولاية من بان خيره أو شهر به أو قامت بها حجة

قال : « من أحب رجلاً فى الله لعمل ظهر منه وهو فى علم الله من أهل النار أجره الله على حبه اياه كما لو أحب رجلاً من أهل الجنة ، ومن أبغض رجلاً فى الله لجور ظهر منه وهو فى علم الله من أهل الجنة آجره الله على بغضه كما لو كان يبغض رجلا من أهل النار » ، قال فى « السؤالات » : فان قيل : لم كانت ولاية المسلمين توحيداً ؟ قيل : لمّا كانت ولاية المحبوب لأجل حب الحبيب كانت حباً للحبيب . قلت : لا يعترض عليه بلزوم ذلك فى ولاية الأشخاص غير المنصوص عليهم لأن المتولين بالجملة قد وافقوا الواقع عند الله ، وكذا المنصوص بخلاف غيرهم فقد يوافق ، فولاية الجملة والمنصوص عليه توحيد ، وتركها والجحود لها والجهل بانها فرض شرك ، وقيل : يشرك من أنكرها وينافق من تركها أو جهلها ، وقيل : لا ينافق حتى تقوم الحجة ويتكلف الحب ان لم يحصل بلا تكلف فيعذر ولو لم يحصل بالتكلف أيضاً فلا يحكم بشركه ان تعاطى الحب وأثنى ودعا بخير الآخرة فلا بأس عليه ، وكذا ان تعاطاه فى ولاية غيرهم ولم يوجد لا يكفر ولا بأس عليه ان أثنى واستغفر ودعا بخيرها .

(وفرض فقط) غير توحيد (كولاية من بان خيره) بالمشاهدة بان شاهدته وافياً بدين الله تعالى وما لم تطلع عليه تحسن الظن أنه قد وفى به (أو شهر به) بان يكون كل من يعرفه عرفه بخير ومن لم يعرفه لم يعرفه بسوء ، (أو قامت بها حجة) وهى أمينان حرّان كسائر الأحكام ، أو أمين ، وأجيز أمين واحد ولو عبداً أو أمينة ولو أمة ، كما اجازوا ذلك فى صوم رمضان والافطار فى المغرب ، وطهارة الثوب وغيره ووقت الصلاة لأن الولاية فى نفسها من نوع هذه العبادات لا من نوع الأحكام ، ومشترط الأمينين الحق ذلك بالأحكام ، وراعى ما يترتب على ذلك من الحكم بشهادة المتولى فى الأموال والدماء والحدود ،

. . . .

وقيل : يخيّر فى قول الواحـد بين القبول والوقوف ، وقيل : ان سـاله ابتـداء لزمه قبـول قوله وان لم يسـاله خيّر بين القبـول والوقوف عنه ، ولا تلزم معرفة الائمة وحبهم حتى تقـوم الحجة على الصحيح ، ولكن ان ابغضهم كفـر ، ولا يعذر بالجهـل اذ قارف ما لا يجـوز ، وقيـل : تجب بلا سـماع كالديانة وهـو المشـهور عن أبى خزر يعلى ، وروى أيضـاً عنه أنه يسـع جهلهم حتى تقـوم الحجة ٠

وان شهر أحد بخير فتوليته فذلك حق وحبـه واجب ، وان شـهد أمينان أنه فعـل كبيرة أبغضته الا ان شهدا بعـد موته فانك تبقيـه على الحـب والولايـة وتبغض الشـاهدين وتَبَرّأ منهمـا ـ قاله أبو عمـر وعثمان بن خليفة ، وحكاه الشـيخ محمد بن يوسف فى حاشـية الترتيب ـ ولا يتولى باهل الجملة ، وأقـول : الا الامام العـادل وولد المتولى ، فان أهل الجمـلة اذا قالوا : ان فلاناً فى بلد كـذا عـادل ، أو فلان الطفل ولد فـلان فانه يتولى بهم الامـام وولد فلان ان كان فلان متـولى وكان أهـل الجملة ثلاثة الا ان استريبوا ورد قولهم ، وكـذا يتولى الطفـل ويحب بقول الرّجل المتولى : انـه ولـدى ، وقيـل : لا الا بأمين ، وقيل : الا بأمينين ، وحكى بعض أصحابنا الاجماع على أنه يثبت نسـبه باقرار الرجـل به فمقتضـاه أنه يجب حبه وولايته اجماعاً وليس كذلك لانـه أراد والله أعلم أن الاجمـاع ، على ثبـوت النسب فيحكم بالنسب وبلـَواحقه دون ولايته عند بعض ، ولا يجـوز حب طفل الموقوف فيه والمتبرأ منه حب الآخـرة ، وقيـل : يجب حبـه كمـا أوضحته فى مختصر « القواعـد » و « الحاشـية » ، بأن الله سبحانه وتعالى عـز وجـل يمنّ بالرحمـة ولا يظلم بالعذاب ، وأن كل مولود يولـد على الفطـرة ، ولحـديث : « ان الله أعطانى اللاهين » أى : الاطفـال ، والمـانع يقـول : أطفال المؤمنين ، وقيل : بالوقوف فى طفل المتولى وغيره ، وقيل : يجب حب طفل المتولى وبغض طفل المنافق والمشرك ، ويوقف فى طفل غيرهم ، فطفل المنافق منافق ، وطفل المشرك مشرك وهو خطأ ، ولا دليل فى قوله تعالى :

* * * * * * * * * * * * * *

﴿ ولا يلدوا الا فاجرا كفّارا ﴾ (١) ، لأن المعنى : لا يلدوا الا من يبلغ ويفجر ــ قاله نوح عليه السلام على سبيل الظن ــ فلا يرد طفل المرأة الطالعة به الجبل عن الماء وقيل : أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بسبعين سنة ، وقيل : بأربعين ، والحكم فى ﴿ لمـا كذّبوا الرسل اغرقناهم ﴾ (٢) على المجموع فلا يتم الرد به من حيث انه لا يوجد التكذيب من الطفل ، ولم يصح عنه ﷺ ان أطفال المشركين مع آبائهم فى النار ، ولا أنه توقد لهم ولأولاد المنافقين نار" يوم القيامة فينجو مقتحمها ، اذ لات حين تكليف ، ويوقف فى عبيد المتولى الأطفال ولو لم يعتقهم ، واذا أعتقهم وقف فيهم الا ان كان لهم أب متولى فانهم يتولون به بعد العتق ، وفى الأطفال مطلق الخلاف السابق ، وقيل : يتولون بمن أعتقهم أو لم يعتقهم ان لم يكن لهم أب معروف ، وعليه فيتولى من أعتقه متولى وغيره أو اشتركاه .

ويوقف فى ولد الزنى ومن لا يثبت نسبه وولد التى أسلمت وتركت زوجها فى الشرك ، وقيل : يتولون بها ، وكذا اختلف فى أطفال عبيده ، ويوقف فى الطفل المشترك والمختلط ، ويوقف فى أولاد من رجع من الوفاء الى الشرك أو النفاق ، لأن ولايتهم بالتبع ، وقيل : يبقون على الولاية ، وقيل : يبقى أولاد من رجع الى النفاق ، وقيل : أولاد من رجع الى الشرك ، واذا بلغ المتولى وقف فيه حتى يظهر وفاؤه ، وانما صح الوقوف بعد الولاية لأنها هاهنا بالتبع ، وهكذا كلما كانت بالتبع ، ويبقى عليها ان تشابه .

قلت : الذى عندى أن المتولى اذا بلغ يبقى على الولاية ان أقـر بما

---

(١) ســورة نوح : ٢٧ .
(٢) ســورة الفرقان : ٣٧ .

لا يسع جهله حتى تعلم منه كبيرة ، لكن يتولى بالذات لا تبعاً ، وهــو ظاهر ؛ وان قال حين الشبهة : بلغت ، حكم ببلوغه ، ويبقى على حاله كل من تجنن قبل البلوغ ودام جنونه بعده ، وان غاب أولاد المتولى يبقون على حبهم ما لم يظهر بلوغهم ولو بالسنين ، وقيل : ينظر الى اترابهم ، وقيل : يبقون على ولايتهم ما لم يتبين بلوغهم بالأمناء ، ولو سمع انهم ولدوا أولاداً لأنه ليس على علم من حياتهم بقول غير الأمناء انهم ولدوا ، ويجب على المكلف حب نفسه وطفله وعبده الطفل طالباً من الله الرحمن الرحيم التوبة عليه ، وقيل : يجب حب من رايته يتعاطى الخير ولا تعلم منه كبيرة ، ويجب حب من علم انه تحت الامام ولو بامارة الزى ما لم تعلم منه كبيرة ، وقيل : لا يجب الا بمعرفة الوفاء منه ، ويجب حب داخل الاسلام ولو بيد مخالف ما لم يفعل أو يقل كبيرة ، وقيل : يوقف فيه حتى يبرأ من المخالفين ، ويجب حب من دخل فى مذهبنا من المخالفين الا ان كان مجتهداً فحتى يتوب من كل بدعة ، ويرسل الى كل من يعلم منه ، وان لم يعلم أين هو أجزأته التوبة ، ويحتاط بالايصاء اليه ، وقال جمهــور قومنا : لا تجب ولاية الأشخاص غير المنصوص عليهم ، وقال بعضهم : تجب بالشريطة لأن يكون الله من أهل الجنة ، ومن تولى بهذه الشريطة أو بقولك : ان كان موفّياً أو ان كان اهلا لذلك أو ان فعل كذا وكذا كفر عند جمهور أصحابنا ، ونافق من أخّر ولاية غير المنصوص عليه واشرك متولى المنصوص عليه فى الشر ، ونافق بولاية الانسان بلا موجب (**من غير المعصومين**) هذا بيان لحصة قوله : قامت الحجة [أو] من فى قوله : من بان خيره ، والمراد بالمعصومين : من قامت الحجة أنه عصم عن الموت عن المعصية سواء لم يعص قط أو عصى ، وأخبرنا الله أنه تاب وشملت المعصية الصغيرة لأن الموت عليها كفر ، ولذلك لا يقال : ختم عمله بالمعصية الا لمن مات مصراً ، والملائكة لا معصية لهم ، وقصة هاروت وماروت ذكرت البحث فيها فى : « هميان

الزاد الى دار المعاد » وغيره ، وكذا الكلام على الأنبياء هل تصدر منهم الصغائر أو ما ينسب الى بعضهم من ذنب ليس بذنب حقيق بل تشديد فى جانبه لمكانه من الدين وغير ذلك ؟ (**أو نفْل**) مقابل لقوله : اما فرض وتوحيد او فرض (**كحب التطوع**) بالصدقة أو الصوم أو الصلاة أو الوضوء أو الحج أو غير ذلك ، وقد صح أن الوضوء على الوضوء نور على نور ، وكحب كل عبادة غير واجبة (**واعادة الفرض المؤدى**) سواء كان مما ينافق بتركه أو مما يشرك بتركه أو مما يعصى بتركه كقولهم : الوتر فرض لا يكفر تاركه ، فالفرض الذى يشرك بتركه هو ولاية الجملة ، وولاية المنصوص ، وكلمة الشهادة يعنى تكرير صورة الفرض او بعضه فيما يمكن فيه البعض احتياطاً ، فالأول فرض ، والثانى نفل ، احتاط به للفرض وقوّاه به ، وذلك يكون فى الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرهن من الفرائض ، واما تكرير ذلك على أنه فرض فى المرة الثانية كالأولى فلا يجوز لأن فيه استظهاراً على الشارع وتقدماً بين يدى الله ورسوله ﷺ عن صلاة واحدة مرتين فى يوم ، وانما تكون الثانية فرضاً لو فسدت الأولى ، وقد ذكروا فى علم الأصول وغيره أن العتْق والكسوة والاطعام فى الكفارة المرشلة مخيّر فيهن ، وانه لا يصح الجمع بينهن لكفارة واحدة ، على ان كلا فرض بل ما فعل أولا لتؤدى به الفريضة والباقى نفل ، فان الفرض لا يؤدى مرتين ، فالمراد باعادة الفرض تكرير صورته لا اداؤه ، فان حب ادائه واجب ، وسواء فى الاعادة المذكورة فى الوقت او بعده لا الاعادة فى الوقت لخلل كما هو حقيقة الاعادة فى الوقت ، فان الاعادة فى الأصول فعل الفرض مرة ثانية أو ثالثة فصاعداً ، لخلل فى الأول ، أو ما بعده فى الوقت ، وليس مراداً هنا ، ولذلك قال : (**لا لخلل**) لأن حب اعادته لخلل واقع فيه أو لا واجب .

وكذا البغض فى ضد الحب فبغض الأول شرك والثانى نفاق والثالث عصيان ،

ولا يسع جهل حب المسلمين ولا تركه ولزمت معرفة كفر من أبغضهم وافعالهم

(**وكذا البغض فى ضد الحب**) أى : فى ضـد محل الحب ، فيكون البغض فرضاً وتوحيداً ويكون فرضاً فقط ، ويكون نفلاً ، فبغض ما هـو شرك فرض وتوحيد ، وبغض ما هو كبيرة أو معصية طاعة وفرض ، وبغض المكروه وما يخاف الوصول به الى المعصية نفل ، واذا علمت ذلك (**فبغض الاول**) وهو ما فعله فرض وتوحيد (**شرك**) فمن ابغض المسلمين وكذا الملائكة أو الأنبياء أو الرسل أو مخصوصاً منصوصاً عليه ، أو بغض هؤلاء أو القرآن أو بعضه أو بعض الملائكة أو بعض الرسل او بعض الأنبياء أو كتاباً من كتب الله او بعضه فهو مشرك ، (و) بغض (**الثانى**) وهو ما فعله فرض فقط ؛ (**نفاق**) فمن أبغض من وجبت عليه ولايته من غـير المنصوص عليهم فهو منافق ، وكذلك من أبغض الفروض التى هى دون التوحيد ، وليس مجرد ثقل الفرض الذى هو توحيد أو دون توحيد بغضاً اذا كان مقراً به متعاطياً حبه ، وكذا ثقل النفل ، اذا اقر به وصوّبه ونازع نفسه فى كراهتها له هو غير بغض ؛ (و) بغض (**الثالث**) وهو بغض ما فعله نفل اذا ابغضه وأقرّ نفسه على بغضه (**عصيان**) صغير أو لا يدرى ما هو عند الله ، فمن أبغض النفل او أبغض الاحتياط للفرض فهو عاص ؛ (**ولا يسع جهل**) فرض (**حب المسلمين**) هكذا أو المنصوص عليـه أو المخصوص غير المنصوص عليـه (**ولا تركه**) أى : ترك حبهم فانه يجب حبهم ، والعلم بوجوب حبهم ، فان أحبهم ولم يعلم بالوجوب لم يعذر عندنا ، خلافاً لبعض فرق الاباضية ، وان علم بالوجوب ولم يحب لم يعذر .

(**ولزمت معرفة كفر من ابغضهم و**) معرفة كفر من ابغض (**افعالهم**)

ووجوب العقاب على بغضهم والثواب على حبهم لمـا ينالونه غـداً وهـو فرض ودنيـا طاعة لا فرض ، وقيل كالاول . . . .

وهى الأفعال التى يستوجبون بها اسم المسلم (و) لزمت معرفة (**وجوب العقاب على بغضهم و**) معرفة وجوب (**الثواب على حبهم لما ينالونه**) من نعم الله وظهور أثر رضى الرحمن الرحيم (**غدا**) يوم القيامة الشبيه باليوم الذى بعد يومك فى القرب ، لأن كل ما هو يأتى كأنه قد أتى ، ولمـا ينالونه : تعليل لحبهم متعلق به ، فانك تحبهم لرضى الله عنهم وانعامه عليهم غداً فتثاب على ذلك الحب ، أو تعليل للزمت المقدر ان قدر أو بحصته فى لزمت المذكور ، ويحتمل ان يتعلق ببدل محذوف أى : الحب لمـا ينالونه بجر الحبِّ بدلاً من « هاء » حبهم بدل اشتمال ، فلو اسقط المبدل منه لكان اللفظ هكذا : والثواب على حب لمـا ينالونه ، واللام للتقوية ، ويجـوز تعليقها باعتبار الظرف الذى فيها من التعدية ، ومن لا يعلقها اعتبر انها فى معمول المتعدى ، والمعنى ظاهر : فانك اذا أحببت للمسلمين ما ينالونه من خير الآخرة فلك الثواب على هذا الحب ، ويدل لهذا قوله : (**وهو فرض**) فان الضمير عائد الى حب ما ينالونه غداً ، يعنى : أن حب ثواب الآخرة ونعيمها لهم فرض ، فكأنه قال : وحب ما ينالونه غداً فرض (**و**) حب ما ينالونه من النعم والعافية (**دنيا طاعة لا فرض**) فلو لم يبغضه لهم ولم يحبه لهم لم يعص وان ابغضه لهم عصى ولم يكفر ، (**وقيل**) : حب مـا ينالونه فى الدنيا فرض (**كالأول**) الذى هو حبُّ ما ينالونه فى الآخرة ، فان لم يبغضه لهم ولم يحبه لهم أو ابغضه لهم كفر ، وكان ذلك منه براءة فى هذا القول ، ويدل له قوله ﷺ : « من أصبح ولم يهمه أمـور المسلمين فليس منهم » (١) ، وليس كما قيل : ان حب ذلك فرض لا خلاف فيه ، وانه لعل الخلاف فى الاحسان ، ويأتى قول فى وجوب الاحسان وقد ذكر

---

(١) رواه مسلم وابو داود والبيهقى .

والبغض كالحب وليس منا براءة لا يقـال للمسلم وحب الخـير الآجـل لغير متوّلى كفر ، وقد يكون العاجل فرضاً كالنفقة الواجبة • • •

ذلك كله فى الأصل هذا القول الذى هو وجوب حب خير الدنيا لهم والقول بوجوب الاحسان وعبر عنه بالتودد •

(**والبغض كالحب**) فى انه اما فرض وتوحيد وهو أن تبغض للمسلمين هكذا أو للمنصوص عليه شر الآخرة ، واما فرض فقط وهو أن تبغض لغير المنصوص عليه ، واما نفل وهو أن تبغض لهؤلاء كلهم شر الدنيا ! وقيل : بغضه لهم فرض ، ويحتمل أن يريد أن بغض الخير للكافرين ثلاثة : اما فرض وتوحيد ، وهو بغض خير الآخرة للكفار هكذا أو للمنصوص عليهم ، واما فرض فقط وهو بغضه لغير المنصوص عليهم ، واما نفل وهو بغض خير الدنيا لهم ، وقيل : فرض (و) قوله ﷺ فى احاديث (**ليس منا**) من فعل كذا أو لم يفعل كذا (**براءة**) فـ (**لا يقال للمسلم**) ليس منا الا حيث يتبين أنه ليس منا معشر العرب ، أو ليس منا معشر البربر ! أو ليس منا معشر أهل بلد كذا أو نحو ذلك ، وكذا ما يشبه قولك : ليس منا مثل ليس من المسلمين أو ليس منهم أو ليس منكم يا معشر المسلمين كقوله ﷺ : « من أصبح ولم يهمه » الحديث ، ومعنى ليس منا : ليس من أهل حبّنا بل من أهل بغضنا لمعصيته فهو منافق (**وحب الخير الآجل**) وهو خـير الآخرة (**لغير متولى**) من موقوف فيه ومتبرّءاً منه منصوص وغير منصوص (**كفر**) لكن حبه للمنصوص أو للكفار هكذا شرك ولغيرهم نفاق ، ولا بأس بحب خير الدنيا لغير متولى (**وقد يكون**) الخير (**العاجل**) أى : حب الخير العاجل لغير المتولى (**فرضاً كالنفقة الواجبة**) لعياله وأوليائه ولضيفه •

وصلة الرحم وتنجية من وجبت تنجيته فهـذا يجب فعله والعلم بفرضـه

(وصلة الرحم وتنجية من وجبت تنجيته) والمعنى : انه يجب عليك أن تحب أن تنفق على غير المتولى ما يجب عليك انفاقه عليه مثل أن تحب انفاق وليك الواجبة نفقته عليك ، وانفاق ضيفك غير المتولى ، وصلة رحمك غير المتولى ، وتنجية غير المتولى (فهذا) اى : هذا المذكور من النفقة وصلة الرحم والتنجية ونحو ذلك (يجب فعله و) حبه و (العلم بفرضه) اى بالزام الشرع فعله . وحاصل كلام الأصل أنه فرض حب المسلمين هكذا ، وحب افعالهم وأنه لا يسع جهل حبهم ولا تركه ، ومن جهله أو تركه فقد كفر ، وان معنى حب المسلمين وافعالهم ولايتهم وتصويب أفعالهم ، وأنه يكفر ان ابغضهم او ابغض افعالهم ، أو تبرأ منهم ، أو خطأ أفعالهم ، وأنه فرض معرفة كفر من ابغضهم أو أبغض افعالهم ، ومعرفة أن على بغضهم عقاباً أخروياً وعلى حبهم ثواباً أخروياً ، وأن من جهل ذلك كفر ، وأنه يجب على المكلف أن يعلم أنه قد الزم مثله من المكلفين ما لزمه من الحب للمسلمين والبغض للكافرين ، وأنه قيل : يجب على المكلف ان يفعل للمسلمين مـا يحبونه به وأنه يجب حب خير الآخرة لهم ، وأن يبغضه للكافرين وأن يحب لهم شرّها ، وأنه فرض بغضهم وبغض افعالهم فيلزم من ذلك أن يخطّىء افعالهم ، وأنه قذف خير الدنيا للمسلمين ، وقيل : فرض حب خيرها وبغض ضرها لهم لقوله ﷺ : « من أصبح ولم يهمه أمور المسلمين فليس منهم » وأنه لا يقال للمسلم : ليس منا لأن ذلك براءة فيلزم من كونه براءة ، أى : لا يقال أيضاً للموقوف فيه وان بغض الطاعة التى ليست بفرض معصية الا ان كانت منصوصاً عليها فكفر شرك ، وأنه يكفر بحب خير الآخرة للمتبرىء والموقوف فيه ، ولا بأس بحب خير الدنيا لهما .

• • • • • • • • • • • • • •

وقد يفرض حبه كنفقة من تجب نفقته وصلة الرحم وتنجية من تجب تنجيته ، وانه تجب عليه نحو هذه النفقة وهـذه الصلة وهذه التنجية ، والعلم بانه فرض ، وأنه يفرض عليه نحوهن لأن بغضه يجر الى نسبة ذلك الى الجور والخطأ وتسخيط فعل الله معصية ٠

واعلم أنه يجب على المكلف أن يعلم عند البلوغ انه عاقل وانه مكلف ولا يجوز له أن يشك فى ذلك ، وذكر الشيخ اسماعيل رحمه الله عن النبى ﷺ انه قال : « يا ابن مسعود اى عرى الاسلام أوثق ؟ »قال : الله ورسوله أعلم ، فقال ﷺ : « الحب فى الله والبغض فى الله » وهما حقيقة الايمان عند اصحابنا ، ومن لم يدن بذلك فلا دين عنده ، ويروى عنه ﷺ « ان الله تعالى أوحى الى نبى من الانبياء : اما زهدك فى الدنيا فقد استعملت الراحة ، واما انقطاعك الى فقد تعززت بى ، ولكن هل واليت لى ولياً أو عاديت لى عدواً ؟ » (١) ، وعن عبد الله بن عمر : « والله لو صمت النهار لا افطره واقمت الليل لا انامه ، وانفقت مالى فى سبيل الله ومت يوم أموت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعنى ذلك شيئاً » ، وقال بعض العلماء : من هجر فى ذات الله الأقرباء عوضه الله صحبة الأولياء ، وقال ابن السماك عند موته : اللهم انك تعلم وان كنت عصيتك كنت أحب من يطيعك ، فاجعل لى ذلك قربة منى اليك ، وقال بعض السلف : هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته ؟ بأى شهوة تركتها ؟ بأى غيظ كظمته ؟ بأى رحم قاطع وصلته ؟ بأى زلة لأخيك غفرتها ؟ بأى قريب باعدته فى الله ؟ بأى بعيد قاربته فى الله ؟

---

(١) رواه الدارقطنى ٠

• • • • • • • • • • • • • •

ويرى : أن الله عز وجل وسبحانه وتعالى أوحى الى موسى بن عمران عليه السلام : « هل عملت لى عملاً قط ؟ » قال : صليت لك ، وصمت لك ، وتصدقت لك ، فقال له الله عز وجل : « ان الصلاة لك برهان ، والصوم لك جنة ، والصدقة ظل لك ، والذكر نور لك ، فأى عمل عملت لى ؟ » قال موسى : دُلنى يا رب على عمل هو لك حتى أفعل ، قال : « يا موسى هل واليت لى ولياً قط ، هل عاديت لى عدواً قط ؟ » فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله . وعن الحسن : مصارمة الفاسق قربة الى الله عز وجل ، وعنه ايضاً : لا يغرنك قول من يقول : المرء مع من أحب ، فانك لا تلحق الأبرار الا باعمالهم ، وان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم .

قلت : لأن الحب الحقيقى الوفاق بالعمل فاذا لم يوافق فلا حب بل مخالفة ، وشقاق ، ويروى : أن الله عز وجل أوحى الى عيسى عليه السلام : « انك لو عبدتنى عبادة أهل السماوات والأرض ولم تحب فى الله ولم تبغض فى الله ما اغنى عنك ذلك شيئاً » ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه : لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله مع من يحب . ويروى عن عيسى عليه السلام انه قال : « تحببوا الى الله ببغض أهل المعاصى ، وتقربوا الى الله بالبعد عنهم ، والتمسوا رضى الله بسخطهم » قالوا : يا روح الله فمن نجالس ؟ قال : « جالسوا من تذكركم الله رؤيته ، ويزيد فى علمكم منطقه ، ويرغبكم فى الآخرة عمله » وذلك ادلة على وجوب ولاية الأشخاص . وعنه ﷺ : « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره » (١) وعنه ﷺ : « من اقر عين المؤمنين اقر الله عينه يوم القيامة »(٢) وقال ﷺ : « من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها او لم

---

(١) رواه ابو داود وابن حبان .

(٢) رواه ابو داود .

. . . .

يقضها وجبت له الجنة » (١) ، وعنــه ﷺ : « من فــرّج عن مكروب أو أعــان مظلوماً غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة » (٢) ، وعنه ﷺ : « أنصر أخــاك ظالماً أو مظلوماً » (٣) ، قيــل : يا رســول الله كيف أنصره ظالماً ؟ قال : « تمنعه من الظلم » ، وعنــه ﷺ أنه قال : « من حمى مؤمناً من غيبة منافق بعث الله له ملكاً يحمى لحمــه من النــار يوم القيامة » (٤) ، وعنه ﷺ أنه قال : « لا يحــق لمسلم أن يشــير الى أخيــه بنظرة تؤذيه » (٥) ، وعنــه ﷺ : « انما يتجالس المتجالســان بأمانة الله فلا يحــل لأحــدهما أن يفشى على صــاحبه ما يكــره » (٦) ، وعنه ﷺ : « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : الشرك بالله والضر لعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من البرّ : الايمان بالله والنفع لعبــاد الله » (٧) ، وعنه ﷺ : « لا يؤمن أحــدكم حتى يحب لأخيــه ما يحب لنفســه » (٨) ، وعنه ﷺ : « من أحب الأعمال الى الله ادخــال السرور على المؤمن أن يفــرج عنــه غمــاً أو يقضى عنــه ديْنــاً أو يطعمــه من جــوع » (٩) ، والأخ فى الدين أكثر منفعة وأحمــد عاقبة ، قال الله تعالى :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) رواه الدارقطنى .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه مسلم .

(٨) متفق عليه .

(٩) رواه ابن ماجة .

. . . .

﴿ الأخلاء يومئذ ﴾ (١) ، الآية ، وقال ﷺ : « أخ يذكرك أمر آخرتك خير لك من أخ يعطيك كل يوم ديناراً » (٢) ، وقال أبو بلال مرداس رحمه الله :

من كان من أهل هذا الدين كان له
ودى وشاركته فى تالد المال

الله أعلم أنى لا أحبهم
الا لوجهك دون العم والخال

والحب الخالص يفضى الى خلطة الأرواح مع تفرق الأجساد .

كما قال الشاعر :

هموم الرجال فى أمور كثيرة
وهمّى من الدنيا صديق مساعد

نكون كروح بين جسمين قسّما
فجسمهما جسمان والروح واحد

قال الكندى : الصديق انسان هو أنت الا أنه غيرك . رُوى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أقطع طلحة بن عبَيْد الله أرضاً وكتبها له وأشهد فى ذلك عمر وغيره ، فأتى الى عمر بالكتاب ليختمه فامتنع فرجع مغضباً الى أبى بكر رضى الله عنه فقال : والله لا أدرى أنت الخليفة أم عمر ، فقال : بل عمر ، لكنه أنا ، وذلك فى أخوة الآخرة ، وأما فى أخوة الدنيا فقد قال ﷺ : « أحبب حبيبك هوناً عسى أن يكون بغيضك

(١) سورة الزخرف : ٦٧ .
(٢) رواه ابو داود والبيهقى .

. . . .

يوماً ، وابغض بغيضك هوناً عسى أن يكون حبيبك يوماً » (١) ، وقال عمر رضى الله عنه : لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً ، وقال أبو الأسود :

وكن معدناً للخير واصفح عن الأذى　　فانك راء ما عملت وسامع
واحبب اذا أحببت حباً مقارباً　　فانك لا تدرى متى أنت نازع
وابغض اذا أبغضت غير مبائن　　فانك لا تدرى متى أنت راجع

ويقال : ما تحاب اثنان فى الله الا كان افضلهما عند الله أشدهما حباً لصاحبه والله أعلم .

---

(١) رواه مسلم والدارقطنى والترمذى .

خاتمـــــة

أجمعت الأمة أن الحب لله ورسـوله فرض ، ولكن زعم قـوم أنـه لا معنى للمحبة لله الا المواظبة على طاعته ، وأن حقيقة الحب محـال الا مع الجنس ، ويرد عليهم أن الطاعة تبع للحب وثمرة له فكيف يفسر الحب بها ؟ قال الله تعالى : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشـدُّ حباً لله ﴾ ، وفيه اثبـات تفاوت الحب ، وقال : ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ ، وقال : ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً ﴾ وفى الحديث : « اذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب » وقال الله تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبـون الله ﴾ ، الآية وقال ﷺ : « ان الله يعطى الدنيا من يحـب ومن لا يحب ، ولا يعطى الايمـان الا من يحب » وقال ﷺ : « من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله ، ومن أكثر ذكْر الله أحبه الله » وقال الله تعالى : « لا يزال العبـد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه » (١) الخ وقد مر وقال أبو رزين العقيلى : يا رسـول الله ما الايمان ؟ فقال ﷺ : « ان يكون الله ورسوله أحب اليك مما سـواهما » فجعل الحب من شرط الايمان ومثله قوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » ، وقال الله تعالى : ﴿ قل ان كان آباؤكم ﴾ الآية ، فهددهم على كـون ما ذكر أحب اليهـم منـه تعالى ، وقال ﷺ : « أحبـوا الله بمـا يغذوكم به من نعَمه وأحبونى لحب الله تعالى » ، وقال رجل : يا رسـول الله انى أحبك

---

(١) حديث قدسى .

. . . .

فقال ﷺ : « استعد للفقر » فقال انى أحب الله تعالى فقال : « استعد للبلاء »،وعن عمر رضى الله عنه : نظر النبى ﷺ الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبى ﷺ : « انظروا الى هذا الرجل الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون » وجاء ملك الموت لقبض ابراهيم ، فقال ابراهيم عليه السلام « هل رأيت خليلا يميت خليله ؟ » فأوحى الله اليه : « هل رأيت محبا يكره لقاء خليله ؟ » فقال : « يا ملك الموت الآن فاقبض » فتراه أحب الله بكل قلبه حتى انزعج الى لقائه ولم يكن له محبوب سواه يحب الحياة لأجله ، وقال النبى ﷺ : « اللهم ارزقنى حبك ، وحب من احبك ، وحب ما يقربنى الى حبك واجعل حبك أحب الى من الماء البارد » . وجاء أعرابى الى النبى ﷺ فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ قال : « ما أعددت لها » ؟ قال : ما أعددت لها كبير صلاة ، ولا صيام ، الا أنى أحب الله تعالى ورسوله ، فقال له رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب » قال أنس :فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الاسلام فرحهم بذلك ، وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من ذاق من خالص محبة الله تعالى شيئا أشغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر ، وقال الحسن : من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل ، فاذا تفكر حزن ، وقال أبو سليمان الدارانى : ان من خلق الله خلقا لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه ، فكيف يشتغلون بالدنيا ؟ ومر عيسى عليه السلام بثلاثة نفر نحلت أبدانهم وتغيرت الوانهم فقال : « ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ » فقالوا : الخوف من النار ، قال : « حق على الله أن يؤمن الخائف » ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيرا فقال : « ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ » قالوا : الشوق الى الجنة فقال : « حق على الله أن يعطيكم ما ترجون » ثم جاوزهم

الى ثلاثة فاذا هم أشد نحولا وتغيّراً كأن على وجوههم المرائى من النور فقال : « ما الذى بلغ بكم ما أرى ؟ » قالوا : حب الله عز وجل ، فقال : « أنتم المقربون أنتم المقربون » وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل نائم فى الثلج فقلت أما تجد البرد فقال : من شغله حب الله لا يجد البرد ، وعن سرى السقطى : تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائهم فيقال : يا أمة موسى ، يا أمة عيسى ، يا أمة محمد ، غير المحبين فينادون : يا أولياء الله هلمّوا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا ، وقال هرم بن حيان : المؤمن اذا عرف ربه عزّ وجل أحبه وأقبل اليه ، اذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة ، ويبقى بجسده فى الدنيا وبروحه فى الآخرة ، وقال يحيى بن معاذ : عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ؟ ورضوانه يستغرق الآمال ، فكيف حبه ؟ وحبه يدهش العقول ، فكيف وده ؟ ووده ينسى ما دونه ، فكيف لطفه ؟ وفى بعض كتب الله جل وعلا : « عبدى أنا وحقى لك محب فبحقى عليك كن لى محباً » ، وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب ، ولا يحب الرجل الله حتى يعرفه اذ لا يحب الانسان أو غيره ما لا يعرفه فاذا عرفت صفات الله وكماله أحببته لأنها تلائم نور عقلك وذلك يدرك بالعقل لا بالحواس ، فلا يقال : الله لا يدرك بالحواس فكيف تحبه وأنت انما تحب ما أدركته بالحواس واستحسنته ، ولا يخفى أن الانسان يحب نفسه ويحب غيره لخير يصله منه ودفع ضر ولمنفعة ما ، فهو أبداً يحب الحياة والعافية فى بدنه وماله وبقاء كل ما يحتاج اليه حتى أنه يكره الموت ولو بلا ألم فهو لا يحب أن يفنى غيره ويبقى وحده فى الدنيا بلا أنيس ولو بقى وحده لم يختر الموت أيضاً ، ولو خيّر بينه وبين ولده لاختار موت ولده ولما علم أنه لا محالة يموت كان يختار بقاء من بقاؤه يقرب على بقائه كولده وأقاربه فهو يحب الأقارب والأجانب لاحسانهم اليه أو اتصال ما قال ﷺ : « اللهم لا تجعل

• • • • • • • • • • • • • •

لفاجـر علىّ يدأ فيحبه قلبى » رواه الغزالى وتقـدم بزيادة كما رواه تبغورين رحمه الله . وقد يحب الشئ لذاته وهو الحب الحقيقى البالغ الذى يوثق بدوامه كحب المال ، ولا تظن أنه لا يتصـور الا لقضـاء الغرض فان قضاءه لذة اخرى فقد تحب الخضرة والمـاء الجـارى بلا أكل منهـا ولا شرب منه ، وكـذا الأزهار والأطيـار المليحـة والنقش المناسب والله جميل يحب الجميل كما فى الحديث ، فهـو محبوب لصفاته الذاتية فهـو محبوب بالذات كما هو محبوب لفعله ، وهو محبوب الفعـل أيضـآ لذات الفعل ولو مما تكره النفس ، فاذآ ليس الحسن والجمـال محصورين فى الادراك بالحواس الخمس ، وجمال كل شئ وحسنه بحضور كماله اللائق به وان حضر بعضـه فحسنه وجماله بقدر ما حضر ، ويقال : هـذا خلق حسن وعلم حسن وسيرة حسنة وأخلاق جميلة فالأخلاق الجميلة : كالعلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة ونحـو ذلك ، وذلك يدرك بنور البصيرة لا بالحواس فترى الطباع مجبولة على حب الأنبيـاء والأوليـاء والعلماء والصحابة بلا مشاهدة ، ويكون الحب أيضآ لمناسبة خفية قرب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا لسبب جمال أو حظ بل لتناسب الأرواح قال رسول الله ﷺ : « الأرواح جنود مجنـدة فما تعارف منهـا ائتلف وما تناكر منها اختلف » والمستحق للمحبة هو الله تعالى وحده ، وما أحب من أجـله فحبه حب له تعالى كحـب القـرآن والسـنة والعلم باخلاص ، وحب النبىّ ﷺ والصحابة والمؤمنين فان محبوب المحبوب محبوب ، بل حب الانسان نفسه يرجع الى حب الله تعالى لو عقل ، فانه يحب الخير لنفسـه والبقـاء ، وموجد ذلك هو الله تعالى فان لم يحب الله لذلك فلجهله ، قال الحسن : من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيـا زهـد فيهـا ، وكذا حبك لغير الله تعالى لدفع ضر أو جلب نفع يرجـع الى حب الله تعالى لأن ذلك من الله جل وعـلا على يد غيرك ، فالله تعالى هـو الذى صرف عنك الخلق وهو الذى يصرفهم اليك وكـذا حبك للمحسن فى نفسـه بدون أن يصلك منه احسـان كعلم وعطـاء لأن الله تعـالى هو الموجـد لهذا الاحسان ، وكذا حب الجمـال لذاته لأن الله تعالى هـو الموجد

* * * * * * * * * * * * * *

لهـذا الاحسان وكذا حب الجمال لذاته لأن الله تعالى هـو الخالق لـه فاحبب الله لجميل صفاته وأفعاله ولو بلا وصـول اليك ، قال أبو حـازم : انى لأستحى أن أعبد للثواب والعقاب فأكون كالعبد السـوء ان لم يخف لم يعمـل ، وكالأجير السـوء ان لم يعط لم يعمل ، وفى الخبر : لا يكونن احـدكم كالأجير السوء ان لم يعط أجـراً لم يعمل ، وكالعبد السـوء ان لم يخف لم يعمـل ، وكذا تحب الله لمناسبة صفاته نور عقلك . ويقوى حب الله تعالى بقطع علائق الدنيـا من القلب واخراج غير الله منـه ، فبقدر ما يخـرج منه يدخل حبه كسائر الآنية تسع من غير ما فيهـا بقدر ما يخـرج مما فيهـا ، وبقـدر ما تتقرب للمشرق تبعـد من المغـرب ، كذلك بقدر ما يزيد من الدنيـا ينقص من الآخـرة كما يضيق قلب الضـارة بقدر ما يطيب قلب ضارتها ، فبقـدر الأنس بالله جـل جـلاله ينقص الأنس بالدنيـا ، ويقوى حب الله تعالى بقـوة معرفته واتسـاعها واستيلائها على القلب ، وذلك بعد تطهير القلب من كل أمـر ليس لله ، وأصـل الحب لا ينفك عنه المؤمن وتتفاوت مراتبه بحسب تفـاوت المعـرفة به فعمامة ، الاباضية تعرف فضل أبى عبيدة رحمه الله لاشتراكهم فى معرفة فضله ودينه وحلمه اجمالا والعلمـاء يعرفون ذلك مفصـلا فحبهم له أعظم وأتـم ، والله أعـلم .

فصــــل

لا يأخـذ المرؤ حقه بنفسه ولو اماماً أو قاضـياً أو لمـن ولى عليـه وان بحبس أو يمين . . . .

فصــــل

(لا يأخذ المـرء حقه) من غيره وهو ما يكون له غـيره من مـال بتعدية أو بمعاملة أو ما عنده بأمانة أو غير ذلك أو ما لزم غيره لأجـله كضـرب وحبس ونحـوهما ، (بنفسـه) أو بعبده أو بولـده أو قريبـه أو بأمـره أو بغير ذلك لا يأخـذ ذلك منه بالقهـر ولا يضر به أو يحبسـه ولو بـلا قهـر (ولـو) كان المـرء الـذى هـو صاحب الحـق (اماماً أو قاضياً) أو حاكماً أو والياً أو سلطاناً ممن يلى اخراج الحقوق (أو) كان الحق المنسوب لمن ولى عليه وان بحبس أو يمين اليه هو فى الحقيقة (لمن ولى عليـه) كميته ومجنونه وعبده وزوجته ومن هو خليفة عليـه أو وكيل له أو مامور له أو محتسب (وان) كان أخـذ الحـق (بحبس) لفعـل أو قـول فعله أو قاله فيه أو فيمن ولـى عليـه (أو يمين) تلـزم لـه أو لمـن ولى عليه لأجـل مال أو ما يؤول الى المـال أو حيث تلـزم اليمين فلا يحلفه بنفسـه أو بنائبه لنفسـه ، أو لمن ولى عليـه ولا يحبسـه

ولا يضربه كذلك مطلقاً أذعن أو كره ، ولا يأخذ ماله منه قهراً الا على ما مر من قضاء المال من المنكر أو غيره فى باب قضائه من البيوع والا ما مر فى الدماء من قتل قاتل وليه فانه على ما مر فيه ، والا ما مر فيها من أخذ المرء ماله ولو بقتال من غاصب أو باغ اذا لم يخلطه أو خلطه وأمكن فرزه فعلى ما مر فيها ، فاذا كان للقاضى أو للامام أو نحوهما حق رفع من لزمه الى غيره وكذا اذا كان لمن ولى عليه ، وفى « الضياء » : واذا كان للحاكم على رجل دين وكان مقراً له جاز للحاكم حبسه ، وان كان منكراً للدين لم يكن للحاكم حبسه بل يرفعه لحاكم آخر أو يحكمان رجلاً ا هـ ، فهذا تفصيل بين ما أقر فيه من عليه الحق وما لم يقر فيه ، وفى « الديوان » : وان استمسك الى الحاكم طفله او عبده برجل فى تعدية فى الأنفس أو الأموال والمعاملات فلا يثبت بينهما الخصومة وليدفعهما الى قاض غيره ، وكذلك ان استمسك رجل الى القاضى بطفل القاضى أو عبده فانه يرفعهما الى غيره وان استمسك رجل بعبد القاضى بالتعدية فانه يثبت الخصومة بينه وبين عبده ، وان استمسك بالقاضى رجل فليرتفعا الى الامام أو قاضيه او حاكم المسلمين او جماعتهم ، وان اختصم اليه قرابته مع غيرهم فليرفعهم الى غيره من الناس ، وان حكم بينهم بالحق فحسن جميل وان تخاصم الأقارب بينهم كالأب والابن فليحكم بينهم ولو كانوا أقاربه وكذلك الأزواج فيما بينهم ويثبت الحاكم الخصومة بين العبيد وساداتهم ، وأما الأموال فلا يثبت الحاكم الخصومة بين العبيد وغيرهم من الناس ان استمسك بهم العبيد الا باذن ساداتهم أو يكون العبيد مأذوناً لهم فى التجارة .

(وجاز له) أخذ الحق لنفسه أو لمن ولى عليه حق مال أو ضرب أو حبس أو نحو ذلك ممن أساء اليه بذلك الحق أو أساء اليه بشىء آخر قبل

ان لم يعارضه انتقام ولم يقصده أو عارضه ونفاه ولزمه الضمان والهلاك ان اخذ حقه وانتقم بلا اعادة لاخراجه ويخرجه من طفله وعبده وممن ولى عليه

ذلك ، أو فعل فيه حقا يضره قبل ذلك او مباحا ، أو فعل ذلك بمن يليه (**ان لم يعارضه انتقام ولم يقصده وعارضه ونفاه**) من قلبه وقصد مجرد الحق (**ولزمه الضمان**) لأرش الضراب (**والهلاك ان أخذ حقه**) أو حق من ولى عليه (**وانتقم**) اى : وقصد فى أخذه الانتقام (**بلا اعادة لاخراجه**) وذلك سهل الوقوع لشحّ النفس ، ولذلك عدل عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وغيرهما عن ضرب من أساء اليهم ، وقد استوجب الضرب قبل اساءته اليهم مخافة الانتقام حتى اذا سكنوا اخرجوا الحق ، وروى أن على بن أبى طالب قعد على صدر رجل ليقتله فبصق الى وجه على فقام عنه وتركه ، فقيل له ، فقال : اخاف ان اقتله لنفسى .

والضرب أو الحبس انتقاما للنفس ظلم وخدعة للهوى لا انفاذ للحق فلذلك ذكر المصنف انه يضمن بذلك ويهلك وفى « الديوان » : يضرب الحاكم أولاّ ما قدر عليه ثم يأمر غيره ولا يؤمر بالضرب من له حسيفة فى المضروب او يخاف ان يجاوز فيه الحد ا هـ ، ولا يلى الرجل اخراج الحق ممن لـه عليه حق اخذ حقه أو لم يأخذه ولو كان حاكما أو اماما بل يرفعه الى غيره مخافـة الانتقام أو مجاوزة الحـد .

(**ويخرجه**) اى الحق (**من طفله وعبده**) ومجنونه (**بنفسه**) ويأمره لمن يخرجه منهم ممن شاهد منهم موجب اخراج الحق أو اتى ببيان أو أقرّ العبد (**وممن ولى عليه**) باستخلاف أو وكالة أو امارة من طفل أو مجنون

ولا يضيق على من رآه منعه أو نهـاه مـا لم يظهر منـه مجاوزته وجـاز لـه فيهم مـا لم يجـز لغيره وان بضرب ليلاً أو بمـا لا يضرب به بلا قصد لكسر أو زوال عضـو أو مثلة . . . .

أو أولاد ابنه وان سفل ، أو أولاد امائه ، قيل : أو أولاد عبيده وزوجته وعبيد أولاده الأطفال أو المجانين أو امائهم فانه يخرج من هؤلاء حقه وحق غيره .

(**ولا يضيق على من رآه**) أى : لا يلزم من رآه يخرج الحق منهم بضرب أو حبس (**منعه أو نهاه**) مطلقاً حتى يبين موجب ذلك بل يمضى ويتركه (**ما**) احتمل انه على الحق و (**لم يظهر منه مجاوزته**) أى مجاوزة الحق وذلك فيما ليس فيه اتلاف نفس أو عضو وان ظهر له مجاوزة الحق بان فعل ذلك بلا موجب او فعل بموجب لكن زاد فى عدد الضرب أو فى تغليظه أو تغليظ الحبس او كان يضربه فى متلف أو بمتلف أو يحبسـه فى متلف لزمه أن ينهاه وله دفعـه عنهم وان دفعه فادت مدافعته الى موته بلا قصد للموت فلا ضمان عليه .

(**وجاز له فيهم ما لم يجز لغيره**) فى اخراج الحق (**وان بضرب ليلا**) بلا ضوء نار كمصباح ولا ينبغى ضرب غيرهم ليلاً لمصباح أيضاً فكيف لنار أو بدونهما (**أو بما لا يضرب به**) كعصى يضرب بها طفلاً ، وكجريدة يضربه بهـا بعد نزع سعف ، وفى غـير موضـع الضرب كباطن القـدم (**بلا قصد لكسر أو زوال عضو**) أو منفعته كاحساس الحاسة من الحواس أو قطع جليْدة أو لحيْمة ولو أقل قليل (**أو مثلة**) كفقء عين وذلك من اذهاب الاحساس وكاحراق بنار ، ومر الكلام على المثلة فى الجروح والقصاص وقد بينت مواضع الضرب فيما كتبته على رسالة سعيد بن قاسم الجربى ، ورسالة سعيد بن خلفان العلمانى ، وفى تفسير سورة النور للمصنف رحمه

ابقى كلام الأصل على ظاهره ولم يقل كما قال الشيخ محمد من أنه لعل النسخة ، ولا يجوز له فيهم ما لا يجوز له فى غيرهم باثبات لا قبل ، يجوز الاول كالثانى واسقطها الناسخ وما فعله المصنف اولى لأنه الأصل لأن الأصل أنه لا اسقاط ولأنه يناسب قوله : ولا يقصد فى هذا ما يقوم عليه الفساد مثل الكسر فانه كالاستثناء من التهويل فى قوله : ويجوز له فيهم ما لا يجوز فى غيرهم ، ولأنهم قد خالفوا غيرهم أيضاً فى أنه يخرج الحق منهم بنفسه ولا ينهى ولا يطالب بالبينة واعتبار ذلك اولى مما اعتبره الشيخ محمد من ان الأصل أن يوافقوا غيرهم فيما بــه الضرب ، أو فى مكان الضرب أو زمانه أو موضعه .

وفى « الديوان » : واذا وجب الأدب على امرأة رجل فيما بينه وبينها فلا يخرجه منها ولكنه يستمسك بها عند الحــاكم او القاضى أو جماعــة المسلمين فان صح ذلك فليخرجوا منها الحق ، ومنهم من يقول ان كان زوجها ممن يعرف كيف يؤدبها فليؤدبها بنفسه اذا لم يخف من الشر ، وتؤدب المراة على عصيانها فى الفراش وجائز للرجل أن يأخذ حق الأدب من عبيده بنفسه ان عرف كيف يؤدبهم ، وذكر عن رسول الله ﷺ أنه أمر الفضل بن عباس أن يؤدب أهله وعبيده وجائز للرجل أن يؤدب أطفاله ويأمر من يؤدبهم ممن يعرف ذلك ، ولا يجوز للمرأة أن تؤدب أطفالها الا باذن زوجها ، وان لم يكن للطفل والد فان والدتهم تؤدبهم اذا عرفت كيف تؤدبهم ولا يجلدوا من وجب عليه الحق بالليل من غروب الشمس الى طلوع الشمس من الغد الا ان أخذوا فى جلد رجل قبل غروب الشمس فغابت الشمس قبل أن يتموا فلهم أن يجلدوه ما لم يمنعهم الظلام ، ولكن اذا حضر غروب الشمس فلا يتعمدوا فيه ضرب من أرادوا أن يضربوه كثيراً ، وان كان الضرب قليلاً فلهم أن يأخذوا فى ذلك ، وكذلك الحدود لا يقيمونها بليل من جلد أو قطع أو رجم ، فأما غيره من أوقات النهار فلهم أن يجلدوا

. . . .

الا بين الأذان لصلاة الجمعة الى ان يفرغوا من صلاتها ، وحكم المأمون بين ابنه وامرأة وذلك أنه جلس يوماً للنظر فى أمور الرعية من أول النهار الى أن زالت الشمس فكان فى آخر من تقدم اليه امرأة عليها أطمار بالية فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فنظر المأمون الى يحيى بن أكثم كالمتعجب ، فقال لها يحيى بن أكثم : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ما حاجتك ؟ فقالت :

يا خير منتصف يهدى بـه البشر
ويا اماماً بـه قـد أشرف البلد

تشـكو الى ملك الزمـان أرملة
عُـدى عليها فـلم تقو له أسـد

فابتز منى ضياعى بعد نضرتهـا
فقـد تفرق منى الأهـل والولد

فأجابها المأمون :

فى دون ما قلت عيل الصبر والجلد
وذاب منى بذاك القلب والكبـد

هذا أوان صـلاة الظهر فانصرفى
واحضرى الخصم فى اليوم الذى أعدُ

المجلس السبت أن يقضى الجلوس لنـا
ننصفك فيه والا المجلس الأحدُ

. . . .

فانصرفت فلما كان يوم الاحد تقدمت اليه فقال لها : يا أمة الله ما فعل خصمك ؟ قالت : ها هو ذا فاشارت الى العباس ابنه ، فقال للحاجب : أجلسه معها مجلس الحكم فأخذ بيده فأجلسه معها فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها الحاجب : مهلاً يا أمة الله فانك انما تخاطبين الامير أعزه الله وأنت فى مجلس أمير المؤمنين ، فقال له المأمون : دعها فان الحق أنطلقها والباطل أخرسه ، فأمر بردّ ضياعها وأمر لها بعشرة آلاف درهم فأخذتها وانصرفت .

واعلم ان الصبى أمانة عند والديه وقلبه جوهرة ظاهرة خالية من النقش والصورة فهى قابلة لما ينقش أو يصور فيها فان علّماه الخير انتقش وتصور فيه وكان له ولمن علمه الأجر دنيا وأخرى ، بل قال ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه » (١) وان عوّد الشر أو اهمل خطفه الشيطان فانتقش فى قلبه الشر وتصور به فهلك هو ومن اهمله ، قال الله تعالى : ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ (٢) فكيف لا يصونه أبواه عن نار الآخرة ويصونانه عن نار الدنيا ؟ وذلك بأن يؤدبه أبوه ويعلمه محاسن الاخلاق ويمنعه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره فى طلبها اذا كبر فيهلك ، ويسترضعه حين الرضاع صالحة متدينة فانه لا بركة فى لبن الحرام ، فان نشأ به مال طبعه الى الخبائث ، فاذا رأى فيه مخائل التمييز أحسن مراقبته ، وأول ذلك ظهور أوائل الحياة فيراه يستحى من بعض الأفعال فذلك لاشراق نور العقل ، فهذه هدية وبشارة من الله تعالى باعتداله وصفائه وكمال عقله اذا بلغ ، فيستعان بحيائه على تاديبه ، فيؤدب عن شره الطعام أولاً ويقال له : لا تأخذ الطعام الا بيمينك ،

---

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) سورة التحريم : ٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

• • • • • • • • • • • • • •

وقل بسم الله الرحمن الرحيم ، وكل مما يليك ، ولا تبادر الى الطعام قبل غيرك ، وأجد المضغ ولا تنظر الى من ياكل ، وغير ذلك من آداب الطعام ، ويعود الخبز بلا ادام فى بعض الأوقات لئلا يلتزمه ، ويشبه له كثير الأكل بالبهائم ، ويمدح له من يقلل الأكل من الصبيان ويحبب اليه الايثار بالطعام والقناعة والاجتزاء بما وجد من الطعام الخشن ومن اللباس ، ويحبب اليه الثوب الأبيض دون الملوّن والحرير ، ويقول له : ان اللون والحرير من شأن النساء والمخنثين ، ويكرر ذلك عليه ويعينه على ذلك بحفظه من الصبيان الذين يلبسون ذلك أو افخر الثياب وأهل التنعم فان الصبى اذا اهمل نشأ ردىء الأخلاق كذوباً حسوداً سروقاً نمّاماً لجوجاً ذا فضول وضحك وعدم مبالاة ويشغله فى المكتب ، فيتعلم القرآن وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم ليحبهم ويحفظ عن اشعار العشق وأهله والأدباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس فى القلب النفاق واذا ظهر منه خلق جميل جازاه واكرمه ليزيد ويمدحه لا بين أظهر الناس خلافاً للغزالى ، فان ذلك يبعثه للرياء ، وان خالف فى بعض الأحوال تغافل عنه مرة واحدة ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر انه يتصور أن يفعل أحد مثله ولا سيما ان اجتهد الصبى فى ستره فان أظهره فقد لا يبالى الصبى بالمكاشفة ، وان عاود ثانياً عاتبه سراً ويعظم الأمر فيه ويقول : اياك أن تعود الى مثله فتفتضح عند الناس ولا يكثر العتاب فان كثرته تهون عليه ركوب القبائح لأنه يعتاده ويسهل عليه ويحفظ الأب هيبة الكلام معه وتخوفه الأم بالأب وتزجره عن القبائح وينبغى أن يمنع النوم لئلا يكسل ، واقول الا فى القائلة ، ويضرب على عدم النوم فيها اذا كان ان لم ينم لعب فيها ، ويمنع من الفراش الوطىء لتتصلب أعضاؤه ويعوّد المشى أو الحركة فى بعض النهار فيما يعنى لئلا يكسل ولا يكشف أطرافه ولا يسرع المشى ويرخى يديه .

. . . .

وقال الغزالى : لا يرخيهما بل يضمهما الى صدره أى : لئلا يعبث بهما ويمنع من الفخر بما ملكه ابوه أو طعامه أو لباسه أو لوحـه أو دواته ، ويعوّد التواضع والاكرام لكل من عاشره بتلطف الكلام وأن لا يأخذ من الصبيان شيئاً ويعلم ان الرفعة فى الاعطاء وأن الأخذ لؤم وان الطمع والأخذ مهانة وذلة وأنها من دأب الكلب يبصبص فى أنظار لقمة ، ويقبح فيه الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من السم على الصبى والكبير ، ويعوّد الا يبصق فى مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب فى وجوه الناس ويستدبر غيره ، ولا يضع رجلاً على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بذراعه أو يده فذلك دليل الكسل ، ويقال : ان ذلك يورث الهم والمصائب ، ويعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة الكلام ، ويعلم أن ذلك وقاحة ، وانه فعل أبنـاء اللئام ، ويمنع من الفضول رأساً ، صادقاً كان أو كاذباً ، حتى لا يعتاده ، ويمنع أن يبتدىء الكلام وأن لا يتكلم الا جواباً بقدر السؤال ، وان يحسن الاستماع من الكبير ، قيل : وان يقوم لمن فوقه مطلقاً ويوسع لـه المكان ويجلس بين يديه ويمنع من اللغو والفحش واللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شىء من ذلك ، ويوصيه أن لا يكثر الصراخ والتشفع بأحد بل يصبر اذا ضربه المعلم وان ذلـك دأب المماليك والنسوان وأن الصبر دأب الشجعان والرجال .

قال الغزالى : وينبغى ان يؤذن له بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح اليه بحيث لا يتعب فى اللعب فان منع الصبى من اللعب وارهاقه الى التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب منه الخلاص رأساً .

قلت : وكذا كنت اقول قبل أن أطلع على كلام الغزالى ، وذلك أنى

• • • • • • • • • • • • • •

رأيت بعض الناس يؤدب أولاده تاديباً بليغاً ويلزمهم البيت ، وذكر لى يوماً حالهم في القراءة والدرس فقلت له : لو أنك تسرّحهم يلعبون قليلاً ليستريحوا فيقوى فهمهم ولا يملّوا وذلك أن أصحابنا قالوا : يؤدب الطفل على اللعب مطلقاً رحمهم الله تعالى ، وقد يريد الغزالى اللعب فى الدار والانبساط الى الانتقال فيها وينبغى ان يعلم طاعة معلمه ومؤدبه ومن هو أكبر منه سناً ولو أجنبياً ولا سيما أبواه ، واذا بلغ سن التمييز أمر بالطهارة والصلاة على حد ما مر فى محله ، ويؤمر بصوم بعض رمضان ويعلّم حدود الشرع ، ويخوّف من السرقة والحرام وما لا يجوز ليعتاد الحق بعد البلوغ ، واذا بلغ او قارب علموه أن الطعام للقوة على العبادة وأن الدنيا تفنى ، وانما هى للعبادة والكيّس العاقل يتزود منها للآخرة فتعظم درجته عند الله ويتسع له النعيم فى الآخرة ٠

قال سهل التسترى : كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل وانظر الى صلاة خالى محمد بن سوار فقال لى يوماً : الا تذكر الله الذى خلقك ؟ فقلت : كيف اذكره ؟ قال : [قل] بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معى الله ناظر الى الله شاهدى ؛ فقلت ذلك ليالى ثم أعلمته ، فقال : قل فى كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال : قل فى كل ليلة احدى عشرة مرة فقلته فوقع فى قلبى حلاوته فلما كان بعد سنة قال لى خالى : احفظ ما علمتك ودُم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة فى سرى ، قال لى خالى يوماً : يا سهل من كان الله معه وناظراً اليه وشاهده فكيف يعصيه ؟ اياك والمعصية ؛ فكنت اخلو بنفسى فبعثوا بى الى المكتب فقلت : انى لأخشى أن يتفرق علىّ همّى ولكن شارط المعم أن اذهب اليه ساعة واعود فحفظت القرآن وانا ابن ست سنين ، وكنت أصوم الدهر وقُوتى

ويحــرر بهــا عبْد كمــا مر . . . .

من خبز الشعير اثنتى عشره سنة فوقعت لى مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثوا بى الى اهل البصرة لأسأل عنها فسألت علماءها فلم يشفونى ، فخرجت الى عبادان لرجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن عبد الله فأجابنى فأقمت عنده مدة انتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ، ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتى اقتصاداً على أن يشترى لى بدرهم الفرق من الشعير فيطحن ويخبز فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بلا ملح ولا ادام ، فكان يكفينى الدرهم سنة ، ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم خمساً ثم سبعاً ثم خمساً وعشرين ، وكنت على ذلك عشرين سنة ، ثم خرجت أسيح فى الأرض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله ما شــاء الله تعالى .

(ويحرر بها) أى : بالمثلة (عبد) أو أمة (كما مر) فى قوله من كتاب الديات : باب يقتل جــان بكسيف الخ ، وقيل : لا يحرر بهــا وفى « المنهاج » : سئل بعض الفقهاء عن رجل مثّل بعبده مثلة عتق بها هل يلزم السيد ارشها ؟ قال : ارش له أى لأنه قد عوض العتق الا ان ازداد فيلزمه ما ازداد فلو ازداد حتى مات لزمته دية الحر ، وقد أطلت الكلام على المثلة فى شرح بعض دعائم ابن النظر رحمه الله .

قال ابن وصّاف : ومن مثّل بعبده فقطع أذنه أو خرم أنفه عتق ، قال رسول الله ﷺ : « من مثل بعبده عتق عليه » ، قال هاشم : من ضرب عبده بشعلة نار عتق ، وقال الأزهر وموسى : حتى تؤثر فيه النار ، قال مجبر : من قطع اذن غلامه أو انفه أو فقأ عينه أو قطع يده أو ما أشبه ذلك فما أرى غلامه الا حراً ، قال : ومن اتهم غلامه بسرقة فسخّن سكيناً فى النار ثم وضعها على لسانه أو أمر من فعل ذلك فاذا أثرت النار فى لسانه شيئاً أو تغير كلامه بذلك ولم تؤثر فيه فانى أراه يعتق بذلك ، ومن كوى

عبده برأى العبد لعلة فجائز ، فان كواه بلا سبب ففيه اختلاف ، قـال بعضهم : اذا اثرت فيه النار عتق ، وقال بعضهم : لا يعتق الا أن ينقص من قيمته الثلث ، قال : ومن حلق راس جاريته فانم ينهى عن ذلك فان هذا مثلة أى كالمثلة أو أنه مثلة فى الحرة ولا تترك فى يده ولكن تباع من غيره ويعطى ثمنها ، قال أبو عبد الله : ان كانت من ذوات الشعر فانها تعتق عليه اذا لم ينبت ، وان نبت فقد أساء ويستغفر ربه .

قال : وعندى أن المـدة فى ذلك سنة فان لم ينبت الى سنة عتقت ، قال : وما فعل بها غلطاً لا تعتق به ، وانما تعتق اذا فعل مولاها بها على التعدى ، قال : ومن باشر امته وهى حائض فلا أراها تعتق ولكن محرم عليه وطئها ، ومن نكح عبده لم يعتق عليه بذلك ، وفى « المنهاج » ما يفيد أن المثلة بعمد يقع بها العتق ولو قلّت ، وان كانت خطأ وقع بها ان بلغت الدية الكاملة ، قال : قيل له : فما المثلة التى يعتق بها العبد ؟ قال : اما على العمد فلو قطع له انملة واحدة أو راجبة فانه يعتق بها ، وامـا على الخطأ فحتى يمثل به ما تجتمع فيه الدية مثل اليدين أو الرجلين أو العينين أو الأنف أو اليد والرجل وما اشبه ذلك .

قال : قال أبو الحوارى رحمه الله : من خصى عبده أو جبّه فقد عتق ، قال ، وذكر ان امرأة أمرت بضرب غلام لها فاخطأ الضارب فاعْور عينه فسئل محبوب عن ذلك فقال : انه لا يعتق لأن ذلك خطأ ، والذى نحفظ من قول المسلمين : ان من مثّل بغلامه فاعْور له عيناً او قطع أذناً او أنملة عمداً فانه يعتق ، ومن فعل ذلك خطأ فانه لا يعتق الا ان مثل به مثلة تجمع فيها الدية فانه يعتق ، وذلك مثل أن يقطع أذنيه أو أنفه أو شيئاً من جوارحه التى تتم فيها الدية فى الحر فان فعل ذلك عمْداً أو خطأ عتق العبد (**وهلك بها فاعلها**) عمداً بحرّ أو عبد له أو لغيره ، (**وضمن**)

ان في حق غيره وان أخرجه غير متأهل لاخراجه فاما ان يلام باللسان فقط كمن لا يقصد به من الجماعة لوجـود أفضل منه بلا ضرورة الجاته اليه ، أو يهـاجر . . . .

أرش المثلة مخرج الحق ، فان وقعت لامتناعه أو اضطرابه فلا ارش له ، و (**ان في**) اخراج (**حق غيره**) مثل ان يخرج الحق من ولده وهو حق لنفسه أو على ما مر من جواز ان يخرج الحق لنفسه اذا كان لا يتعدى ، وكذا من مثل بميت ولو مشركاً غير كتابى أو كتابياً محارباً أو باغياً لزمه ارشها لوارثه وكذا كل ما فعل به من جرح وكسر وغيره ، وتقدم الخلاف في قدر أرش الميت ، وذلك ان الميت لا سبيل الى قتاله لأنه غير مكلف حينئذ الا بما فعل في حياته فلا أمر عليه حينئذ ولا نهى ولا زجْر ولا يؤثر فيـه النهى ، ويضمن كل ما اخطأ به ولا يضمن ما قام ممن يخرج الحق منه من تحرك او نحوه ، (**وان أخرجه**) أى الحق كضرب أو حبس (**غير متأهل لاخراجه فاما ان يلام باللسان فقط**) لئلا يعود الى مثله ولئلا يفعل غيره مثل ذلك فتفسد الأحكام ويقع التنافس مثل ان يقال : لا يسوغ لك ذلك أو يقال من أين لك ذلك ؟ أو يقال كأنك تترأس ، (**كمن لا يقصد به**) أى باخراج الحق (**من الجماعة**) أى كمن يكون من الجماعة جماعة المسلمين لكن لم يجعلوه لاخراج الحق ولا يقصدونه بالطلب أن يخرجه من الناس (**لوجود افضل منه**) او مساويه لكن قد عين للاخراج غيره الذى يساويه وكذا لو لم يكن الا من دونه ولكن قد عيّنوا للاخراج غيره لأن تعيين غيره كالحجر عليه (**بلا ضرورة ألجاته اليه**) أى الى اخراج مثل ان لا يوجـد هناك من يخرجه سواه ، او أن يضعف غيره لمرض أو غيره أو لو أخرجه غيره لقامت فتنة أو تولد ضر أو قامت البينة عنده فقط أو عنده ومن دونه أو كان من هـو افضل صاحب الحق فلا يخرج حقه بنفسه وما اشبه ذلك فأخرجه قصـداً لمجرد انفاق الحق لا انتقاماً ولا رياسـة (**أو يهـاجر**)

كمـن يقصـــد به ولـــكن الجـاه النزاع والخلاف ، فان أخرجه وحـده فهو أحق بالهجران ولو تأهل لاخراجه ويهاجر ويلام ويؤدّب بقدر النظر باخراجه من الجماعة أو بحبس أو ضرب ان تعمّده بعد حجْر ومنع منه .

ويلام أو يهاجر فقط عديل لقوله اما ان يلام (**كمن يقصد به**) اى يدعى الى أن يخرج الحق من غيره لكونه اهْلاً لذلك (**ولكن الجاه**) الى اخراج الحق (**النزاع والخلاف**) مثل أن تتنازع الجماعة : هل نخرجه أو لا ؟ فيخرجه ، أو يختلفوا هل يؤخرونه فيعجل به ، أو هل يضرب بكذا أو عدد كذا أو فى كذا ؟ فيبادره بما أراد هو أو المضروب ، أو كل يقول : انا اضربه فيعاجل بالضرب او ينتظروا زيادة التثبت فلم ينتظر (**فان اخرجه وحده**) قبل وقوع النزاع (**فهو احق بالهجران ولو تأهل لاخراجه**) وكذا الذى أخرج منه يهاجرونه ان طاوع ، ويهاجر هو من أخرجه منه طاوع ، أو لم يطاوع ، وقد مر فى أحاديث أنه لا يولى فى العمل من اراده وطلبه (**ويهاجر ويلام**) باللسان وقوله : ويهاجر الخ عائد الى قوله بعد حجر ومنع (**ويؤدب بقدر النظر**) أى على قدر ما يليق به وبمرتبته وعظم ما إقدم عليه من الاخراج (**باخراجه**) متعلق بيؤدب وتعلقت فيه باءان لأن الأولى بمعنى على أو يجعل باخراجه بدلاً من بقدر النظر وهاء اخراجه عائدة الى الذى يهاجر ويلام ويؤدب (**من الجماعة**) الى جماعة دونها أو الى العامة ، (**او**) يؤدب (**بحبس أو ضرب**) على قدر النظر (**ان تعمده**) اى تعمد اخراج الحـق ممن وجب (**بعد حجر ومنع منه**) أى من اخراجه منه مطلقاً أو حجْر عليه خصوصاً أو حجر الى وقت كذا ، أو الا بكذا ، أو فى كذا ، أو عدد كذا ، أو تعيين مخرج أو نحو ذلك فخالف بالاخراج .

ولا ضمان عليه ولا اعــادة اخراج ويعزّر من لم يكن من الجمــاعة ان تعمــده وقصــد مخالفتها وفى اعادته ولزوم الضمــان خــلاف . . .

(**ولا ضمان عليه ولا اعادة اخراج**) على الجماعة أو غيرهــا بل يكتفون بما أخرجه ذلك الرجل لانه من الجماعة ولو خالفها بذلك أو خالف امامها ، والذى وجب فيه الحق بمنزلة الجماعة المذكورة ان اتفق معهم على الحجر والمنع ، فانه يهاجر من أخرج منه الحق على الحجر كما فعلت الجماعة من هجرانه ولو طاوع فى الاخراج منــه لأن معصيته بالمطاوعة لا تبيح له مخالفة المسلمين فى هجرانهم الذى أخرج منه الحق ، واذا طاوع هاجروه هو ايضاً وادبوه كذلك بحبس أو ضرب (**ويعزر من لم يكن من الجماعة**) بل من اهل الدنيا أو بمنزلتهم لأن ذلك تعدية (**ان تعمده**) أى ارتكب اخراج الحق ممن وجب فيه بضرب أو حبس (**وقصد مخالفتها**) أى مخالفة الجماعة أو الامام أو القاضى أو نحو ذلك (**وفى اعادته**) أى اعادة اخراجه أى اعادة الجماعة أو القاضى والامام أو نحوه اخراج الحق من أخرجوه منه (**ولزوم الضمان**) أى لزوم أرش الضرب أو ما وقع ووجوبه على هؤلاء الذين أخرجوه (**خلاف**) .

وفى « الديوان » : واذا وجب الحق على رجل فأخذه الأشرار فضربوه أقل مما وجب عليه أو مقداره أو أكثر منه فلينظر المسلمون فى ذلك ، فان رأوا أن يأخذوا منه الحق أخذوه ولا يشتغلوا بفعل الأشرار فى ذلك وليؤدبوهم على ذلك ، وكذلك ان ضربه العبيد أو النســاء أو الأطفــال فليخرجوا منه الحق ولا يشتغلوا بهم وليؤدبوهم على ذلك وقد مــر كلام فى الأحكام ولا يقعد أحد الى من يخرج منه الحق حتى يســألهم عمــا يضربونه عليه فان قال الأمينان : انما يضربونه على فعــل كــذا وكــذا مما يوجب الضرب فليقعد اليهم ، وكذلك ان لــم يكن فيهم الأمنــاء فلا

ولزمته دية ان أتلف به نفساً لا قود وينكل كمانع أو قاطع ان أخرج حقاً ممن وجب فيه دون قاض بكضرب أو حبس ويعاد ، وهلك وضمن ولو غاب من تاهل للاخراج •

يقعد اليهم ، وقيل : ان كان الامناء فيهم فليقعد ولا يحتاج الى سؤال ، وان أمروه بضرب رجل فلا يضربه حتى يعلم أنه فعل ما يوجب الضرب الا ان كان امام المسلمين فانه يفعل ما يأمره به من ذلك ، ومر كلام فى ذلك •

(**ولزمته دية ان أتلف به**) أى بالاخراج (**نفساً لا قود وينكل كمانع أو قاطع**) الكاف نائب فاعل ينكل أى : ينكل مثل مانع الحق أو قاطع الطريق والباغى (**ان أخرج حقاً ممن وجب فيه دون قاض**) أو امام أو جماعة أو نحو ذلك ، (**بكضرب**) متعلق باخرج (**أو حبس ويعاد**) اخراجه (**وهلك**) مخرجه المذكور (**وضمن**) ما وقع من اخراجه من جرح أو غيره (**ولو غاب من تاهل للاخراج**) وهلك الذى فعل ما يوجب الاخراج ان ترك نفسه لاخراج المانع ونحوه الحق منه فان حضر فالذى أخرجه احق بالنكال والهلاك والضمان ، وذلك أن من وجب عليه الحق لا يخرج الحق من غيره اذا وجب فيه ، وأما النهى عن المنكر فلا يحط عنه على قدر طاقته ما صح عقله ، وكذا الامر بالمعروف ولو كان يأتى ذلك المنكر ويترك ذلك المعروف ، قال فى « القناطر » : وأما العدالة فاعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب بالأمر والنهى وربما استدلوا بالآيات والأخبار الواردة فى الانكار على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم (١) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كَبرَ مقتاً عند الله ان تقولوا

---

(١) سورة البقرة : ٤٤ •

. . . .

ما لا تفعلون (١) ﴾ ، وبما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم ؟ قالوا : كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه (٢) » ، وبما روى أن الله تعالى أوحى الى عيسى ابن مريم : « عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى » .

وربما استدلوا من طريق القياس أن تقويم الغير فرع الاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح فى نفسه فكيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ قال : وكل ما ذكروه خيالات ، والحق أن على الفاسق ان يأمر وينهى اذ لا يشترط فى الامر والنهى العصمة عن المعاصى كلها ، فمن زعم أنه لا يجوز لأحد أن يأمر وينهى حتى يكون معصوماً فقد خرق الاجماع وحسم باب الأمر والنهى اذ لا عصمة للصحابة فضلا عن غيرهم ، والأنبياء قد اختلفوا فى عصمتهم من الصغائر والقرآن دل على نسبة الأنبياء الى المعصية والظلم لأنفسهم ، وعن سعيد بن جبير : ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لم يكن فيه شىء لم يأمر أحد بشىء ولم ينه عن شىء ، وقد روى عن رسول الله ﷺ : « مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله ، وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله (٣) » ، قال : والتحقيق فى هذا أن الاحتساب تارة يكون بالوعظ ولا ينفع وعظ من لا يتعظ عند من علم ذلك منه ، ويكون الاحتساب تارة بالقهر والمنع فلا حجر على فاسق فى اراقة الخمر

---

(١) سورة الصف : ٣ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

وكسر الملاهى وغيرها اذا قدر على ذلك ، وكذلك اغاثة المظلوم وقمع الظالم وغير ذلك من المنكر .

قلت : وكذا آثار التناصح بين المسلمين فان أخاك المسلم يرى عيبك وترى عيبه فينصح كل منهما الآخر فدل أنه لا يسقط النهى عن العاصى ، قال : وأما الآيات والأخبار التى استدلوا بها فانكار عليهم من حيث تركهم المعروف وارتكابهم المنكر لا من حيث الأمر والنهى لأن أمرهم ونهيهم دل على قوة علمهم ، وعقاب العالم التارك أشد لأنه لا عذر له مع قوة علمه فالجاهل غير معذور فكيف العالم ، العالم ، وقوله تعالى : ﴿ تقولون ما لا تفعلون (١) ﴾ المراد به الوعد الكاذب ، وقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ انكار من حيث أنهم نسوا أنفسهم لا من حيث أنهم أمروا غيرهم لأن ذلك أدل على علمهم وأقوى فى تأكيد الحجة عليهم ، وقوله : ﴿ يا ابن مريم عظ نفسك ﴾ الحديث هو فى الاحتساب بالوعظ ، وقد سلمنا أن وعظ الفاسق قليل الجدوى ساقط القبول عند من يعرف فسقه ، ثم قوله : والا فاستحى منى لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه : لا تترك مهم نفسك وتشتغل بمهم غيرك ، كما يقال : احفظ أباك ثم أخاك والا فاستحى ا هـ .

ويجب على هؤلاء الذين وجب عليهم الحق أن يدفعوا من قصدهم بظلم بأخذ مال أو قتلهم أو من قصدهم باخراج الحق كما لا يجوز مثل أن يقتلهم بالنار أو يغرقهم أو يمثل بهم سواء قصده بما لا يجوز الامام أو القاضى أو غيرهم من علم أن ذلك لا يجوز أو من لم يعلم ، ولا يعذرون أن يسلموا أنفسهم لمن يفعل فيهم ما لا يجوز ولو جهلوا أنه

(١) سورة الصف : ٣ .

وان أعطى كالمانع حقاً لمن لــه ممن لزمه كالنفقة والديون وما يخــرج من المــال ، لم يضمن ولو لم تبلغ الحاجة الى من له النفقة ولا يخــرجه من هــو فيــه وان لزمــه النهى ودفــاع قاصــده بظلم أو بما لا يجــوز به .

لا يجــوز لأن التسليم مقارفة ، ولا يعذر الجاهل اذا قارف وذلك فى كل ما يدرك بالعلم وأما ما لا يدرك بالعلم فلا بأس عليه فى التسليم بل لا يمنع نفســه عمن أخذه بظاهر الحكم ولو علم هو فى نفســه أنه ليس ذلك عليه ، ولكن لا يعين على نفســه الا ان كان مريــداً أخذه بذلك قد علم أنه لا يجوز ذلك فانه يمنعه مثل أن يعلم أنه لم يطلق أو لم يقتــل أو ليس بعبد أو ليس بزوج فقامت عليه شهادة الزور أو الخطأ بخلاف ما علم .

(**وان أعطى كالمانع**) الكاف فاعل أعطى أى : وان أعطى مثل مانع الحق والقاطع (**حقاً لمن له ممن لزمه**) مما ليس ضرباً أو حبساً أو نحوهما (**كالنفقــة**) للزوجة والولى والعبد ومن متعلق باعطى أى : وان أعطى الحق من مال من عليه الحق بلا اذن منه (**والديــون**) لأصحابها ولــو لم تبلغ اليهم الحاجــة (**وما يخــرج من المــال**) كالبــاس من لزمــه الباس كعبد وزوجة (**لم يضمن ولو لم تبلغ الحاجة الى من له النفقة**) أى : وان لـم يكن من له النفقــة يموت ان لم يعطه أو يصيبه ضر (**ولا يخرجه من هــو فيه**) أى : لا يخــرج الحق من وجب اخراج الحق منه ســواء اتفــق نوع الحق أو اختلف (**وان لزمــه النهى**) عن المنكر والأمــر بالمعروف كما مــر عن القنــاطر (**ودفاع قاصــده بظلم أو**) قاصــده لاخــراج الحــق (**بما لا يجــوز به**) كاحراق وضرب على وجه أو ضرب بحــديد أو ضرب

ولو اماماً أو قاضـياً

حيث لم يرد الأثر بالضرب فيه من الجسـد (ولو اماما أو قاضياً) بـأن يقصد الى فعل ذلك لجهل أو تعمد عصيان أو أراد الامام الجائر والقاضى الجـائر والله أعلم ٠

فصـــل

لا يجـوز حكم امرأة وطفـل وعبـد وان فى كنفقة ودين لمـن له ذلك ولا تباعـة لـه وزال عمن لزمـه وسـقط . . . .

فصـــل

(**لا يجوز حكم امرأة وطفل وعبد**) ومجنون ومشرك (**وان فى كنفقة ودين لمـن له ذلك**) المذكـور من النفقة والدين ونحوهما (**ولا تباعة له**) أى : لمن لـه ذلك المذكـور أى : ولا تبـاعة لازمة له فى أخـذ ما أخـذه بتقبيض الطفل أو المرأة أو غيرهما ممن لا يجـوز حكمه ، فاذا أخـذوا لـه حقه وأعطوه اياه أو قهروا من عليه الحق فاعطى فليأخذه ولا بأس عليه ، ويجـوز كون اللام بمعنى على أى : لا تباعة عليـه بأخـذ حقـه بحـكم الطفل ونحوه ، ويجوز أن يكون المعنى أن ذمة من عليه الحـق قد برئت حين أعطى بحكم الطفل ونحوه ولا تباعة لمن له الحق عليـه ، ثم ظهر لى أنه قد قال : (**وزال**) الحق (**عمن لزمه وسـقط**) فبطـل الوجـه الثالث ، وانمـا كتبته قبـل أن أطلع على أن المصنف رحمه الله قـد ذكره بهذا الكلام الا أنه من الجـائز أن يصح الوجـه الثالث فيكون

ولا يشـهد بحكمهم لذى الحـق ولا يدفعهم من قصـدوه به ولا يلزمـه بـه ما لـم يلزمـه قبـل ، ولزمـه دفعـه لصاحبه . . . . .

قد ذكر براءة ذمة من عليه الحق ثلاث مرات بقـوله : ولا تباعة له أى لا تباعة له على من لزمه وبقوله : وزال عمن لزمه ، وبقوله : وسقط .

(**ولا يشهد**) بالبناء للمفعول (**بحكمهم لذى الحق**) أى : لا يشهد الشـهود بأنه قـد حكم الحاكم لفـلان ولا بأنه قد حكم فلان مشيراً الى نحـو الطفل ممن لا يجـوز حكمه ، أو قد حكمت فلانة ، ولا بأنه قـد حكمت المرأة أو الطفل أو المجنـون أو نحـو ذلك ، اذ لا حـكم صحيح ألا أنه لا اثم عليهم ان شهدوا وذكروا أسماءهم بحيث يعلم السامع أنهـم ممن لا يجـوز حكمهم ، أو ذكرهم باسم المـرأة أو الطفـل ونحوهما ، وكذلك لا يشهدون أنه قد حكم على من عليه الحـق ولا حكم عليه فلان أو الطفـل أو المجنـون وهكذا ، ولا بأس عليهـم ان قالوا : قد وصـل فلاناً من مـال فلان كـذا وكـذا (**ولا يدفعهم من قصدوه به**) أى : بالحكم قـولاً وزجراً أو انفـاذاً بادخالهم اليـد فى ماله للاعطاء لأن الحق عليـه ولو كانوا ليسـوا أهـلا للحـكم ، مثل أن يقبضـوه أو يجـروه ليدفـع أو للحبس فلْيَـحْـتَـل بالتخلص أو يعط ولا يدفعهم (**ولا يلزمه بـه**) أى بحكمهم (**ما لم يلزمه قبل**) أى قبـل حكمهم ، أى : ان امتنع عنهم وعصاهم أو هرب عنهم أو لم يردّ لهم جـواباً لم يحكم عليـه بالحبس ولا بالضرب ولا يتبع بالضرب ولا يجبر على ردّ الجواب ولا يحكم عليه بشىء مما يحكم به على من امتنع من القاضى أو لم يرد لـه الجـواب ، ولا يبرأ منه وان رآهم يفعلون ما لا يجـوز فى ماله أو ما ليس عليـه فله دفعهم ، وان لم يكن عليه الحـق فله دفعهم ، وكلام المصنف انما هـو فيمن عليه الحق سواء علم هؤلاء به فقط أو علموا هم وغيرهم .

(**ولزمه دفعه لصاحبه**) بلا حكم من هؤلاء ، واللائق أن يقول لهم :

وان حجر على مطلوبه أو حرم عليــه ما هو له ولـم يعطه له ، أو هــو قادر على اعطــائه ماله . . . .

قد قبلت الحق فاذهبوا فانا أوصل الحق لصاحبه ، أو يعطيه للمرأة أو من لــه استخدامه ويوصله ، ولو أجبره القاضى أو الامام أن يعطيه ليوصــل لصاحبه لزمه أن يعطيه وكذا الجمــاعة ولا يعطيه صاحبه ، وان أعطــاه وقد قالوا له : أعطنــا بايدينــا برىء وانما يلى القضــاء الامام أو من يوليــه الامام أو نحــوه ، وفى « الديوان » : وانما يولى القضــاء امــام المسلمين أو من أذنَ له الامام ، وان جعله أحــد بغير اذن الامــام فلا يجوز الا ان جوزه الامام ، وان لم يكن الامــام فالجماعة ولا يجعــله واحــد منهم بلا اذن منهــم الا ان وكلوه على ذلك ، وليس للنســاء ولا للعبيد ولا للمشركين ولا لأهل الكبــائر من أهــل الدعــوة والمخالفين أن يولوا قاضــياً منهم ولا من غيرهم ، وليس للأطفال والمجانين من أمر القضــاء شىء ، ولا يولوا القضــاء للمــرأة ، ولا للمشركين ، وقــد نهى النبى ﷺ عن ذلك ، وكذلك العبد والطفل والمجنون والمحدود فى القذف والشاهد بالزور ، ومر الكلام على هذا الشأن فى كتاب الأحكام ، **(وان حجــر)** صاحب الحق الطالب له **(على مطلوبه)** وهو من عليه الحق **(أو حرم عليه)** وقوله **(ما هو له)** حجر عليه أو حرم أن يمكث بلا قضاء لحقه ولفظ ما تنازعه حجْر وحرم و « ما » واقعة على الحق أى : وان منع صاحب الحق ما هو له من الحق أن يبقى عند الذى هو عليه أو حرم صاحب الحق على من عليه الحق ما هو له من الحق أن يبقى عنده ، فقدّر البدل كما رأيت بناء على جواز حذفه ، أو قدّر المضاف أى : بقاء ما هو له فعلى اعمال الأول يقدر أو حرمه عليه ، وعلى اعمال الثانى يقدر وان حجره **(ولم يعطه له)** ضمن يعط معنى يناول فعدّاه باللام أو زاد اللام فى المفعول الثانى شذوذاً **(أو هو قادر على اعطائه ماله)** أو حقه مما هــو غير نفس المــال بــل

عصى ، وقيــل : هلك وان لم يحجر عليــه فعلى حــاله الأول من توسيع او تضييق ، فلزوم الفقير حــرام ومطل الغنى ظلم ، وان قتــل بــاغ أو قاطع بحميــة فهــل يقتل أو تلزم بــه ديتــه . . . . . .

منفعة كالطريق والحريم ، أو قصاص او جلب زوجــة او غير ذلك من كل حق (**عصى**) بهذا الامتناع عصياناً صغيراً ، او لا يدرى صغير عند الله أم كبير ؟ سواء حق بالمعاملة أو التعدية او بالأمانة الا أنه ان كان بالتعدية أو بالربا او الوجه المحرم فقد تقدم الهلاك قبل هذا العصيان (**وقيل : هلك**) وهو الصحيح ، ومطل الغنى ظلم ، كما أن لزوم الفقير حرام ، وتقدمت ابحاث هذا الشأن فى البيوع ، فان لم يقدر على الاعطاء فلا يعص بعــدم الاعطاء ان اقر واذعن ولو سبق له كفر بتعدية مثلاً (**وان لم يحجر عليه فعلى حاله الأول من توسيع**) لفقير (**او تضييق**) على غنى ان كفر أولاً فعلى كفره حتى يتوب أو عصى فعلى عصيانه حتى يتوب ، وان لم يكفر ولم يعص اولاً فــلا عليه كالأمانة الحلال والبيع الحلال ، وان لم يطالبه وهو قادر واخّر القضاء لم يأثم ولم يسمّ مماطلا ، وقيل : يأثم ان أخّر وكان قادراً (**فلزوم الفقير حرام ومطل الغنى ظلم**) كما مر فى البيــوع (**وان قتل**) بالبناء للمفعول (**باغ**) أو مانع حق (**او قاطع**) للطريق أو كل من حل دمه ممن يتكافا دمه ودم قاتله (**بحمية**) أو فتنة لا انفاذاً لحق الله أو لها ولا انفاذ الحق (**فهل يقتل**) قاتله به ؟ وهو الصحيح ، لأن ذلك تعدية لا انفاذ لحق الله ، ولو قصد طرفاً منه لبطلان هــذا الطرف : ﴿ الا لله الدّينُ الخالص ﴾ (١) وهلك وان شاء الورثة فالدية (**او تلزم به**) اى : بقتله قاتله (**ديتــه**) ولا يجوز قتله فيه لأنه متاهل للقتل ببغيه أو قطعه فــلا يتكافا دمه ولو لزمت به الدية أو نحو ذلك ، وعصى

---

(١) ســورة الزمر : ٣ .

أو لا دية ولا قـــود ولزم الهـلاك ؟ خـلاف • • • • • •

القاتل بحمية او فتنة بل هلك (أو لا دية ولا قود و) لكن (لزم الهلاك ؟) القاتل لحمية أو فتنة أو اجماعاً (خلاف) وكذا فما دون القتل فما فيـه قصاص ، قيل : يقتص أو يأخذ الأرش ، وقيل : له الأرش فقط ، وقيل : لا عليه الا الهلاك وذلك فيمن حل قتله وفعل فيه ذلك حمية أو فتنة ، وكذا ان حل له شيء دون القتل ففعله بحمية أو فتنة واذا لم يتكافأ دمه ودم الفاعل فى القولان دون قول القتل والقصاص ، واذا فعل الانسان فعلاً يجوز له فى الشرع ونوى به ما لا يجوز شرعاً عصى ان لم يكن كبيرة ، وكفر ان كان كبيرة لنيته كما فى قتله البغاة فانه جائز ، فاذا قصد بقتلهم مجرد اخذ أموالهم أو الحمية مع فرقة أخرى من اصدقائه هو وهم اعداء هؤلاء الذين قتلهم فذلك حرام عليه وكفر به ، وكذا اذا قصد ما يجوز وما لا يجـوز وعليه ضمان الدية ولا يقتل ، وقيل : يعطى الدية أو يقتل ، وقيل : لا دية ولا قتل ولكن عليه الكفر ، وكذا كفر على القولين الأولين ، وكذا الطاعن ومانع الحق ، واما المرتد أو المشرك ان قصد بقتله ما لا يجوز كأخذ المـال أو الحمية وقد كان ذلك المشرك حلال الدم فانه يهلك ولزمته الدية ، وقيل : لا تلزمه ، وأما القتل فلا يقتل به لأن دميْهما لا يتكافآن ، وكذا لو قتل عبداً حلالاً دمه وقصد بقتله ما لا يجوز فانه يهلك ولزمته قيمته ، وقيل : لا تلزمه ، وأما القتل فلا يقتل به ، وذلك أن لا يقتل موحد بمشرك ولا حر بعبد ، وحكم ما دون القتل كحكم القتل ، يهلك به ، ولزم الأرش ، وقيل : لا يلزم ولا يقتص ، وأما قاتل النفس اذا قتله ولى المقتول على الحمية أو ما لا يجوز كأخذ ماله فليس على الولى القاتل له قتل ، ولا دية ، وعصى فى قول ، وكفر فى آخر •

ومن قتل من ذكرناه من البغاة والطاعن ونحوهما ولم يعلم أنه يحل

* * * * * * * * * * * * * *

قتله شرعاً وانما الحامل له على قتله الحمية أو اخذ ماله أو مرتبته أو نحو ذلك فأشد ذنباً وهلاكاً ممن قتله عالماً بحل قتله شرعاً وحمله على قتله الحمية أو نحوها مما لا يجوز واشد لزوماً للضمان ، واذا قتل شخص شخصاً متعمداً ثم علم بعد ذلك أنه قاتل وليه أو مرتد أو نحوه ممن يحل قتله فلا قتل عليه ولا دية ولكن عليه الهلاك لنيته اذ تقدم بلا موجب بعلمه ، وكذا ما دون القتل ، وان لم يعلم بعد ذلك فقد وجب عليه أن يقيد نفسه لأوليائه أن يقتلوه ويتوب ، وان لم يفعل هلك فيما بينه وبين الله ولا يعذر بكونه فى نفس الأمر يحل قتله لأنه مكلف بالظاهر ، والذى ظهر له ويقى عليه حتى مات أنه قتله كما لا يحل ، وقيل : لا شىء عليه عند الله اذا وافق ، علم بعد ذلك أو لم يعلم ، الا ذنب نواه ، وكذا فى الأموال والفروج اذا وافق ما حل له عند العلماء لكنه تقدم جهلا أو قصد المعصية ، وفى « الضياء »: من وطىء امرأته وهو يرى انها غير امرأته يريد الزنى أو صلى فى ثوب طاهر يرى أنه نجس ، أو شرب حلالاً ويراه خمراً ، أو قتل رجلا عمداً بلا حق ثم يصح أنه قتل وليه ، أو سار الى الجيش مع جيش آخر يريد قتالهم ويرى أن جيشه باغون ، أو أخذ شيئاً بسرقة وهو له ولا يعلمه له ، أو سرق صبياً ليبيعه يراه حراً فاذا هو مملوكه ، فكل ما علم انه له بعد ما فعل بلا علم عليه فيه التوبة والاستغفار ولا ضمان ، وان مات ولم يتب تركت ولايته .

قلت : وقيل : يبرأ منه حين فعل وان قصد ما يحل له فوافق ما لا يحل فان كان مما يجوز له التقدم اليه فلا يعصى وعليه الغرم مثل أن يجد طعاماً فى منزله وظن انه له فأكله فتبين انه لغيره فلا اثم عليه وعليه الضمان لصاحبه بمثله أو قيمته ، ومن دخل داره فوجد امرأة نائمة على فراشه فظنها زوجته فوطئها ثم علم أنها غير زوجته لزمه صداقها الا ان علمت وأذعنت له ، فان ولدت لستة أشهر أو تحرك لأربعة من يوم وطئها ولم يعلم فيها قبله ،

* * * * * * * * * * * * * *

فان كان لها زوج قد دخل بها قبله فان الولد مشترك بينهما ، لأن الوطء لم يكن على حرام ، والوطء الذى يدرأ فيه الحد يلحق فيه الولد ، وقيل : هو للزوج لأن الفراش له ، وان لم يدخل بها الزوج فالولد للواطىء الا ان اتت به من وطئه بعد ستة أشهر ، ولا يطأها الزوج حتى تنقضى عدتها بوضع حملها ان حملت ، وان قصد ما يحل له فوافق ما لا يحل له وكان مما لا يجوز له التقدم اليه عصى ولزمه الضمان ، مثل أن يجد طعاما فى موضع غير ملكه او فى ملكه الذى لم يحصن فياكله ، ويجوز التقدم الى كل ما قعد فيه أو سلّطه عليه من قعد فيه بقول الأمناء : انه قعد فيها ثلاث سنين ، أو بالمشاهدة له فيها ولو لم يعمرها أو عرفها له بالحيازة أو بالارث أو وجه ملك ، ورخص بأمين واحد ، وتقدم كلام فى النفقات ، فاذا استحق من يده ضمن ما أكل أو ضمن من أكل من يده ، ويجوز التقدم الى ما لا ينسب لأحد كصيد البرّ والبحر مثل أن يجد سمكة حيث عاز الماء فياكلها ثم يتبين صاحبها فلا اثم ، ويضمن له ، وتقدم كلام على الصيد ، لما هو ملك لغيره فى الذبائح ، وكنبات الأرض مما لا ينسب لأحد كحشيش البرارى ، وتقدم الكلام على هذا أو نحوه فى الهبات ، والله أعلم .

بـــاب

. . . .

بـــاب
فى اللمز والهمز والغمز والمداهنة والمداراة

اللمز : ذكر الانسان بما يعاب به ، وفسره المصنف بانه اظهار فعل الخ ، ويأتى قريباً ويطلق على الاشارة بالعين ، والهمز : أن يعيبه باليد ، وقيل : اللمز ان يعيبه فى حضرته والهمز فى غيبته ، والرمز : الاشارة والايماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين او الفم أو اليد أو اللسان ، والغمز : أن ينخسه بيده أو يطعن فيه بها ، وأن يشير بالعين والجفن والحاجب . وفى « السؤالات » : الرمز بالراس والغمز بالعينين واللمز باللسان والهمز باليد والوكز بالأصابع وكلها كبائر قد أعدّ الله عليها فى القرآن النار ، غير الرمز بالراس أى اذ ذكر مجرداً عن الوعيد فى قوله تعالى : ﴿ الا رمزاً ﴾ (١) وكلها غير سائغة ولو فى الحلال فيما ذكر عيسى بن سجميمان عن أبى العباس رحمه الله ، وقيل لأعرابى : أتهمز الفارة ؟ يعنى السائل اتهمز ألف الفارة ؟ فقال الأعرابى : السنور يهمزها ويعنى أن السنور يخطفها

---

(١) سورة آل عمران : ٤١ .

ذم اللمز والهمز والغمز ، فاللمز باللسان : اظهار فعل لمن جهله على ارادة التنقيص . . . .

بيده ، ويقال : وكزه ضربه ودفعه ووكزه ضربه بجمْع يده ، ويقال : ضربه بجمعها على ذقنه ، وفى « الكشاف » : الوكز الدفع بأطراف الأصابع ، وقيل : بجمع الكف .

(**ذُم اللمز والهمز والغمز**) قال الله تعالى : ﴿ ويل لكل همزة ﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿ ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مرّوا بهم يتغامزون ﴾ (٢) ، وقال الله تعالى : ﴿ ولا تلمزوا انفسكم ﴾ (٣) ، وقال الله تعالى : ﴿ الذين يلمزون المطّوعين ﴾ (٤) (**فاللمز باللسان**) قيده باللسان لأنه قد يكون بالعين وكلاهما سواء فى النهى فهو متعلق باللمز ، وقال صاحب الأصل رحمه الله : لا يكون اللمز الا باللسان فالمناسب له أن يجعل باللسان خبراً أول ، وقوله اظهار خبراً ثانياً (**اظهار فعل**) أو قول ولعله أراد بالفعل ما يشمله ، ومعنى اظهاره بلسانه ذكره ولو فى غير المتولى اذا كان ذلك مما لا يعنى (**لمن جهله على ارادة التنقيص**) والأولى اسقاط قوله باللسان وقوله لمن جهله فيشمل اللمز بالعين والاظهار لمن لم يجهله لتدخل اليه تنقيصه أو تذكره تنقيصه أو ليعلم انك عالم بما ينقصه ومعنى الاظهار لمن لم يجهله التصريح به ضده أو الرمز بعينه وهذا كما يقال : اخبر عمرو زيداً بكذا مع أن زيداً عالم به قبل الاخبار ومع علم عمرو بعلم زيد به وعلم المتكلم بعلم زيد ، وفى معنى الاظهار باللسان ايضاً : الاظهار باليد أو غيرها او بادامة النظر اليه قصداً

---

(١) سورة الهمزة : ١ .

(٢) سورة المطففين : ٣٠

(٣) سورة الحجرات : ١١ .

(٤) سورة التوبة : ٧٩ .

وان بجميل بنسبة فاعله لرئاء ، ويحاذر من همز بيد وغمز بعين ورمـز برأس أو حاجب ، وان فى مبـاح ولا عصيان بـه ، . . . .

حتى يعلم به من يراك تديم النظر ، وان تجىء بأحد حتى يراه يفعل أو يقول (**وان بجميل بنسبة فاعله لرئاء**) أو الشهرة او بطاعة فيهـا خلل لتقنيصه بذلك الخلل (**ويحاذر من همْز**) وقوله (**بيد**) بيان وايضاح لمورد الهمز لا احتراز ، وكذا فى قوله : (**وغمز بعين ورمز برأس أو حاجب وان فى مباح ولا عصيان به**) أى : بمباح فعل بيد اشارة أو بعين او برأس أو حاجب ، أو الهاء عائدة الى احد ما ذكر اى أيـًا ما فعل من همز أو غمز أو رمز فلا عصيان به فهن فى المباح غير سائغة لكن لا عصيان بهن فى المباح ، ومعنى كونهن غير سائغات انهن مكروهات لا ينبغين وكذا فى الطاعة ، فقد سئل النبى ﷺ : هلا اشرت الينا بقتل فلان ؟ وقال لهم : « هلا قتلتموه ؟ فقال : ما ينبغى لنبى أن تكون له خائنةُ الأعيُن » ولعله أراد أن لا يعتاد ذلك ولو جاز فى مباح أو طاعة كما اشار لمتنازعين بيده الى القسمة ، وأما تنقيص المتولى والموقوف فيه فكبائر ، وكذا فى المتبرأ منه لا من حيث ما يبرأ منه بل بمباح أو ما لا منع له فيه على ما مر من الكلام فى غيبته ، قال الله تعالى : ﴿ لا يسخر قوم من قوم ﴾ (١) الآية ، وعنه ﷺ : « ان المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال : هلم هلم فيجىء بكربه وغمه ، فاذا جاء أغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل يفتح له الباب فيقال : هلم هلم فما يأتيه » (٢) .

ودخل المراء فى ذلك وهو الطعن فى كلام الغير لاظهار خلل فيه فى

---

(١) سـورة الحجرات : ١١ .

(٢) رواه مسلم .

• • • • • • • • • • • • • •

اللفظ أو المعنى أو فى قصد المتكلم مثل أن تقول : هـذا الكلام حق لكن قصدت به ما لا يجوز اذا أردت تحقيره لا النصح أو الزجر ، قال ﷺ : « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها ، ومن حسّن خلقه بنى له فى أعلاها » (١) ، وعن أم سلمة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ : « ان أول ما عهد الىّ ربى ونهانى عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاةُ الرجل » (٢) ، وعن أبى هريرة عنه ﷺ : « لا يستكمل عبْدٌ حقيقة الايمان حتى يذر المراء ، وان كان محقا » (٣) وعنه ﷺ : « من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله »(٤)؛ وقال الله تعالى : ﴿ ما يلفظُ من قول الا لديه رقيب عتيد ﴾ (٥) ولا تتكلم الا ان ظهر الصلاح فى الكلام ولا تتكلم ان شككت فيه فان الكلام يجر الى حرام أو مكروه غالبا والسلامة لا يعادلها شىء ، ومتى استوى الكلام وتركه فالسنة تركه ، وعنه ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (٦) ، قال أبو موسى : يا رسول الله اىّ المسلمين أفضل ؟ قال : « من سلم الناس من يده ولسانه » (٧) ، وقال عقبة بن عامر : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال :«امسك عليك لسانك وليسك بيتك وابك على خطيئتك»(٨)

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابو داود والترمذى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) سورة ق : ١٨ .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه أبو داود .

(٨) رواه ابو داود .

• • • • • • • • • • • • • •

وعنه ﷺ : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (١) ، وقال قيس بن ساعدة أو أكثم بن صيفي للآخر : كم وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟ قال : أكثر من أن تحصر ، وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها ، قال : ما هى ؟ قال : حفظ اللسان .

قال الشافعى : يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها ، وقال : مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك يلحقك شره ، وأنشدوا :

احفظ لسانك أيها الانسان   لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه   كانت تهاب لقاءه الشجعان

قال على : اذا تم العقل نقص الكلام ، قال أعرابى : رُبّ منطق صدع جمعاً وسكوت شعّب صدعاً ، وقيل : الحكمة عشرة أجزاء تسعة فى الصمت والعاشرة فى العزلة ، وعن ابن عيينة : من حرم الخير فليصمت فان حرمها فالموت خير له ، وقال ﷺ لأبى ذر : « عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان ، وعون على أمر دينك » (٢) وقال حكيم : من نطق فى غير خير فقد لغا ، ومن نظر فى غير اعتبار فقد سها ، ومن سكت فى غير فكر فقد لها ، وقيل : لو قرأت صحيفتك لأغمدت صحيفتك ، ولو رأيت ما فى ميزانك لختمت على لسانك .

وطال صمت يونس عليه السلام بعد خروجه من بطن الحوت فقيل : الا

(١) رواه البيهقى .
(٢) رواه الدارقطنى وابن ماجة .

• • • • • • • • • • • • • •

تتكلم ؟ فقال : الكلام صيّرنى فى بطن الحوت • وقال حكيم وعمر بن عبد العزيز : اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم ، ويقال : من السكوت ما هو أبلغ من الكلام لأن السفيه اذا سكت عنه كان فى اغتمام ، وقيل لرجل : بم سادكم الأحنف ؟ فوالله ما كان باكبركم سناً ولا باكثركم مالاً ؟ فقال : بقوة سلطانه على لسانه ، وقيل : الكلمة أسيرة فى وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار فى وثاقها ، واجتمع أربعة ملوك فقال ملك الفرس : ما ندمت على ما لم أقل مرة وندمت على ما قلت مراراً ، ومثله عن داود عليه السلام ، وقال قيصر : انى على رد ما لم اقل اقدر منى على رد ما قلت ، وقال ملك الصين : ما لم أتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتنى ، وقال ملك الهند : العجب لمن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرّت ، وان لم ترفع لم تنفع •

وجلس بهرام ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فقال : ما احسن حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ لسانه هذا ما هلك ، وقال علىّ : بكثرة الصمت تكون الهيبة ، وقال عمرو بن العاص : الكلام كالدواء ان أقللت منه نفع ، وان أكثرت منه قتل ، وقال لقمان لولده : يا بنى اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك ، يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح : كيف أنتنّ ؟ فيقلن : بخير ان تركتنا ، قال الشاعر :

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى   ان البلاء موكلٌ بالمنطق

وعنه ﷺ : « كيف يدخل أحدكم الجنة مع لسانه ؟ من تكلم فليقل خيراً أو ليصمت ، وان الله تعالى عند لسان كل قائل فليتـّق ربه وليعلم ما يقول »(١)

(١) رواه ابن حبان •

والمداهنة وهى : اخفاء ما وجب اظهاره من قبيح وترك النهى حيث يجب

وكان أعرابى يجالس الشعبى ويكثر الصمت فقال له يوماً : مالك لا تتكلم ؟ قال : أسكت فأسلم وأسمع فاعلم ، ويقال : انصت للجاهل تزدد حلماً وللعالم تزدد علماً ، ويقال لا شىء أولى بطول حبس من لسان يقصر من الصواب ويسرع الى الجواب ، وقال طاوس : لسانى سبع ان أرسلته آكلنى ، ويقال : اذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك ، وقيل لرجل : أطلت سجن لسانك ؟ فقال : انه غير مأمون اذا أطلق ، وقال ﷺ فى بعض خطبه : « أيها الناس ألا أدلكم على أمرين خفيف مؤنتهما عظيم أجرهما لم يلق الله بمثلهما طول الصمت وحسن الخلق » والله أعلم .

(**والمداهنة**) مبتدأ خبره قوله لعن فاعلها (**وهى اخفاء ما وجب اظهاره من قبيح وترك النهى**) برفع ترك عطفاً على اخفاء (**حيث يجب**) النهى ومعنى اخفاء ذلك : ترك التصريح لفاعله بتقبيحه أو تحريمه والسكوت كانه لم يفعله ومعنى اظهاره التصريح لفاعله بتقبيحه أو تحريمه ويجوز تقدير مضاف اى اظهار تقبيحه وخرج اخفاء ما وجب اخفاؤه كالستر على من تاب وعدم التعرض له بما فعل لأنه تاب قبل أن يتعرض له ، والمراد اخفاء تقبيحه عن فاعله بمعنى عدم تقبيحه عليه أو تحريمه فخرج اخفاءه من غير فاعله فانه واجب ان كان ذكره بحيث يكون غيبة أو نميمة وحرام ان كان ذلك القبيح أخذ مال أو قتل نفس أو ضرب أو فعل فى الجسد أو نحو ذلك ، كنكاح فاسد وولاية فاسق أمر الامامة أو ما دونها فانه يجب الاخبار ومباح فى غير ذلك ، وهذا الحد غير جامع لأنه لا يشمل ترك المنع من الفعل مثل أن يقدر على اهراق خمر أو منع ولده أو طفله أو غيره فاقتصر على النهى ، فان ذلك مداهنة ، والجواب انه أراد التعريف على

. . . .

طريق السلف حيث لا يشترطون فيه ان يكون جامعاً مانعاً أو أراد بالنهى : النهى كامل وهو الابطال المطلق بحسب الطاقة والحال فانك اذا نهيت فقد أبطلت العمل المحرم اى أظهرت بطلان جوازه فعل أو لم يفعل ، واذا نهيت وأهرقت أو منعت أو فعلت مثل ذلك فقد ابطلت ، وفى هذا الجواب تكلّف لكن له قرينة تدل له ، وهى قوله : اذا وجب منع الفساد ، وقال السيد : المداهنة أن يرى منكراً ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظاً لجناب مرتكبه او جناب غيره أو لقلة مبالاته بالدين ، وفى « كنز الأسرار » : المداهنة مقابلة الناس بما يحبون من القول ، قال الله تعالى : ﴿ ودّوا لو تُدهنُ فيدهنون ﴾ (١) اى : ودوا لو اثنيت على أحوالهم وعبادتهم ويثنون على أحوالك وعبادتك ، وذلك حرام ، وكذا شكر الظالم على ظلمه والمبتدع على بدعته والمبطل على باطله فان ذلك تكثير للظلم وتقرير له ، وقد تباح المداهنة وذلك اذا اتقى بها شر ظالم اذا شكره بالكلمة الخفيفة فانه ما من أحد الا وفيه صفة شكر ولو أخس الناس ، قال أبو موسى الأشعرى : انا لنتبسم فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم ، وقد تكون المداهنة واجبة وذلك اذا كان يتوصل بها الى دفع المحرم الذى لا يدفع الا بها وتكون مندوبة اذا كانت وسيلة الى مندوب ومكروهة اذا كانت وسيلة الى مكروه .

ويقال : المداهنة بذل الدين لأجل الدنيا والمداراة بذل الدنيا لأجل الدين ، والمداراة حلال ، وقال القسطلانى فى المواهب وشرح الهمزية : المداراة بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا أو هما بخلاف المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا ، وفى « القناطر » : المداراة مامور بها لدفع شر الأشرار وتأليفهم لجز المنافع وكفاية العار وطلب الثار ، قال أبو عبيدة :

---

(١) سورة القلم : ٩ .

* * * * * * * * * * * * * *

لا تكرهوا غوغاءكم فانها مسدة لهياهكم ومطفئة لنيرانكم ، وقال عمرو بن العاص : أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم العار والنار ، ويقال : لا يستقيم على أخلاقهم بوجه يسلم لك معه دينك ، وقد روى عن بعض مخالقة الناس على اخلاقهم بوجه يسلم لك معه دينك ، وقد روى عن بعض الأنبياء أنه قال : « يا رب دلنى على عمل يحبنى به الناس وأسلم فيما بينى وبينك » قال : « خالق الناس على أخلاقهم : أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وأهل الآخرة بأخلاق الآخرة » واذا سقمت المداراة صارت مداهنة والمداهنة ، مداراة الناس على وجه يذهب معه فيه دينك وبعد المداراة لا تثق بعدوك ، وان العداوة اذا استحكمت صارت طبعاً لا تزول ، وانما يدفع بالتآلف اظهارها كالنار يدفع بالماء احراقها ويستفاد بها انضاجها واحراقها بالطبع لا يزول : قال الشاعر :

واذا عجزت عن العدو فداره   وامزح له ان المزاح وفاق
فالنار بالماء الذى هو ضدها   تعطى النضاج وطبعها الاحراق

وقال غيره :

اذا بسط العدو اليك كفاً   ولم تسطع لها دفعاً ومنعا
فقبّلها وعد لها الليالى   فان امكنتها يوماً فقطعا

وتطلق المداراة ايضاً على مطلق دفع ما أراد دفعه أو جلب ما اراد جلبه ، اذ فيه دفع ما يكرهه من عدم ما يجلب كما تراه فى عبارة المصنف بعدو المداراة مهموز الألف بعد الراء لأنه من الدرء بمعنى الدفع ، وكما تكون المداراة بالاعطاء تكون بالأخذ كما يأتى فى كلام المصنف .

(لعن فاعلها اذ وجب منع الفساد والمنكر) قالوا : ان المداهنين تنزل عليهم اللعنة ، وكان حبر من بنى اسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء يعظهم ويذكّرهم بأيام الله فرأى بعض بنيه يوماً وقد غمز بعض النساء فقال له : مهلاً يا بنى فسقط من سريره وانقطع نخاعه وهو الخيط الأبيض الذى فى جوف الفقار وأسقطت امرأته وقتل بنوه فأوحى الله عز وجل الى نبى زمانه أن أخبر فلاناً الحبر أنى لا أخرج من صلبه صديقاً أبداً ما كان من غضبه لى الا ان قال مهلاً يا بنى ، وفى « القناطر » : انه روى عن أبى عائشة أنه قال : دعا الحجاج بفقهاء أهل الكوفة وأهل البصرة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصرى آخر من دخل فقال الحجاج : مرحباً يا أبا سعيد الى الى ، ثم اتى بكرسىّ فجعل الى جنب سريره فجعل الحجاج يذاكرنا اذ ذكرنا علياً فنال منه ونلنا منه مقاربة له وخوفاً من شره ، والحسن ساكت عاضّ على ابهاميه ، فقال له الحجاج : يا أبا سعيد مالى أراك ساكتاً : قال : وما عسيت أن أقول ؛ قال : اخبرنى برأيك فى أبى تراب ، قال : سمعت الله يقول : ﴿ وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ﴾ (١) ﴿ وما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾ (٢) فعلىّ ممن هدى الله من أهل الايمان فأقول : هو ابن عم رسول الله ﷺ وختْنه على ابنته وأحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحصرها عليه ولا يحول بينه وبينها ، ويقال : انه كان لعلى هناةٌ فالله حسيبه ، قال : فسمر وجه الحجاج وتغيّر وقام عن السرير مغضباً فدخل بيتاً خلفه وخرجنا ، قال عامر الشعبى : فأخذت بيد الحسن وقلت اغضبت الأمير وأوغرت صدره ، قال : اليك عنى يا عامر يقول

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .
(٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

. . . .

الناس : عامر الشعبى عالم اهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقربه فى رايه ، ويحك يا عامر هلاّ اتقيت الله ان سئلت فصدقت او سكتّ فسلمت قال عامر ، يا أبا سعيد قد قلتها وانا أعلم بما فيها ، فان الحسن : فذلك اعظم فى الحجة واشد فى التباعة .

قال : وبعث الحجاج الى الحسن فأتاه فقال له : انت الذى تقول : قاتلهم الله قاتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ، قال : نعم ، قال : ما حملك على هذا ؟ قال : ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيّننّهُ للناس ولا يكتمونه قال : يا حسن أمسك لسانك واياك أن يبلغنى عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك .

وذكر أيضاً عن عمر بن هبيرة عامل يزيد بن معاوية على الكوفة انه دعا فقهاء الكوفة والبصرة والمدينة والشام وقراءها فجعل يسالهم فكلم عامراً الشعبى فجعل لا يساله عن شىء الا وجد له فيه علما ثم اقبل على الحسن البصرى فساله ثم قال : هما هذان رجل أهل الكوفة يعنى الشعبى ، ورجل أهل البصرة يعنى الحسن ، وأمر الحاجب فأخرج الناس فخلا بالشعبى والحسن فاقبل على الشعبى فقال : يا أبا عمرو انى أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ، وقد بلغنى عن العصابة شىء آخذ به عليهم فأمنع طائفة من عطاياهم فأضعه فى بيت المال ، ومن نيتى أن ارده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين ذلك فيكتب لى ان لا أرده فلا أستطيع ردّ أمره ولا انفاذ كتابه ، وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل على فى هذا تباعة وفى اشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت ، قال الشعبى : فقلت : أصلح الله الأمير انما السلطان والد يخطىء ويصيب ، فسرّ بقولى واعجبه ، ورايت البشرى فى وجهه قال : فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال : ما تقول يا أبا سعيد ؟ قال : قد سمعت قول الأمير انه يقول : انه أميرُ أمير المؤمنين على العراق

. . . .

وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمك حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم ، وحق الرعية لازم لك ، ويحق عليك أن تحيطهم بالنصيحة ، وانى سمعت عبد الرحمن بن حمزة القريشى صاحب النبى ﷺ يقول : « من استرعى رعية فلم يحفظها بالنصيحة حرم عليه الله الجنة (١) » وتقول انما قبضت من عطاياهم ارادة اصلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا الى الطاعة فيبلغ أمير المؤمنين انى قبضتها على ذلك النحو فيكتب الى ان لا أرده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه ، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين ، والله أحق أن يطاع ، ولا طاعة فى معصية الله ، فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فما وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به ، وما وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه ، يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك ، وتقدم على ربك وتنزل عن عملك ، يا ابن هبيرة ان الله يمنعك من يزيد ، وان يزيد لا يمنعك من الله ، وان أمر الله فوق كل أمر ، وانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ، وانى احذرك بأس الله الذى لا يرد عن المجرمين ، قال ابن هبيرة : اربع على ظلعك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فانه صاحب العلم والحلم وصاحب الفضل ، وانما ولاه أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته ، قال الحسن : يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط ، وعصا بعصا ، والله بالمرصاد . يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك خير من أن تلقى رجلا يغرك ويمنيك ، وقام ابن هبيرة وقد سمر وجهه وتغير لونه فقال الشعبى : يا أبا سعيد اغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته ،

---

(١) رواه مسلم .

. . . .

فقال : اليك عنى يا عامر ، قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى اليه ، وكنا أهلاً أن يفعل بنا ذلك ، فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس العربى بين المقرف يعنى الهجان ، وما شهدنا مشهداً الا فاز علينا ، وقال لله تعالى وقلنا مقاربة لهواهم ٠

قال ابو بكر الأندلسى الطرطوشى : لما احتاج المنصور بن أبى عامر ملك الأندلس أن يأخذ أرضاً محبسة ويعاوض عنها خيراً منها ، أحضر الفقهاء فى قصره فافتوا بانه لا يجوز ، فغضب السلطان وأرسل اليهم رجلاً من الوزراء مشهوراً بالحدة والعجلة فقال لهم : يقول لكم الأمير يا مشيخة السوء يا مستحلين أموال الناس ظلماً يا شهداء الزور وآخذى الرشا وملقنى الخصوم وملقحى الشرور وملبّى الأمور تباً لكم ولرأيكم فهو أعزه الله واقف على فسوقكم قديماً وخيانتكم الأمانات ، مغض عليكم صابر حتى احتاج الى دقة نظركم فى حاجة مرة واحدة فى دهره فلم تسعفوا ارادته ما كان هذا ظنه فيكم ، والله لا يبقى رضاكم وليكشفن ستوركم وليناصحن الاسلام فيكم ، وأفحش عليهم بهذا ونحوه ، فأجابه شيخ منهم ضعيف الثقة فقال : نتوب الى الله مما قاله أمير المؤمنين ونسأله الاقالة فرد عليهم زعيم القوم محمد بن ابراهيم وكان جلداً صارماً فقال للمتكلم : ممن تتوب يا شيخ السوء : نحن براءة من متابك ، ثم اقبل على الوزير فقال : يا وزير بئس المبلغ أنت ، وكل ما نسبته الينا عن أمير المؤمنين فهو صفتكم معاشر خدمته ، فأنتم الذين تأكلون أموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم وتأخذون الرشا وتبغون فى الأرض بغير الحق فأما نحن فليست هذه صفتنا ولا كرامة ولا ينسبها الينا الا متهم فى الديانة فنحن اعلام الهدى وسرج الظلماء ، بنا يتحصن الاسلام ويفرق بين الحلال والحرام وتنفذ الأحكام ، وبنا تقوم الفرائض وتثبت الحقوق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

. . . .

وتحقن الدماء ، وتستحل الفروج ، فهلا اذ عتب علينـا أمير المؤمنين بشىء لا ذنب فيه علينـا وقال بالغيظ بعض ما قال وأتيت لابلاغنـا سالت باهون وعرضت بأنه كاره ففهمنا منك وأجبنـاك بما يصلح به الجواب فكنت كتمت على السلطان ولم تفش سره فقمن أن امير المؤمنين لا يتمادى على ذلك الرأى فينا ولا يعتقد هذا المعتقد فى صفتنا وأنه سيراجع بصيرته فى آثارنا وتعزيرنا ، فلو كنا عنده على الحالة التى وصفتها والعياذ بالله من ذلك لبطل عنه كل ما صنعه وعقده من أول الخـلافة الى هذا الوقت ، فما يثبت لـه كتاب من حرب ولا سلم ، ولا شراء ولا بيـع ، ولا صدقة ولا حبس ، ولا هبة ولا عتق ، الى غير ذلك الا بشـهادتنا هذا ما عنـدنا والسـلام ، ثم قاموا منصرفين ، فلم يكادوا يبلغـون باب القصر الا والرسـل تناديهم ارجعوا فادخلوا القصر فتلقاهم الوزراء بالاعظام ورفعوا منازلهم واعتذروا عما كان من صاحبهم وقالوا لهم : أمير المؤمنين يعتذر اليكم عمـا فرط ويستجير بالله من الشيطان الرجيم ونزغته وحمـله على الجفـاء عليكم ويعلمكم أنه نادم على ما كان مستبصر فى تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد أمـر لـكل واحـد منكم بكسوة وصـلة فادعوا لـه وانصرفوا غالبين لا يمسـهم سـوء .

قال الطرطوشى : وروى أن رجلا قال لعبيد الله العمرى : هذا هارون الرشـيد فى الطواف قد أخلى له المسعى فقال له : لا جزاك الله عنى خيراً كلفتنى أمراً كنت عنه غنياً ، ثم جـاء اليه فقال له : يا هـارون ، فلمـا نظـر اليه قال له : لبيـك يا عم ، فقال : كم هاهنـا من خلق ؟ قال لا يحصيهم الا الله ، قال : اعلم أيهـا الرجـل أن كل واحـد منهم يسأل عن خاصـة نفسه وأنت وحدك تسـئل عنهم كلهم انظر كيف تكون ، قال : فبكى هارون الرشـيد وجلس فجعلوا يعطونه منديلا للدموع ثم قال له : والله ان الرجل يسرع فى ماله نفسـه فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع فى مال المسلمين ، فيقال : ان هارون الرشيد كان يقـول بعد ذلك انى

. . . .

لأحب أن احج كل عام وما يمنعنى من ذلك الا عبَيْد الله العمرى ، قال ودخل عمرو بن عبيد على المنصور فقرأ ﴿ والفجر وليال عشر – حتى بلغ – ان ربك لبا لمرصاد (١) ﴾ لمن فعل مثل فعلهم فاتق الله يا أمير المؤمنين فان ببابك نيراناً تتأجّج لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ وأنت مسئول عما اجْترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، أما والله لو علم عمالك أنه لا يرضيك منهم الا العدل لتقرب به اليك من لا يريده ، فقال له سليمان بن مجالد : اسكت فقد غمَمْت أمير المؤمنين ، فقال له عمرو : ويلك يا ابن مجالد أما كفاك أن أخرت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصحه ، اتق الله يا أمير المؤمنين هؤلاء اتخذوك سلّماً الى شهواتهم فانت كالماسك بالقرن وغيرك يحلب ، وان هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئاً .

قال : قال الأوزاعى للمنصور فى بعض كلامه : يا أمير المؤمنين علمت أنه كان بيد رسول الله ﷺ جريدة يابسة يستَاك بها ويردع المنافقين فأتاه جبريل فقال : « يا محمد هذه الجريدة بيدك قد ملأت قلوبهم رُعْباً » فكيف بمن سفك دماء المسلمين وانتهب أموالهم ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، دعا الى القصاص من نفسه لخدشة خدشها أعرابياً من غير عمْد ، فقال له جبريل :« ان الله تعالى لم يبعثك جبّاراً تكْسرُ قرون رعيتك » يا أمير المؤمنين لو أن ذنوباً من النار صُبّ على ما فى الأرض لأحرقه فكيف بمن يتجرعه ، ولو أن حلقة من سلاسل جهنم

---

(١) سورة الفجر : الآيات من ١ – الى – ١٣ .

. . . .

وُضعَت على جبال الدنيا لذابت فكيف بمن يسلك فيها أو يرفعها على عاتقه .

قال سفيان الثورى : ولما حج المهدى قال : لابد لى من سفيان ، فوضع الرصد حول البيت فأخذونى بليل فلما مثلت بين يديه أدنانى فقال لى : نستشيرك فى أمرنا فما أمرتنا من شىء صرنا اليه وما نهيتنا عن شىء انتهينا عنه ، فقلت له : كم أنفقت فى سفرك هذا ؟ قال : لا أدرى تنفق أمناء ووكلاء ، قلت : فما عذرك غداً اذا وقفت بين يدى الله تعالى فسالك عن ذلك ؟ لكن لما حج عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لغلامه : كم أنفقت فى سفرنا هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً : قال ويحك اجحفنا بيت مال المسلمين ، وقام أعرابى بين يدى سليمان بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين انى مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته ، قال : هات يا أعرابى ، قال : انى ساطلق لسانى بما خرست به الألسن فى حق الله وحق امامتك ، انك قد اكْتَنَفَتْكَ رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فأعظم الناس غبناً يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره ، فقال له سليمان : أما أنت فقد نصحت وأرجو الله سبحانه أن يعيننا على ما قلدنا ، وقد جردت لسانك وهو سيفك ، قال : أجل يا أمير المؤمنين هو لك لا عليك .

وقال مالك بن أنس : بعث الى أبو جعفر المنصور والى ابن طاوس ، فدخلنا عليه ، فاذا هو جالس على فرش وبين يديه أنْطاع قد بسطت وجلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الأعناق فأومأ الينا أن اجلسا فجلسنا فاطرق عنا طويلا ثم التفت الى ابن طاوس فقال : حدثنى عن

. . . .

أبيـك ، قال : نعم سمعت أبى يقول : قال النبى ﷺ : « ان أشـد الناس عـذاباً يوم القيامة رجـل أشركه الله فى ملكه فأدخـل عليـه الجـور فى حكمه » فأمسك أبو جعفر ساعة ، قال مالك : فضممت ثيابى أن يصيبنى دمـه فأمسك ساعة حتى اسودّ ما بينى وبينه ثم قال : يا [بن] طاوس ناولنى هذه الدواة ، فأمسك عنه ، فقال : ما منعك أن تناولنيها ، قال : أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها ، فلما سـمع ذلك قال : قوما عنى ، قال ابن طاوس : ذلك ما كنـا نبغى منـذ اليوم ، قال مالك : فمازلت أعرف لابن طاوس فضله .

وبينما الحجاج جالس فى الحجر اذ دخـل رجـل من أهل الـيَمَن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه فقال : اذا فرغ من طوافه ائتنى به فأتى به فقال : من أنت ؟ قال : من أهل اليمن ، قال أفَبِلَك علم بمحمد بن يوسـف ؟ قال : نعـم ، قال : فأخبرنى عنـه ، قال : لقـد تركتـه أبيض سميناً طويلا عريضاً ، قال : ويلك ليس عن هذا أسـألك ، فقال : فعمّ ؟ قال : عن سـيرته وطعمته ، قال : أجـور السـيرة وأخبث المطعـم وأعتى العتـاة على الله تعالى فى أحكامه ، فغضب الحجـاج فقال : ويلك أما علمت أنه أخى ؟ قال : بلى ، قال : فأنت أما علمت أن الله ربى والله هـو أمنـع لى منـك لأخيـك ؟

قال الأصمعى حدثنى رجـل من أهل المدينـة قال : سمعت محمد بن ابراهيم يقول : شهدت أبا جعفر بالمدينـة وهو ينظر فيما بين رجـل من قريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا من قريش ، فقالوا لجعفر : اجعـل بيننـا ابن أبى ذؤيب ، فقال أبو جعفر لابن أبى ذؤيب : ما تقـول فى بنى فلان ؟ قال : أشرار من أهل بيت أشرار ، قالوا : سلْه يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد وكان عامله على المدينة ، فقال : ما تقـول فى الحسن

. . . .

ابن زيــد ؟ قال : يأخــذ بالاحنــة ويقضى بالهــوى ، قال الحسن وهــو حاضر والله لو سأله أمير المؤمنين عن نفســه لرماه بداهية ، قال : ما تقــول فىّ ؟ قال : اعفنى ، قال : لابــد أن تقــول ، قال : لا تعــدل فى الرعيــة ولا تقسم بالتسوية ، قال : فتغير وجــه أبى جعفر ، فقــام ابراهيم بن محمد ابن على صاحب الموصــل فقال : طهرنى بدمه يا أمير المؤمنين ، فقــال ابن أبى ذؤيب : اقعــد يا بنى فليس فى دم رجــل يشــهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له طهــور .

ودخل أبو النصر سالم مولى عمر بن عبد الله على عامل الخليفة فقال له : يا أبا النصر انه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجــد بداً من انفاذها فما ترى ؟ قال : قد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فأيهما اتبعت كنت من أهله . وروى أن مروان بن الحكم خطب قبل صــلاة العيد فقال له رجــل : انما الخطبة بعدها ، فقال له مروان : اترك ذلك يا فلان ، فقال أبو ســعيد أما هــذا فقــد قضى ما عليــه قال ﷺ : « من رأى منكم منكــراً فليغيره بيــده ان قــدر والا فبلســانه والا فبقلبه » .

وفى « القنــاطر » عن « الغــزالى » ان المهــدى لمــا قدم مكة لبث ما شاء الله فلما أخــذ فى الطواف نحى له الناس عن البيت فوثب اليــه عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه فقال له : انظر ما تصنع من جعلك بهذا أحق ممن أتاه من البعد حتى اذا صــار عنده حلت بينه وبين البيت ؟ فنظر فى وجهه وكان يعرفه من مواليهم فقال : عبد الله بن مرزوق ؟ قال نعم فأخــذ فجىء به الى بغداد فكره أن يعاقبه عقــوبة تشــنع عليه فى العامة فجعله فى اصطبل الدواب ليســوس الدواب ، وضموا اليــه فرســاً

عضوضاً سىّء الخلق ليَعْقره فليّنه الله ثم انهم صيروه فى بيت وأخذ المهدى المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فأذن له المهدى فقال : من أخرجك ؟ قال : الذى حبسنى ، فضج المهدى ثم صاح وقال : ما أخلق بنا أن نقتلك ، فرفع اليه عبد الله رأسه يضحك ويقول : لو كنت تملك حياة أو موتاً ، ومازال محبوساً حتى مات المهدى ثم خلوا عنه فرجع الى مكة وقد جعل على نفسه نذراً ان خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة ، فكان يعمل فى ذلك حتى نحرها .

وتنزه هارون المدعو بالرشيد بالدوير ومعه سليمان بن أبى جعفر الهاشمى فقال له هارون : قد كانت لك جارية تغنى فتحسن ، فحثه على مجيئها فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : ليس هذا عودى ، فقال للخادم ، ائتها به ، فجاء به ، فوافق شيخاً يلقط النوى فقال له : الطريق يا شيخ ، فرفع رأسه فرأى العود فأخذه وضرب به الأرض ، فأخذه الخادم ومر به على صاحب الربع فقال له : احتفظ بهذا فانه طلبة أمير المؤمنين ، فقال له صاحب الربع : ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين ؟ فقال : اسمع ما أقول لك ، ثم دخل على هارون الرشيد فأعاد عليه ما فعل ، فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه ، فقال له سليمان ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ؟ ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به فى دجلة ، قال : لا ، ولكن نبعث اليه نناظره أوّلاً ، فجاء الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين قال : نعم ، قال له : اركب ، قال : لا ، فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر ، فقيل لهارون : قد جاء الشيخ ، فقال للندماء : أى شىء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل : أو نقوم الى مجلس آخر أصلح ؟ فقاموا الى مجلس آخر صاغرين ليس فيه منكر ، ثم أمر بالشيخ فأدخل وفى كمه الكيس الذى فيه النوى ، فقال له الخادم ، اخرج هذا وادخل على أمير المؤمنين ، فقال : من هذا عشائى الليلة ، فقال : نحن نعشيك ،

ولا يدارى مسلم ان فعل منقصا أو مدنساً . . . . . .

قال : لا حاجة لى فى عشائك ، فقال له هارون : أى شىء تريد ، فقال : فى كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال : لا أطرحه فدخل فسلم فجلس ، و [قال] : لا سلام على من أذن لى فى الدخول ولم يستأذن ، فقال له هارون : يا شيخ ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وأى شىء صنعت ؟ واستحيى هارون أن يقول كسرت العود ، فلما أكثر عليه قال : انى سمعت آباءك وأجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر : ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ﴾ الى آخرها ، ورأيت منكراً فغيّرته ، قال : فغيره والله ما قال الا هذا ، فلما خرج أعطى رجلا بدرة وقال له: اتبعه فان رأيته يقول : قلت لأمير المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا ، وان رأيته لا يكلم أحداً فاعطه البدرة ، ولما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فى الأرض يعالجها ولا يكلم أحداً ، فقال له : قال لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة ، فقال له : قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها ، وقال عند اخراج النواة :

أرى الدنيا لمن هى فى يديه ... هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت لديه
وفى التقوى من الدنيا بلاغ ... ورزق المرء مبعوث اليه

(ولا يدارى مسلم) لا يعطى أمراً دنيوياً كمالاً ليترك معصية بل ينهى وينصح لأنه من حيث أنه مسلم لا يناسب المداراة لأنه يقبل الحق ، فمداراته خطأ من مداريه وفعل للشىء فى غير موضعه ومداراته خيانة له (ان فعل منقصاً أو مدنساً) من كبيرة أو صغيرة أو ما لا ينبغى أو ما يكره أو ما يخاف أن يوصل الى بعض ما ذكر كمواضع التهم

فيترك نهيه ويلام تاركه لخوف منه وان على غيره • • • •

ومخالطة الأرذال والسفهاء والقعود معهم فى مجالسهم والأكل فى السوق والطريق • ومن آداب أصحابنا النهى عن الأكل فى السوق والطريق وقدام الناس ، وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « الأكل فى السوق دناءة » ، والتدنيس أعظم من التنقيص ولو اكتفى بأحدهما لكان أولى ، ولعله أراد بالمنقص ما ليس بمعصية وبالمدنس المعصية كبيرة أو صغيرة ، وليس فعل الكبيرة معارضاً لتسميته مسلماً لأنها تسمية بما كان عليه (**فيترك نهيه**) عطف على قوله يدارى عطف مفصل على مجمل ، وهو فى حيز النفى وكأنه قال : فلا يترك نهيه ، ويجوز نصب يترك على أنه فى جواب النفى ، (**ويلام تاركه**) أى تارك النهى للمسلم عما ينقصه أو يدنسه (**لخوف منه**) أى لخوف صادر من التارك ، أى : كان الخوف منه فترك النهى للمسلم الفاعل للمنقص أو المدنس ويجوز تعليقه بخوف فترجع الهاء للمسلم أو الهاء عائد الى المسلم الفاعل للمنقص (**وان على غيره**) أو غير التارك ، وانما يلام مع أنه ترك خوفاً على نفسه أو على غيره لأن ذلك الخوف ضعيف ، لأن المسلم ولو صدر منه ما ينقصه أو يدنسه لا يصر عليه ولا يبالغ فى تعدى الحدود لا يقتل ناهيه أو غيره على النهى ولا يضربه ولا يجحف ماله ولا يفعل به فعلا يطرح جاهه به بالكلية كالزنى به وجره بحبل يقاد به ، وهكذا تأولت كلام المصنف رحمه الله • والذى ذكره الشيخ أحمد رحمه الله هو أن اللوم يتوجه على الفاعل لما يدنسه أو ينقصه اذا تركوا نهيه خوفاً منه عليهم أو على غيرهم وأنهم ان تركوا نهيه بتضييع منهم فاللوم عليهم ولا يلام هو الا ان فعل فعلا يستحق عليه اللوم ، يعنى فتركوا نهيه لذلك الفعل المانع لهم من أن ينهوه على الفعل الأول ، ولا يلزم الأمر أو النهى اذا كان يوصله الى القتل أو قطع طرفه أو المثلة به أو الضرب المؤلم وان أمر أو نهى مع ذلك فأحسن لأن فيه رفع الدين وتعظيمه وتشجيع الناس على ذلك وكسر جاه الفاسق ، وقد ورد فى الحديث ان ذلك أفضل الجهاد فلا يقال استبقاء نفسه أفضل ، ولعل ذلك اذا رجا أن لا يقتله أو كان فعله يؤثر ولو أدى الى القتل مثل أن يهرق خمره

• • • • • • • • • • • • • •

أو عنده شهادة يؤديها أو لبَس على الناس أمر الدين فأوضحه أو نحو ذلك مما له فائدة تفعل ، والا فلا ، مثل أن يعلم أنه يشرب هذه الخمر ويقتله ان نهاه ولا يطمع أن يهرقها ، ولا يلزمه الأمر أو النهى أيضاً اذا كان يوصله الى أن تنهب داره أو يجحف بماله أو تسلب ثيابه ، فان أمر أو نهى مع ذلك فهو أفضل اذا فدى دينه بدنياه ، ولا يلزم أيضاً اذا كان يوصله الى طرح جاهه بالكلية ، مثل أن يجرّ بحبل فى عنقه أو يسودّ وجهه لأن المروءة مأمور بحفظها شرعاً ، وأما ان خاف زوال بعض المال أو فضلات الجاه فلا يسقط عنه الأمر والنهى مثل أن ينسب للرياء أو الجهل أو الفسق أو النفاق أو يغتاب أو يواجه بغير ذلك ، قال الله تعالى عن لقمان : ﴿ وأمر بالمعروف وانْه عن المنكر واصبر على ما اصابك ﴾ وهذا شأن الأمر والنهى يثاب عليهما ، فلو تركا لذلك لم يبق لأمر أو نهى وجوب ، ولا يلزم الأمر أو النهى اذا كان يؤدى الى أن تضرب أولاده أو أرحامه أو تنهب أموالهم ، وأما ان يشتموا فلا يترك لشتمهم ولا يلزم اذا كان يوصل الى زوال بعض ما يؤدى الى موته كأخذ زاده أو لباسه ، ولا يجوز اذا كان يؤدى الى أن يقهر الى أن يزنى به أو يزنى بغيره ، واذا كان يؤدى الى منكر أعظم فالأولى تركه .

واعلم أن ترك النهى عن المنكر الذى هو كبيرة لابد أن يكون كبيرة ، وأما ترك النهى عن الصغيرة أو ما لا يدرى أصغير أم كبير فهو كذلك صغير أو لا يدرى أصغير أو كبير ، وقيل : كبيرة أيضاً لورود الآيات والأحاديث وتعظيم أمر تارك الأمر أو النهى على الاطلاق ، ومن لم ينه غير المكلف كالصبى والمجنون فقيل : عصى ، وقيل : لا .

واعلم أن الأمر بالمعروف الذى الكلام فى وجوبه هو الأمر بما هو معروف واجب كالصلاة الواجبة والزكاة وصوم رمضان ونفقة من يجب

نفقته ، وأما المعروف الذى لا يجب فلا يجب الأمر به ، وذكر الشيخ أحمد رحمه الله فى كتاب « الألواح » : أن شيخاً رحمه الله أوصى أهل تجديت بعشر خصال من يكنّ فيه فقد فارق الاسلام : الاكل فى الدين ، والمداهنة فى الدين ، وايثار الدنيا على الدين ، وسوء الظن ، وسوء الصحبة ، وسوء الخلق ، وحب الشرف ، وحب الرياسة ، وحب المحمدة ، وتقليد الرجال .

وذكر الشيخ اسماعيل رحمه الله عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ : « لا تقفن على رجل يقتل أو يضرب ظلماً فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه » ، وقال ﷺ : « لا ينبغى لامرىء يشهد مقاماً فيه منكر الا أن يتكلم بالحق فانه لن يقدم أجله ولن يؤخره ولن يحرم رزقاً هو له » فمن علم منكراً فى موضع ولا يقدر على انكاره لم يجز له أن يحضر اليه الا لضرورة ولذلك اعتزل قوم حضور المجامع لمنكرات فيها لا يقدرون أن يزيلوها ، وجاوزوا السباع ورضوا بأكل البقول فراراً بدينهم ، قال الله تعالى : ﴿ ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ﴾ (١) وكانت الملائكة تصافحهم ويسألون السحاب والسباع أين مرتْ فتجيبهم . وعن أبى هريرة عنه ﷺ : « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ، ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها » يعنى ، والله أعلم ، أن يحضر لحاجة ويتفق وقوعها ولا يستطيع انكارها لا أن يحضر قصداً لا لما لابد منه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قيل : يا رسول الله أتهلك قرية وفيها الصالحون ؟ قال : « نعم » ، قيل : بم يا رسول الله ؟ قال : « بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله عز وجل » ، وعن جابر بن عبد الله : أوحى الله الى ملك من الملائكة « أن اقلب مدينة كذا على أهلها » قال : « يا ربنا ان فيها عبدك فلان ولم يعصك طرفة عين » قال :

(١) سورة الذاريات : ٥١ .

وجـاز لخوف من قطيعة ولابتغاء دعوته وصلته ونحو ذلك مالم يداره على محـــرّم

«اقلبها عليه وعليهم فانه لم يتغير وجهه لى قط » ، وعن عائشة رضى الله عنهـا عن النبى ﷺ : « ان الله تعالى عذب أهل قرية فيهـا ثمانية عشر الفاً من خيارهم وستون الفاً من أشرارهم فقال : يارب هؤلاء الأشرار فما بـال الأخيـار ؟ فقال : انهم لم يغضبوا لغضبى وآكلوهم وشاربوهم » ، وعن بلال بن سعيد : ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها وان أظهرت ولم تغيّر أضرت بالعامة ، قال الله تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا بـه انجينا الذين ينهون عن السـوء ﴾ ، وقال كعـب الأحبـار لأبى مسـلم الخولانى : كيف منزلتك فى قومك ؟ قال : حسـنة ، قال : ان التـوراة تقـول : ان الرجـل اذا امر بالمعـروف ونهى عن المنكر سـاءت منزلته عند قومه ، قال أبو مسـلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ٠

والأمر والنهى على الكفاية ، فمن قدر أن ينكر بيده فليفعل كاهراق الخمـر وقتل الخنزير والحبس على الحق ، ومن لم يقدر بيـده فبلسانه ومن لم يقـدر فبقلبه ٠

(**وجـاز**) ترك نهى المسـلم (**لخـوف من قطيعة ولابتغـاء دعـوته وصلته ونحـو ذلك**) كتعليمه العلم وكتعلمه (**ما لم يداره على محـرم**) وهو المعصية ولو صغيرة ، وذلك مثل أن يتركوا نهيه عن قول أخـذ بـه وهم كارهـون ، أو عن مكروه وكل ما لا يكون ذنباً بحيث لو نهـوه لظهر له بأمارة ما انهم يريدون شقاقه ، أو يريدون حمية ، أو نحـو ذلك ، وأما المحـرم فيجـب نهى فاعله ولـو أباً أو أماً أو زوجـاً أو سـيداً أو معلماً أو سلطاناً ، ولكن نهـى الـوالدين بالوعظ والنصـح باللطف لا بتعنيف أو ضرب أو اظهار أنه برىء منهما أو يحبس كما لا يقيم الحـد على أبيـه أو أمه ، وكما لا يلى قتله وكما لا يقتل بولده ولا يقتص منـه والـده ،

. . . .

وكـذا نهى الزوجة لزوجها والمملوك لسيده · وسئل الحسن عن نهى الولد لوالده فقال : يعظه ما لم يغضب عليه ، فاذا غضب سكت عنه ، واما السلطان فينهى والقصد الانتهاء ، فلينظر الناهى الوجـه الـذى ينهى به · وعن ابن مسعود : جاهدوا الكفار بأيديكم فان لـم تستطيعوا الا أن تكفهروا فى وجوههم فافعلوا ، ولا يجـوز أن يبحث عن المنكر فان أخبره عدلان بلا بحث فله الدخـول بلا اذن لتغييره ان كان يخفى باستئذانه أو لا يؤذن له ·

ونقش فى خاتم لقمان : الستر لمـا عاينت أحسن من اذاعة ما ظننت ، واذا علمت أن فاعل المنكر ينتهى بتلطف فلين به ليحصل له العلم مثل أن يـراه لا يحسن الصـلاة فيقول له : كنـا جهـالاً مثلك فعلّمنا العلماء ، ولا يولـد الانسـان عالماً ، ثم يقـول له : افعـل كـذا وكـذا ·

وأما الخطأ فى غير الدين فلا ترده عليه فيستفيد ويعاديك الا ان علمت أنه يغتنم العلم ، ومن يفعـل المنكر وهو عالم به أو أصر فليخـوف بالله تعالى وتورد عليه الآيات والأخبار فى ذلك ، ومن استهزأ بالحـق والوعظ فليغلظ عليه بالقـول مثل أن يقـول له : يا فاسق يا جاهل يا عـدو الله ، ونحـو ذلك مما هو له أهل ، لا بما ليس فيـه ، وان خاف من ذلك اقتصر عن النهى واظهـار الغضب والاستحقار لـه لمعصيته والاكفهرار فى وجهـه والهجران ، ومن قدر على الانكار باليد فليفعل كاراقة الخمـر وكسر الملاهى وخلع الحـرير عن بدنه ومنعه من الجلوس واخراجه من المسـجد ان كان جنباً بالجـر ، فان كان يخـرج وحده أو ينزع الحـرير وحـده فلا يفعـلْ هـو ، واذا فعل ذلك كما يجـوز فليقتصر على القدر فلا يجـره برجـله أو يقبضه من لحيته الا ان لم يقـدر الا بجـره من رجله ، ويجـوز تهـديد فاعل المنكر بما يجـوز أن يفعل به لا بما لا يجـوز مثل أن يقـول : لأنهبن دارك ، أو لأضربن ولدك ، لأنه ان قاله عن عـزم فحـرام ، أو عن غـير

ولفاعل بر قصد به ربه أن يأخذ من الناس ما بأيديهم ان أعطوه له على ذلك . . . .

عزم فكذب ، ويجوز الضرب باليد والرّجْل أو بالعصا أو بالسلاح بقدر الحاجة ان قدر على ذلك ، واحتاج اليه مثل أن يقبض على امرأة أو مال غيره أو خمر أو مزمار ، وله أن يقول : خلّ ذلك أو لأضربنّك ، وله ضربه بلا قصد قتل ولا شيء عليه ان أدى الى قتله ، وسواء حق الآدمى وحق الله ، وان احتاج الى الأعوان فليستعن بالمسلمين أو من لا يخرج عن رأيه الذى هو حق ، ولا يتقابل الصفّان وذلك غير كبير فى رضى الله تعالى ، وليجتنب فى الأمر والنهى الكبر والعجب بنفسه والرفعة والرياء فان ذلك منكر ، وسبب لأن لا يقبل عنه أمره ونهيه (**ولفاعل بر قصد**) هو (به) بالبر (ربه) أى الله تعالى (**أن يأخذ من الناس ما بأيديهم ان أعطوه له على ذلك**) ولو أكثر مما فعل أى : لأجل ذلك البر قصدوا التقرب الى الله تعالى أو قصدوا أن يحبهم أو قصدوا التفرغ للبر واشتغاله به ، وأن لا ينقطع عنه أو غير ذلك اذا كان هو يعمل البر لله لا ليعطى فله أخذ ذلك سواء عطية الأحياء بلا حبس أو عطيتهم بالحبس ، أو عطية الأموات بالحبس والوصايا وغير ذلك ، مثل أن يحبس مال على المؤذن أو الامام أو المعلم أو التلاميذ ، فاذا كان عامل البر يعمله لله فله أخذ ما أعطيه ولو قصد المعطى وجهاً لا يحل ، وأشار بقوله : ان أعطوه له على ذلك الى مفهوم الأولى فانه ان أعطوه لغير ذلك البرّ من الوجه المباح فأولى أنه يجوز له قبضه ، وأما ان عمل ليعطى فذلك حرام ولا يحل له أخذ ما أعطى وتوبته أن يرده لمعطيه أو وارثه ان مات أو لفقير أو فقراء ان لم يعرفه أو أيس منه .

وبات أبو محمد يمن فى « تمنكرت » فجعل أهل المنزل يخرجون عنه حتى بقى وحده وكان معه رجل غريب ، ولما خرج أهل المنزل بدأ فى القراءة ، وكانت له نغمة وكان حسن الصوت ، ولما سمع أهل

. . . .

« تمنكرت » قراءته جاءوه بالطعام فأبى أن يأكله وقال لصاحبه : انَ أردت أن تأكل فكل فلو كانوا يطعمون فى الله لأطعمونا أو"لا" ، وانما لم يأكل أبو محمد مع أنه قصد بقراءته وجه الله احتياطاً وتنزهاً .

والوجه الذى لا يجوز قصده لمن يعطى لفاعل البر أن يقصد بعطائه غير وجه الله مما لا يجوز مثل أن يقصد التمتع بسماع صوت قراءته أو أذانه أو أن يكون فى بلده أو قبيلته هذا القارىء أو هذا المؤذن أو نحو ذلك مما ليس تقرباً الى الله ، أو قصداً الى ابقاء الدين وظهوره ، ومن ذلك أن يقصد بعطائه أن لا ينهاه أو أن يميل اليه فى فتواه أو قضائه ويعرف ذلك بالدلائل والقرائن ، وقد قال ﷺ : « من أشراط الساعة : بيع الحكم ، وقطيعة الرحم ، والاستخفاف بالدم ، وكثرة الشرط ، وأن يتخذوا القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرأهم ولا أفضل الا ليغنيهم به غناء » (١) ، وأمر رسول الله ﷺ بعض عماله أو بعض أصحابه أن يتخذ مؤذناً لا يأخذ على آذانه أجراً ، وتقدم كلام فى هذا الشأن فى الاجارات ، قال الشيخ أحمد : كل ما أعطى على تعليم العلم فلا يحل له ، وكذا على خصال الطاعات مثل الأذان ، وعلى أن يجتهد فى طلب العلم أو أن ينزع قطاطى شعر رأسه أو أن يفعل شيئاً من الطاعات أو على أن يحج به ، وقيل : ان لم يرد بهبته ما ذكرنا فلا باس بها ، وان ذكره وحرم الأكل على الانسان بالدين أعطى له على عمله أو عمل غيره أو حرمة دينه ، وقد روى : أنه ﷺ استعمل رجلاً" فجاء فقال : هذا لى وهذا لى وهذا لكم ، فغضب رسول الله ﷺ فقال : « ما بالُ الرجلِ نستعمله على عمل من أعمالنا فيقول : هذا لكم وهذا أهدى لنا أفلا قعد فى بيت أبيه

---

(١) رواه الترمذى .

. . . .

وأمه وينظر هل يهدى له » (١) . قال أبو بكر الطرطوشى : قال مالك : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشاطر العمال فيأخذ نصف أموالهم ، وشاطر أبا هريرة وقال : من أين لك هذا المال ؟ فقال أبو هريرة : دواب تناتجت ، وتجارة تداركت ، فقال : أدّ الشطر ، وذلك أنه ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن لهم قبلها . وروى مالك عن ابن عمر : أنه اشترى هو وعبيد الله ابلاً فبعث بها الى الحمى فرعت ، فقال عمر : رعيها فى الحمى فشاطرهما ، وشاطر سعد بن أبى وقاص حين قدم من الكوفة ، وذلك أن العامل يعطى لأجل قوته بالامام والمسلمين فهو كالمضارب للمسلمين ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يامر اذا قدم عليه العمال أن يدخلوا نهاراً ولا يدخلوا ليلا كيلا يجتنحوا شيئاً من الأموال ، يعنى أنهم يتوهمون أن ما يعطون يكون لهم .

وقال عتاب بن أسيد : والله ما أصبت فى عملى الذى ولاّنى رسول الله ﷺ الا ثوبَيْن معلقين كسوتهما مولاى كيسان . وروى : أن على ابن أبى طالب استعمل أبا مسعود الأنصارى على السواد فرجع الى داره وقد امتلأت ، فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : كذلك يعملون بالرجل اذا استعمل ، قال : كل هؤلاء يريدون أن يأكلوا فى امارتى !! فرجع الى علىّ فقال : لا حاجة لى فى العمل .

قال الشيخ اسماعيل رحمه الله : قال بعض السلف : انما جاء فساد الدين والدنيا من أربعة : عالم فاجر ، وعابد جاهل ، وطالب الدنيا بالدين ، وسلطان جائر ، ويعنى بالدنيا ما يشمل مالها وغيره كالامارة

---

(١) الحديث فى رجل استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمل يدعى : « ابن اللتبية » رواه أبو داود .

. . . .

والجـاه ، قال الشاعر :

وهـل أفسـد الدين الا الملو ك وأحبـار سـوء ورهبانهـا

وقال الأوزاعى : اشـتكت النواويس ما تجـد من نتن جيف الكفار ، فأوحى الله تعالى اليهـا : « بطـون علماء السـوء أنتن مما تجـدن » ، وانصرف الحسن من مجلسه فحمل اليه رجـل من خراسـان كيساً فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز ، فقال : يا أبا سعيد هـذه نفقة وهذه كسوة ، فقال : عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسى هـذا وقبـل من الناس مثل هـذا لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له ، وعنـه ﷺ : « علماء هذه الأمة رجـلان ، رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخـذ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمناً ، فذلك الـذى يصـلى عليه طير الهواء وحيتان البحـار ودواب الأرض والكرام الكاتبون ، يقدم على الله تعالى يوم لقيـامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ، ورجـل آتاه الله علماً فى الدنيـا فضنّ به على عباد الله وأخـذ به طمعاً واشـترى به ثمناً يأتى يوم القيـامة ملـجماً بلجـام من النـار ينادى عليه منـاد على رؤوس الخلائق : هذا فلان بن فلان آتاه الله تعالى علماً فضن به على عبـاد الله وأخـذ بـه طمعاً واشـترى به ثمنـاً فيعذب حتى يفـرغ من حسـاب النـاس » .

وأشد من هـذا ما روى أن رجـلا كان يخـدم موسى فجعـل يقـول : حدثنى موسى فاتخذ بذلك مالا كثيراً ففقده موسى عليه السـلام فجعل يسأل عنـه فلا يحسّ له أثراً حتى جاءه رجـل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبـل أسـود ، وفى رواية : جاءه بأرنب فى عنقها سلسلة ، فقال له موسى : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم هو هذا الخنزير أو هذه الأرنب ، فقال : « يارب أسألك أن ترده الى حاله حتى أسأله بما أصـابه هذا » ، فأوحى الله عز وجل

ولزمه ان كان على عوض ان يفى لهم به والا لزمته تباعة وجازت مدارأة مضر بمباح ويدفع بما قدر عليه

اليه : « لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ، ولكنى لخبرك بم صنعت به هذا ، انه كان يطلب الدنيا بالدين » ، وعنه ﷺ : « من طلب علماً مما يبتغى به وجه الله على أن يصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد ريح غرف الجنة يوم القيامة » .

(**ولزمه**) أى : مطلق الآخذ (**ان كان**) الاعطاء له (**على عوض**) يعوضه لمعطيه (**أن يفى**) فاعل لزم (**لهم**) أى لمعطيه (**به**) أى بالعوض (**والا لزمته تباعة**) تباعة ما وصله وتباعة خلف الوعد وهى عليه ولو ردّ ما وصله وسواء فيما أعطوه وفى العوض المال والعناء وفضل الجاه ولم يذكره الشيخ لدخوله فى العناء لأن من له جاه ينفع بكلامه أو كلامه ومشيه والكلام عناء ، وقوله : يفى ، هو من الوفاء ولا همزة بعد يائه ، وان وجد فى نسخة يفىء بهمزة بعدها فهو من الفىء بمعنى الرجوع ، والمعنى أن يرجع اليهم بعوض ما أعطوه ، وتقدم الكلام على هبة الثواب فى محله ، وعن جابر بن زيد رحمه الله : ترك المكافاة من التطفيف أى : فيما جعل له على المكافاة (**وجازت مدارأة**) انسان بهمزة فوق الألف لا بالألف مقروءة لأن الهمزة المتحركة لا تقلب ألفاً (**مضر**) فى الدين أو فى الدنيا (**بمباح**) من مال وكلام وعناء سائر البدن وبمكروه لا بمعصية (**ويدفع بما قدر عليه**) وسواء فى الذى دارؤوه أن يجوز له ما يفعل لكنه مضرة على غيره أو لا يجوز مثل أن يكون له نخل أو أرض أو غيرهما فى الحكم ويعلموا أن ذلك ليس له فى نفس الأمر ، ومثل أن تكون المرأة زوجة له فى ظاهر الأمر وليست زوجة له فى نفس الأمر بالكلية أو لانفساخ النكاح ، وكذا فى العتق ، ومثل أن يأخذ بقول ضعيف أو محجور عليه فيدارى على ترك ذلك ، ومثل المخالف يريد الحكم

. . . .

علينـا بما يجـوز فى مذهبه ولا يجـوز عندنا كما وجـد فى بعض كتبهم غير المعتبرة من جـواز نزع مساجدنا وجعلها لهم وقتلهم لنـا ومنـع بيـع الطعـام ، ولا يوجـد ذلك فى القرآن والسـنة ولا فى كتب سلفهم ، ولا فى كتبهم المعتبرة ، وكمـا اذا قهرونا أن نصـلى خلفهم وهم يدخـلون فيهـا ما يفسـدها أو يصلوها بنجس أو بلا وضـوء ، أو طلبـوا منـا أن نعطيهم الزكاة فللمسلمين نصرهم الله أن يدارئوهم على ذلك بمالهـم وكلامهم وبما قدروا عليه ، ولو أسقط المصنف قوله : ويدفـع بما قـدر عليه لا غنى عنه قوله : بمباح مع ما قبله ، وكأنه ذكره تلويحـاً الى أن لهم أن يبلغـوا طاقتهم فى الدفع بما ذكـرنا من المـال وغيره ، أو تلويحاً الى أنه يجـوز لهم قتاله على الحـق ولو ضعفوا ، وكان أبو تغلى رجـلا جبـاراً سمع قراءة العزابة فى غـار أجلو الشرقى فقال : ما هذه البدعة ؟ فوصـل قوله أبا عبد الله محمد بن بكر فاستعمل قصعة من طعـام طيب ومنـادل حسانا وبطـّة مملوءة زيتـاً فأرسـلها اليـه فقال له : امسكها هى لك ، فجلس غدا فى موضعه فسمع قراءتهم فقال ما فى هذه البـلاد الا كلام ابن بكر ومن كره فهذا فى قلبه ، لرمـح فى يده .

والرشوة لرفع ظلم أو دفع جور جائزة ، قال جابر بن زيد رحمه الله : ما نفعنـا فى أيام زياد الا الرشـا ، وعن عمر بن الخطـاب رضى الله عنه : الرشـوة تفقأ عين العليم وتصيد الحكيم ، والله بعبـاده خبير ، وكان أبو زكرياء بن أبى مسـور لا يدخـل جبـار جـربة الا أكل طعامه قبـل الناس ، ويطعم مثل ذلك للعـزابة ، وكان يقـول : من زرعـه وحصـده ودرسـه ودراه وطحنه وطبخه وأطعمه للمسـودة اتقـاء لشرهم خـير ممن فعل ذلك وأطعمه للمسلمين ، يعنى فى الثواب لعظم حفظ الدين ، ودفـع ضر أشرف أو ظلم وقع ، وكان يقـول : خبزى مرفوع للجبـابرة وقال حكيم : الرشـوة رشـاء الحاجة ، شبهها بحبل تجبذ به الحاجة ، قال الطرطوشى : ومما قلته فى الرشوة :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا تحل على ظلم الغير ولا على شهـادة بزور أو حـكم بجـور لطالب حقه وكذا لحـاكم علم بذلك حيث لا يحـكم بعلمـه • • • •

وأكرم من يدم البـاب شخص ثقيل الحمل مشغول اليدين
ينوء اذا مشى نفساً ونفـّخا وينطح بابــه بالركبتين
وأكرم شافع يمشى عليهــا أبو المنقوش فوق الصفحتين

قال : ومما قلته ايضاً :

اذا كنت فى حاجة مرسـلا وانت بانجازهــا مقــدم
فارسـل باكمـه حالاتــه بــه صمم وعمى وبكــم
ودع عنك كل رسول سوى رسـول يقال لـه الدرهم

(**ولا تحل**) المداراة أى : مطلق المعالجة (**على ظلم الغير**) فى ماله أو بدنه أو عرضه وسواء الظلم بالبدن أو باللسان او بالمال وسواء يداريه بماله أو بدنه أو لسانه (**ولا على شهادة بزور**) هى داخلة فى الظلم وخصها بالذكر لعظم شانها ، وذلك أن ينفعه بشىء على ان يظلم غيره او يشهد عليه بزُور أو أن يكتب شهادة الزور أو على ان يتركه يظلم او يزور ، ولا يجوز ذلك للمعطى ولا للآخذ أو يشهدوا بما هو فى نفس الأمر حق الا أنه لا علم لهم به •

(**أو**) على (**حكم بجور لطالب حقه**) وقد علم الطالب ان الحق له وان لم يعلم أو علم انه ليس له فبالأولى انه لا تجوز المداراة على أن يحكم له به ، (**وكذا**) لا تجوز لك المداراة (**لحاكم علم بذلك**) الحق أنه لك (**حيث لا يحكم بعلمه**) وكل ذلك الاعطاء دعاء الى ما هو معصية وهو

. . . .

شهادة الزور والحكم به والحكم لعلم الحاكم ، وأن اخذ شيئا كان رشوة لانه أخذ على حكم لا يجوز وذلك أن يعلم ان الحق لك ولا بينة لك سواه ، أو لك معه شاهد آخر فاما أن يؤديا شهادتهما عند حاكم آخر فهذا جائز ، واما أن يحكم لك بعلمه حيث لا يجوز أن يحكم بعلمه فهذا لا يجوز له ، ولا يجوز لك أن تداريه على أن يحكم لك بعلمه ولا يجوز له أخذ ما تعطيه على ذلك ففى « الديوان » : كما مر فى محله ، وأما ان أعطى الأجرة على ان يشهد له بالزور أو يحكم له بالجور فلا يجوز له ولا للشاهد والحاكم ، ولو علم ان الحق له ، لأن الشاهد او الحاكم لم يعلم أن الحق له فذلك من الحاكم والشاهد جور وزُور" ومن صاحب الحق باطل ، ودخول فى صورة الجور والزور ، لأن ذلك فى الظاهر جور وزور ولو علم صاحب الحق أن له الحق ولو علم الحاكم أنه له فلا يحكم لــه أيضاً به اذ لا يحــكم بعلمه ولا يحل لهما ذلك ، ولا أخذ شىء على ذلك ، وفى حكم ذلك أن يحكم لــه بشهود لا تجوز فلا يحل له ذلك ولا أخذ شىء عليه ولا يجوز لصاحب الحق أن يدعوه لذلك أو يعطيه على ذلك كشهادة عبيد له أو مشركين أو أبويه ولو علم هو والحاكم أن الحق له ، وان كانت له بينة صحيحة فاعطى مالاً للحاكم على ان يحكم له بها وهى جائزة أيضاً عند الحاكم فلا يجوز للحاكم أخذ مال على ذلك ، ويجوز لصاحب الحق اعطاؤه ان كان ما يعطى كحقه أو أقل ، وان كان اكثر فتضييع" للمال منهى عنه الا لهم مباح مثل أن يحتاج الى عين ذلك الحق أو يبرّ يميه ، وقد مر ان الذى لا يجــوز للحاكم أن يحكم به من علمه هو ما علمه' قبل أن يكون قاضياً أو بعد أن كان قاضياً علم فى منزله أو غير منزله ، وانما يحكم بما علمه فى مجلس قضائه ، وقيل : يحكم بما علمه فى منزله الذى يقضى فيه ومعنى مجلس القضاء : الموضع الذى يجلس فيــه للقضاء بين الناس ، وقيل : الموضع الذى تحاكما اليــه فيه وان استمسكت امراة برجــل على نفقة وقــد علم الحاكم أنها محرمته

أو حرمت عليه بوجه ما فلا يثبت الخصومة بينهما وليغلظ عليهما ويهددهما ويرفعهما الى غيره ، وان لم يعلم ذلك فلا يغلظ ولا يهدد ولينصحهما بمـا عنده وكذا فى الاستمساك بالارث ممن لا ارث لهما منه أو استمساكه بالارث ممن لا ارث له منها لوقوع ثلاث تطليقات أو غير ذلك ، وكذا فى استمساكه بها فى زوجية باطلة وكذا فى سائر الأمور ، وكذا فى غير الزوجين ، وكذا اذا أعتق مملوكاً فاستمسك أحدهما بالآخر كالنفقة والخدمة ، وان علم أن هذا ابن فلان ولا بيّنة رفعهما لغيره .

(و) كذا لا يجوز لك المداراة (**لشاهد فى موضع لا يشهد به**) أى فى صورة لا يشهد بها مثل ان يبيع شخص شيئاً لآخر أو يهبه له ثم قـام عليه من نازعه فيه ولم يكن له من يشهد لــه بالبيع أو الهبة الا بائعه أو واهبه ، فلا يجوز له أن يعطيه الأجرة ليشهد له على البيع أو الهبة لأن الحاكم اذا علم بذلك لا يحكم بشهادته ولو شهد بالحق ، ولا يأخذ الأجرة على ذلك .

ومرّ عن « الديوان » أنه لا تجوز شهادة المرء على ما باع ولا على ما وهب ولا على ما أصدق ولا ما استأجر به الأجير ، وما أعطاه فى الحقوق كلها وكل ما اشبه ذلك ، وسواء ماله ومال من ولى أمره اذا علم الحـاكم بذلك ، وان لم يعلم وقضى بشهادته فلا ضمان على الشاهد ، ولكن لا يشهد بذلك وبالأولى أنــه لا يضمن الحاكم ، وكذا لا تجوز شهادة الرجل المقارض والأجير لصاحب المال فيما فى أيديهما وتجوز فى غير ذلك ولا شهادة الشريك فيما اشتركه وجازت فى غيره وفى غير مال كالنكاح والعفو وموجب الضرب أو الحبس ، وكذلك لا يداريه أن يتكلم بالشهادة حيث له الاخبار .

وجوزت مداراة حاكم للحكم بما علم وشـاهد للشهادة به ورخص وان لم
يعلما ولكن لا يؤمرا بحـكم بجـور وشهادة بزور . . . . . .

(**وجوزت مداراة حاكم للحكم بما علم**) مطلقاً لأنه حق (**وشـاهد للشهادة به**) أى بما علم أنه حق ولو فى الصور التى لا يشهد بها ولا يجوز للحاكم اخذ الأجرة على ذلك وكذا الشاهد لأنه اكل بالدين ولو جاز لطالب الحق اعطاؤها ، (**ورخص**) لمن علم ان الحق له أن يدارى الحاكم والشاهد أن يحكم له ويشهد له به وكذا بل اولى ان طاوعه ان يحكم له أو يشهد لـه بلا اجرة ، (**وان لم يعلما**) أى الحاكم والشاهد أن الحق له لكن لا يحل لهما ذلك ، ولا اخـذ الأجرة على ذلك لأن ذلك باطل وجور وزور عندهما ولو كان حقاً للمحكوم لـه فى نفس الأمر (**ولكن لا يؤمرا**) أى لا يؤمر الحاكم والشاهد اى لا يأمرهما صاحب الحق (**بحكم بجور**) هذا عائد الى الحاكم (**وشهادة بزور**) هذا عائد الى الشاهد لأن ذلك أمر بمنكر لا يقل . احكم لى بجور أو اشهد لى بزور أو احكم لى بكذا أو اشهد لى بكذا ، ولم يصح عندك ، بل يقول للحاكم : احـكم لى فان الحق لى ، وأعطيك كذا ؛ ويقول للشاهد : اشهد لى بكذا فان الحق لى واعطيك كذا ، وليس هذا الكلام ولا أكبر منه يسيغ للحاكم ولا للشاهد أن يحكم ويشهد ، ولا أن يأخذا ما أعطاهما على ذلك ، وانما أفرد الشاهد مع أن الواحـد لا تجوز شهادته ليشمل ما اذا جازت فيه شهادة الواحد ولأن الكلام مع هذا الشاهد ، ويفصل ذلك مع شاهد آخر وأيهما فرضته قبلته العبارة ، وليشمل ما اذا كان عنده شاهد يجوز له أن يشهد فيتكلف شاهد آخر والاعطاء على ترك الحكم بعد وقوعه والشهادة بعد وقوعها وترك ايقاع الحكم من أول والشهادة من أول كالاعطاء على الحكم والشهادة حيث جاز وحيث لا يجوز ،

وجازت على طاعة ولو فرضا ولابن على تعلم أو عمل نافع له وان لدنياه

أو بلا مال ولا تؤخـذ اجرة على طاعة ورخص بطيب نفس معطيهـا •

وحيث يجوز القبض وحيث لا يجوز وفاقاً وخلافاً رايته •

قال : (وجازت) أى المداراة (على) كل (طاعة) فرضاً كانت او نفلاً ثم (ولو فرضا) بمعنى أنه يجوز له أن يعطى مالاً لمن يعمـل فرضا أو نفلاً بأن يقول : صم أو صل أعطك كذا أو خذه وصل وكذا العناء وكل نفع ، وكذا تجوز المداراة على ترك المعصية كبيرة أو صغيرة ولم يذكره لدخوله فى الطاعة فان ترك المعصية لعلّة كونها معصية طاعة فاذا داراه على فعل ما هو طاعة ففعله فصورة فعله طاعة ، واذا داراه على ترك معصية لأنها معصية فتركها فصورة تركه اياها طاعة ، نعم اذا لم يظهر له التعليل بانها معصية ولم يعلم العلة مريد المعصية لم يكن تركها بصورة الطاعة •

(و) جازت مداراة الأبوين (لابن) أو بنت أو أراد المصنف وصاحب الأصل مطلق الولد ولا عدالة فى ذلك ، ومثل الولد فى ذلك سائر الأقارب ، وكذا الأباعد ، ويغنى عن ذلك كله ما تقدم وما يعلم من جواز المداراة ايضاً على المباح (على تعلم أو عمل نافع له وأن لدنياه) غياً بالدنيا لأن الأصل الجلب للدين ولو غياً بالدين لجاز باعتبار أن الاعطاء للدين داع الى الأكل بالدين أو يقدر ان كان لدينه وان كان لدنياه (أو بلا مال) وجه التغيى به أن المعتاد الغالب المداراة بالمال (ولا تؤخذ اجرة على طاعة) ولو جاز اعطاؤها •

(ورخص) فى أخذها (بطيب نفس معطيها) بشرط أن لا ينوى

باخذها التعويض على الطاعة والأكل بالدين ولو نوى المعطى التعويض على الطاعة والأكل بالدين وهذا محطّ كلام المصنف ، والقول الأول ان هذا القصد من المعطى يفسد على الآخذ ما يأخذ ولو صفى نيته .

وفى « الأثر » : اجتمع وائل والمعتمر بن عمارة وجماعة الى الربيع فسألوه أن يخرج الى الموسم فقال : لا أقدر ما عندى ما أحتمل به ، قال : فمشوا الى رجل من المسلمين يقال له : النضر بن ميمون ، وكان من تجار الصين ، وكان موسراً فأعلموه بقوله فاتاه باربعين ديناراً ، فقال له : حج بها فلم يقبلها منه ، وكان به خاصاً ، فجاء وائل والمعتمر فقالا له : سبحان الله يا أبا عمرو تعلم حاجـة الناس اليك وكنت اعتللت بأنك لا تجـد ما تتحمل به فلما جاءك الله بما ترى تتسع فيه أبيت أن تقبل ، فقال : انه قال لى خذها على أن تحج بها ولست أقبلها على شرط ، قالا فأتيا النضر فأعلماه بما ذكره من قوله فقال : والله ما علمت انه يكره ذلك فالآن خذاها أنتما وادفعاها اليه فأبى أن يقبلها بعد ذلك .

والأصل فى هذا أن ما علق لسبب فهو الى ما علق اليه ، قال الشيخ احمد : ان وهب له شيئاً على أن يفطر به او يشترى به لحماً أو يغسل به ثوبه فليجعله فى شرطه والا فتباعة عليه ، وقيل بطلت هبته ، وقيل : جازت وبطل الشرط فله أن يفعل بـه ما شاء .

(و) جازت المداراة (**على أخذ حقوق**) كالزكاة والكفارة ودينار الفراش وثمن المبيع والأرش مما لا يعرف ربه وغير ذلك من حقوق الخالق والمخلوق تعطيه مالاً أو تنفعه بشىء على أن يقبل منك أو من غيرك الزكاة والكفارة أو غيرها ، ويجوز له أخذ ما تعطيه على ذلك أو تنفعه ويأخذ الزكاة ونحوها سواء كان لك ذلك أو لغيرك الا أنه لا تدارى من مال غيرك الا برضاه ، (**واعطائها**) مثل أن تعطيه مالاً ولا يحل له الأخذ ، أو تنفعه

ولزم الوفاء والا فتباعة ولا ردّ في الحـكم وجـاز برضى • • •

بشيء على أن يعطيك أو يعطى غيرك زكاة أو كفارة أو نحوهما ، سـواء كانت الزكاة أو نحوها له أو لغيره ولا تعطيه مالاً أو تنفعه على ذلك من غيرك الا برضاه ، ولكن لا يحسن له طلب الزكاة والحقوق لنفسه أو لمن يلي أمره فضلاً عن ان يعطى فيها مالاً أو ينفع فيها ، وأما ان يعطيه مالاً أو ينفعه على أن يعطى الحقوق هكذا أو الزكاة أو غيرها هكذا ولم يقصد أن يعطيه فلا كراهة •

(**ولزم الوفاء**) بأخذ ما أعطى له شيء على أخذه وباعطاء ما أعطى له شيء على اعطائه (**والا**) يف بالأخـذ أو الاعطاء (**فـ**) ـعليه (**تباعة**) فيما أخذه على أخذ الحقوق ولم يأخذها ، أو اعطائها ولم يعطها ، والنفع كالاعطاء ، وغير الحقوق كالحقوق ، مثل اللقطة ودية المجهول وما لا يعرف له رب ، أو أيس منه ان أعطى له مال على أن يقبل ذلك أو يعطيه سواء كان بيده فيعطيه أو جعل له أمره بيده ليعطيه الفقراء •

(**ولا رد**) عليه لمعطيه (**في الحكم**) ان لم يف ولو لزمه الردّ بينه وبين الله تعالى ، ولا يجوز له من أوّل الأمر ان لم يكن في نيته أن يفى ، وان أخذ على أن لا يفى ثم أراد الوفاء لم يجز له بل يرده لأنه أخذ كما لا يحل ، وأجيز له أن يمسكه ويفى ، وظاهر كلامه أنه ان أوْفى له صح له ما اعطاه على عمل الطاعة ولو فيما بينه وبين الله ، وهذا ترخيص كما رخص ان تقبل ما أعطيت على طاعة اذا نويت انت أنك تعمل ولو لم يعطك •

(**وجاز**) لمعطيه ان يمسك ما رد اليه ان رده اليه (**برضى**) منه بأن يرد لمن أعطاه بلا حكم ولو ثقل عليه الرد وكرهه ، ومعنى رضاه بالرد :

ومنع حيث أعطى بطيب نفس وجاز اخذ عطية بمداراة معط ان خيفت قطيعته او ضر يصل منه ان لم تقبل عليه أو من غيره ممن ٠ ٠

انه أراد الرد بلا جبر من الحاكم أو بلا حكم وليس المراد أنه طابت نفسه بالرد لأنه لا يشترط طيبها اذ لا يجوز له الا أن يرد لأنه لم يف بالشرط ٠

(**ومنع**) أى ومنع بعض العلماء المعطى بكسر الطاء ان يرد اليه المعطى بفتحها ويقبل بل ان رد اليه فلا يقبل ولو لم يف المعطى بالفتح (**حيث أعطى**) بالبناء للمفعول وهذه الحيثية تعليلية أى لأنه أعطاه ذلك المعطى (**بطيب نفس**) وذلك امضاء لعطيته وابطال لشرطه ، ووجهه انه أعطاه فى تقوية الدين لأن اعطاءه الحقوق أو أخذها انفاذ للحكم الشرعى فعطيته له ليعطى الحقوق أو يأخذها هبة لوجه الله فلا يرجع فيها ولو اعطاه ليعطيه هو بأن قال : خذ هذا لتعطينى الحقوق لأن طلبه لنفسه لا يخرج الحق عن كونه حقاً لله الا انه ضعيف اذ طلب لنفسه ، والصحيح الأول لأنه لم يعط على تقوية الدين هكذا بل بشرط ، والمؤمنون على شروطهم ، ثم انه لا يجوز للمعطى بالفتح أن يمسك ذلك بل يطرحه لمعطيه أو يوصى له به أو يعطيه الا عند مجيز العطية مع ابطال الشرط ، فله امساكه ، وان أعطيته على ان يعطيه لغيرك أو لك على نفسه فى حقوق لزمته فالحكم كما ذكره المصنف وذكرته ، فى ذلك كله من الخلاف وجواز الرد ومنعه ، ويجوز حمل كلام المصنف على ذلك كله ايضاً فانك اذا أعطيته ليؤدى على نفسه فقد أوصلته الى اداء الحقوق الواجبة عليه بلين ، لكن ان قصدت ان يرد اليك قضاء منه لدينك عليه ففيه ضعف ٠

(**وجاز أخذ عطية بمداراة معط ان خيفت قطيعته أو ضر يصل منه ان لم تقبل**) عطيته (**عليه**) أى عنه (**أو**) خيف ضر أو قطيعة (**من غيره ممن**

يتقى ضره وكذا فيما لا يجوز اخذها من معطيها وان خيف من قبل غيره

يتقى ضره) أى جاز لك ان تأخذ عطية من ان اعطاك ولم تقبل منه قطعك أو وصلك ضر منه أو من غيره ممن يعظم ضره فيتأهل لأن لا يتقى فيكون ذلك الأخذ مداراة ، فالمداراة كما تكون بالاعطاء تكون بالأخذ ، وسواء فى ذلك قريبك أو صاحبك أو جارك أو غيرهم أو الأجنب ، وسواء الضر فى الدين أو فى الدنيا فى عرض أو مـال أو بدن ، وانما قـال : جاز لأنه لا يجب اذ يجوز له ان لا يقبل وان قاتله على القبض قاتله ، وان توجـه لافساد ماله فله القتال ، وان لم يقاتل على مال فلا باس ، وعبّر باتقاء الضر عن عظم الضر لأنه يلزم من عظمه اتقاؤه وان ضعف ضره بحيث يحتمل لم يتأكد القبض ، وكذا ضر المعطى وانما اخبر بجواز ذلك لأنه قد يتوهم أنك اذا كرهت عطية أحد لم تحل لك ، ولم تدخل ملكك ان قبضتها مع أنه ليس كذلك ، وذلك لغير حرمة أو ريبة ، وأما الحرام والريبة فلا يحل لك أخذهما بمداراة بالأخذ أو بدونها ٠

(**وكذا فيما لا يجوز اخذها**) متعلق بقوله : لا يجوز (**من معطيها**) التشبيه عائد الى أنه سواء أكان الخوف من معطيها أم من غيره كما قال (**وان خيف**) ضر أو قطيعة (**من قبل غيره**) وليس تغيّباً بل التقدير ان خيف منه أو من غيره هذا هنا ، وفى الكلام حذف تقديره : وكذا فيما لا يجوز أخذها له من معطيها لا يجوز أخذها لخوف ، وان خيف من قبل غيره ، والتى لا يجوز أخذها هى عطية الحرام والريبة والأكل بالدين والرشـوة والعطية على الزنى ، ونحو ذلك ، فكما استوى الخوف من المعطى وخوف من غيره فى المسالة السابقة كذلك يستويان فى مسالة جـواز قبول العطية مداراة بالقبول كذلك استوى الخوف من المعطى والخوف من غيره فى مسالة عدم جواز قبول عطية غير جائزة الأخذ لحرمة أو ربا أو على ما لا يجوز

وجاز مناولتها وتبليغها لآخذها فيما جاز فيه اعطاؤها لمعطيها ولو حرم اخذها على آخذها وتؤخذ . . . .

عليه كالأكل بالدين وغير ذلك ، وقوله : له متعلق بيجوز ، وكل عطية لا تجوز فلا يجوز أخذها لمن علم انها كذا مما لا يجوز ، ولا لمن ظن أنها كذا مما لا يجوز ، وان ظن فاخذها فهى عليه تباعة ولو جهل أنها لا تجوز اذا كان عدم جوازها مما يدرك بالعلم مثل أن يظن أنه أعطاه على المداراة أو أعطاه على الرشوة أو على وجه وهو وجه حرام ، فلا يحل له أخذها ولو جهل حرمة ذلك (**وجاز مناولتها**) أى مناولة عطية المداراة بقبضها وحفظها وبيعها وقبض ثمنها والشراء بـه وشرائها لتعطى وجمعها ممن يعطيها وغير ذلك ، (**وتبليغها لآخذها**) وأخذ الأجرة على المناولة المذكورة والتبليغ لآخذها (**فيما جاز فيه اعطاؤها لمعطيها**) مداراة على نفسه (**ولو حرم اخذها على آخذها**) لأنه كما يجوز اعطاء الانسان اياها من ماله يجوز أخذها ممن يعطيها فيبلغها ، واذا أشكل الأمر رجعوا للجبار القاهر وعملوا بما قال اذ لم يقدروا على منعه وان ردهم لمن هو دونه ولو موحداً ولم يقدروا على الانصاف من هذا الذى هو دونه فهو كالجبار الأول ولو لم يعدل .

(**وتؤخذ**) أى يأخذها المسلمون أو غيرهم قهراً وجبراً ، وقد أشار بعض المشايخ الى الجبار كيف يفعل بهم فيعطونه وذلك انه قال : احبس ماشيتهم على الرعى ، وذلك نظراً لمصلحتهم ، وذلك أنهم كل يوم مر ولم يعطوا ضاعف عليهم الجائر ، وقال قائد المعز بن باديس لأبى زكرياء بن أبى مسور : على ماذا يقدر بنوير لسن ؟ فقال أبو زكرياء : على دينارين فندم فأعطاهما من عنده ، وفى الدليل والبرهان أن دية العاقلة فى الكتمان لا يلزمك منها شىء ان لم يحكمها الحاكم ، وكذا النوائب لا يلزمك منهـا

وان من مال يتيم أو غائب أو أرمل ان استقامت على حق لدفع عن أنفسهم وأمـوالهم . . . .

شىء ان لم يطلبوك بها ، وان طلبوك بها لزمك أن تعطى ، وان استثناك الجائر فلا عليك .

قلت : قدم قائد المعز بن باديس الى نهب « جربة » فاعتزل أبو زكرياء ابن يراسن فى الجامع ولم يصبه شىء وقد علم به وأخذ المال من أهل جربة ولم يأخذ منه شيئاً بل أمره أن يعتزل هو وعشيرته ، فاعتزل الى المسجد الكبير ، قال فى « الدليل والبرهان » : وأما كل ما يحدثه الناس فى بلادهم من الأسوار والخنادق والحصون فعليك ، وان لم يطالبوك فلا شى عليك ، ويتأخذ الناس عليها كلهم ، وتؤخذ منهم كلهم (**وان من مال يتيم**) أو يتيمة أو مجنون أو مجنونة أو غائب أو غائبة أو أخرس أصم أو خرساء صماء (**أو غائب أو**) انسان (**ارمل**) اى فقير محتاج ذكراً كان أو انثى ، وتقدم كلام على ذلك فى الهبات والحقوق .

قال ابن السكيت : الأرامل المساكين رجالاً كانوا أو نساء (**ان استقامت على حق لدفع عن أنفسهم وأموالهم**) أو عن انفسهم وعن أموالهم بأن قهرهم جائر عليها ولم يجدوا عنها بداً ودخلوا فيها بالعدل على الأموال ان كانت على الأموال ، وعلى الأنفس ان كانت عليها ، وعليهما ان كانت عليهما ، وحرم على من تسبب بالزامها جمعها وتناولها ، ولزمه كل مـا أعطوا ، وانما جاز أن تؤخذ من هـؤلاء لأنها حفظ لأموالهم أو أبدانهم أو لهما ، فكيف يلزم غيرهم أن يعطى عنهم ؟ أو كيف يتركون الى ضيعة الأموال أو الأنفس ؟ فاذا كانت على الأموال ولا مال لأحدهم فلا عطاء

وجازت فيها معاملة ما كانت بأيدى جامعيهـا قبـــل أن تدفع لآخذيهـا

وكره ترك مـداراة لأحـد على ماله أو مـا بيـده بأمانة أو وكالة • •

عليه ، وان كانت على الأنفس أعطى من لا مـال له ، وينظر فى ذلك الى كـلام الجـائر ان قـال : الزمتها على الأمـوال أو على الأنفس أو على ذلك كله •

(وجازت فيها معاملة) بشرائها وتبديلها وغير ذلك (ما كانت بأيدى جامعيها قبل أن تدفع لآخذيها) وهم الظلمة وأعوانهم ووكلاؤهم وخلائفهم ، واذا دفعت لآخذيها فلا تجوز معاملتهم لهم فيها ولا قبولها بالهبة أو غيرها ولا حفظها ولا أخذها الا على الحفظ لأصحابها ان طمعوا فى ذلك ، وان أخذوها على الرد فلم يقدروا لزمنهم ، وفى بعض كتب المالكية ما هو نص فيما ذكرت ونصه : ما تقول فيما يباع فى أسواق مصر مما يكون عليهم من القبالات ؛ اتشترى منه شيئاً ؟ قـال : لا وكل شىء كان بقبالة فى مصر أو سائر البلاد فلا أرى لأحد أن يشتريه ، وأراه حراماً الا ترى قول ابن القاسم : ومصر قد خبثت لأنها قد صارت قبالات كلها ، قال مالك وأصحابه : لا يكون هذا الا مع أمير جائر لا يترك الناس يفعلون فى مالهم ما شاءوا ا هـ •

قلت : وان حل ذلك فى دين مشرك أو غيره كصغرى فخلاف فى جواز معاملته فيه ، وقد مر فى محله •

(وكره ترك مداراة لأحد على ماله أو ما بيده بأمانة أو وكالة) ، ولا

ويضمن ما تلف بتركه وقيل : لا ولا يناول ماله ولا مـا بيده لمن لا يدارى عليه ولا يعطى عليـه خفارة •

يضمن ما أعطى عليه منه مداراة وان أعطى من ماله ادرك عليه ان اشهد على الادراك ، أو ما الرهن والوديعة واللقطة ومال القراض والعارية والكراء ونحو ذلك فذلك داخل فى الأمانة ، والحاصل أنه يشمل لفظ الأمانة كل ما بيده لغيره اذا لم يكن فى ضمانه ، واذا كانوا لا يجدون ما لهم الا بمداراة بأكثر منها أو بمثلها فلا يكره تركها بل يكره المداراة بأكثر الا ان كانت حاجتهم فى نفس مالهم أكثر فلا كراهة (**ويضمن ما تلف**) من الأمانات التى عنده (**بتركه**) للمداراة عنها بأقل منها ويضمنها كلها لا خصوص ما يبقى منها لو دارى عنها (**وقيل : لا**) يضمن (**ولا يناول ماله ولا ما بيده لمن لا يدارى عليه**) مريد أخذه (**ولا يعطى عليه خفارة**) أى ما يجعل لجائر على أن يمنع اموالهم ممن يأخذها أو انفسهم من قتل أو ضرب أو حبس ، وتقدم الكلام عليها ، ومن أمر غيره أن يعطى عنه المداراة جاز أن يعطيها عنه ويدركها ، وان أعطى على ما بيده من الأمانات من ماله أدرك على أصحابها ، وله أن يأخذ منها بنفسه ، ومن أعطى مال ليس امانة عنده لوجه الله أو على ان لا يدرك او مهملاً فلا يدرك على صاحبه ، وان أعطى على أن يدرك أدرك فيما بينه وبين الله ، وان اشهد على الادراك أدرك فى الحكم ايضاً ، وقيل : يدرك فيه أيضاً ولو بلا اشهاد ، ويصدق فى قوله : اعطيت على الادراك ، وقيل : أيضاً اذا أعطى مهملاً أدرك ، وتقدم فى الحمالة أن من أعطى عن أحد ما عليه من دين بلا أمر منه فانه قيل : يدرك وقيل : لا وتقدم فى الجنائز انه ان كفن أحـــداً من ماله أدرك فيما بينه

* * * * * * * * * * * * * *

وبين الله ، وان أشهد على الادراك أدرك فى الحكم أيضاً ، وله الأخذ فيما بينه وبين الله من مال الميت ، ومرّ وتقدم أن من نجى من العدو امانة أو عارية أو نحوهما بالفداء يدرك فيما بينه وبين الله ، ويعد فى الحكم متبرعاً الا ان أشهد على الادراك فيدرك ٠

خاتمـــة

روى : « لا حنث على مغصوب » وأجاز عزان فى التقية ما يجوز حال الاضطرار ، ومن اكره على وطء امرأة فعلية عقرها ، والكفر ان فعل لا الحد ، ومن اكره على عمل فى مغصوب مما يزيد به فتويته الحل والندم وان ضر فيه صاحبه أو غيره ضمن ، ومن حبس فى مغصوب تيمم بترابه واستجمر به ، وقيل : لا وان خاف من جبار حبساً يموت به لنحو عطش أو يتلف عضوه فله تصويب الكفر بلسانه فقط ، وان خاف أخذ ماله ويبقى ما يقوته وعياله ويرجع الى كفاية فلا يصوبه ، وأجاز بعضهم تنجية النفس من القتل بشرب الخمر وأكل الميتة والخنزير وفيه بحث مذكور فى « الشامل » وان طلبه بمال فله ان يفدى بالوديعة ويضمنها لربها ان كان يقتله لأن على المسلم ان يفديه بماله ، وكذا على غير المسلم .

ويجوز التقية على انتقاص منزلته وشتم عرضه ، وقيل : لا ، وللامام التقية ، وقيل : لا ، ومن أجبر على سكنى منزل فله سكنه وأن يجعل فيه كل ما يحتاج اليه أو يحفظه من كتب ومال وغيره ولا ضمان عليه بل على مجبره .

قلت : بل لزمه الا ان غرم المجبر له ، أن يأذن فيه ، ومن قال لمن له جاه عند جائر : كلّمه فى خراجى أعطكه او أكثر او اقل ، فلا يحل له أن يأخذ ، وانما نهى عن المنكر أو دفع المنكر .

. . . .

ويجوز أن يعين الكافر فى استخراج العطاء استبقاء على الرعية ، قيل : ولا يدفع عن مال اليتيم أو الغائب ببعضه قبل أن يغصب لأن الله قادر على ان يزيله .

ولأهل البلد أن يطلبوا الاحسان من الجائر أو عامله لا أن يطلبوه أن يبدله بأقل جوراً منه ولا بأحد معين ، فاذا أجابهم الى ما هو أصلح فلا يمتنعوا منه ، ويجوز ان يقولوا : ولاية فلان احب الينا من غيره ، وكره بعضهم الانتقال الى بلاد الشرك بالأهل والتجر ، ولم يحرم ذلك حتى يتخذه وطنا ، ومن ذكره جائر بسوء وتكلم أحد بما يقوى غضبه ضمن ، وقيل : لا اذ لم يقصد اغراء والله أعلم واحكم .

باب

هلك راج لعاص على عصيانه ثوابا أو نجاة . . . .

باب

في الرجاء للعاصي

(هلك راج لعاص) عصياناً كبيراً (على عصيانه ثواباً) أخروياً (أو نجاة) من نار الآخرة هالك نفاق ، وعلى بمعنى مع ، أو على أصلها ، والمعنى لعاص مصرّ على عصيانه او ثابت عليه ، وذلك أن يعلم منه كبيرة ويرجو له مع ذلك خير الآخرة على عمل من الخير يعمله أولا على عمل ، أو يرجو له النجاة من عذاب الآخرة ، فالمراد بالثواب ما من شانه أن يكون ثواباً للمطيع فرجاه للعاصي هكذا ، أو رجاه له على عمل يعمله ، وأما ان أراد أن للعاصي ثواباً لأجل عصيانه أو نجاة لأجله فذلك شرك ، وان أراد معصية مخصوصة فان اتفقوا على أنها معصية أو نصّ عليها في القرآن أو في المتواتر فشرك أيضاً ، والا فنفاق ، وكلام المصنف محتمل لذلك بجعل « على » للتعليل وتعليقها براج فيشمل

أو انقــلاعاً من كفر لمنصوص على كفره وموته عليه ولا يرجى خــير لهالك

على عصــيان شهر به أو يتمنى له وان لم ينص عليه • • • •

الهلاك الشرك والنفاق ، ويشمل العصيان المعصية الصغيرة والكبيرة على التفصيل المذكــور •

وان رجا له خير الدنيــا أو النجــاة من ضرها لا لمعصيته فلا بأس ، أطلق او اراد الاستدراج ، وان رجا له أحدهما لانه عاص ويرى أن المعصية توجب الثواب بذلك بدون قصــد استدراج فنفاق ، وان رجــا خير الآخرة أو النجــاة من ضرها لمنصوص عليه أو مجمع عليه فمشرك (**أو انقــلاعا**) أى أوراج انقلاعا اى وراج انقلاعاً أى توبة (**من كفر لمنصوص على كفره و**) عــلى (**موته عليــه**) اى على الكفر ، وهذا الكفر شرك لانه رجا لمنصوص على شقائه ، وذلك أن ينص القرآن او التــواتر او الاجمــاع على أنــه كافر هكذا ، ولا دليــل على توبته ، أو ينص ذلك على أنه مات كافراً ، فمن رجــا انه مات تائباً فهالك هلاك شرك •

(**ولا يرجى خير لهالك**) اى ميت (**على عصــيان**) متعلق بهالك أو نعت آخــر ، أى : لمكلف ميت مصر أو ثابت على عصــيان ، وأجــاز سيبويه نعت الوصف ، وقوله : (**شــهر به**) نعت عصيان كما اذا لم يشهر بــل عاينه أو قامت به البينة (**أو يتمنى لــه**) هــو فى حيز النفى ، أى ولا يتمنى له ، أو يقــدر أن المعنى أيما وقع من رجــاء له أو تمــنّ لم يجز (**وان لم ينص عليــه**) وهــذه المســألة تغنى عنها الأولى ، لأن الأولى فى الحى والميت وكأنه أراد بالأولى الحى فصور هــذه فى الميت ، أو لعله فرض الأولى فى المنصوص عليه ، وعلى هذا فمعنى قوله : وان لم ينص الخ والحال أنه لم ينص ، ومعنى قولهم فى صاحب الكبيرة : هو من أهل النار ، عندى أنه بحسب ما ظهر لى أنه من أهلها لا الجزم بأنه منهم •

وجـاز فيه الشـك انه عند الله على خلاف ما عندنا لا الظن وان لخير ، ولا يتمنى له ولا يجب ورخص لذى كفر وعصـيان بما يستحق بـه ثوابا من الله كالدعـاء له بذلك كخصلة من الايمان لا بالقبـول والنجـاة من الذنـوب . . . .

(وجـاز فيك الشـك انه عنـد الله على خـلاف ما عندنا لا الظن) لأن الظن : ترجيح احد الوجهين الممكنين ، الشـك : أن لا يرجح احدهما على الآخر فلم يجـز الظن (وان لخـير) وهو ان يكون صالحا ولا سيما الظـن لكونه سعيدا عند الله (ولا يتمنى لـه) ذلك الخـير الذى هو أن يكون صالحا ولا سيما كونه سعيدا ، (ولا يحب) الخير المذكـور ولا سيما حب كونه سعيداً ، (ورخص) فيهـا اى فى حب الخير وتمنيـه (لـذى كفـر وعصيان) أراد بالكفر الشرك وبالعصـيان كبيرة النفاق (بما يستحق بـه ثوابا) اخرويا (من الله) لو كان موفيا (كالدعـاء له بذلك) اى بما يستحق به ثواباً اخرويا لو كان موفيا بدين الله تعالى ، وسـواء فى ذلك خصلة واحـدة أو اثنتـان أو ثلاثة فاكثر لانـه يستحق الجنـة بخصـال كثيرة ولو فرائض مع بقاء واحـدة أو اثنتين فصاعداً ، مثل أن يتمنى له أن يكون يصلى او يحسن الصـلاة أو يزكى أو يصوم رمضـان او يحب لـه ذلك .

وكذلك يجوز لك أن تدعو لـه بترك معاص معـدودة كالربا والزنى والسرقة ، وأما أن يتمنى أو يحب لـه أن يأتى بالفرائض كلهـا أو ياتى بما لـم يأت به فيكون موفياً فلا ، فلو كان يؤدى الفرائض كلهـا الا واحدة لم يجز له تمنيها له أو حبهـا لـه ، وكـذا فريضتان أو ثلاثة فصـاعداً (كخصلة من الايمان) أراد بالايمـان الأعمـال مطلقاً ما يسمى توحيداً وما دونه ، والتشبيه يدخل الخصلتين فصاعداً حتى ينتهى الى حـد يدخل به الجنـة ، فكيف كما مثلت لك ؟ ويدخـل التشبيه أيضاً ترك المعاصى (لا بالقبـول والنجاة من الذنوب) أى من المـوت عليهـا ، وأما النجـاة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويجب حب العذاب الآجل له ويجزى قصد صنف منه لا أن يكره له غـيره

ولـزم أيضاً أن لا يحب له المنـافع الأخروية لا أن تكره له ٠ ٠ ٠

منهـا من أول فذلك طلب للعصمة كعصمة الملائكة لا يجـوز ولو لمتولى ٠

(**ويجب حب العذاب الآجل**) عذاب الآخرة (لـه) أى لـذى شرك أو عصـيان كبـير لأن ذلك من البراءة ، وهى واجبة ، (**ويجزى قصد صنف منـه**) مثـل أن يحـرق أو يدخـل الزمهـرير أو يبعـث منكوسـاً أو يعطى كتابه بشماله أو من [وراء] ظهره أو يحاسـب حساباً عسيراً ، أو يعذب فى قبره سوى الضمة التى تضم المؤمن والكافر ، وذلك على القول بأن الكافر يعذب فى قبره ، وقد يقال : عذاب القبر ان دعى به لـم يجـز عن البراءة ، وأنـه يجـوز الدعـاء بعدمه للمتبرأ منـه لحديث جعـل الجريدة على قبر الذى ينم وقبر الذى لا يستبرىء من البـول ليخفف عذابهما ، وان تولى بعض الكافر متصـلا أو منفصـلا حيا أو ميتـاً فقـد كفـر ، وان تبرأ من بعض المتولى متصـلا أو منفصلا حيا أو ميتـاً فقـد كفـر ، ومن قال للمتولى : رحم الله اصبعك فى الجنة أو غيرها من أبعاضه فلا يجزئه الا فى الوجه ، وقيل : فى الرأس ، وكذلك فى الطـلاق والنكاح (**لا أن يكره له غـيره**) أى غير الصنف المذكـور ، بل يقصـده بصنف منه ذاهلا عن غيره فى حقه أو غير عالم لغيره ولو حضر بباله ، وان كره لـه صـنا لم يجـز له ذلك ولم يؤد البراءة حـق الأداء بل ذلك نقض للبراءة الصادرة منه ، مثـل أن يحب لـه الزمهـرير دون الاحـراق أو بالعكس ولا يجزئه أن يحب له المضار الدنيوية ٠

(**ولزم أيضا أن لا يحب له المنافع الأخروية**) أى اذا أحبت له فقـد كفـر المحب لها (**لا أن تكره له**) أى : لا يلزم أن تكره له بل يجـوز ذهوله

الا ان خطرت على باله ولا يقال لمن لا كبيرة معه : انه من العاصـين ويدعى لمطيع بخير أخروى ويحب له . . . .

(**الا ان خطرت على بالـه**) بان يقـع فى بالـه التردد هـل يستحقها أو هل تحب له أو هل يجـوز حبهـا له ؟ أو سـال عن شىء من ذلك ، أو سـمع ذكـره أو رآه مكتـوباً فـلا يجـوز حينئذ الا أن يكرههـا له ، ولا يشـك أنه يصيب خيراً فى الآخـرة والا كفر ، ويحتمل دخـول السؤال فى قوله : خطرت أى وقعت فى باله بلا سؤال أو بسؤال أو نحـوه ، وعندى أنه لا كفـر بما جهـله من ذلك العقـاب ولـو خطـر له مثل أن يجهل الزمهرير أو عذاب القبر لهم فيخطر بباله فلم يثبته لهم اذ لم يعلم أنهـم يعذّبون به ، لكن ان جهل ذلك وكرهه لهم أو صـوّب نافيه أو تبرأ من مثبته لهم لاثبـاته كفر ، ولا يجـوز له أن يكره منافع الآخـرة لمن وقف فيه (**ولا يقال لمن لا كبيرة معه**) من المتولى والموقوف فيه الفاعلين لصغيرة أو ذنب لا يدرى ما هو صغير أم كبير : (**انه من العاصين**) أو أهل المعصية لأن هذين اللفظين يطلقان عرفاً على المصرين وأصحاب الكبائر ولأنهمـا يفهمان المبالغة فى المعصية فيتوهم السامع الكبيرة ، وهذا أولى مما قيـل ان صاحب الأصل منع أن يقال من أهل المعصية ، لأن المعصية تشمل الكبيرة والصغيرة ، لأنه لو أراد ذلك لقـال : لا يقال انه عاص أو عصى فيفهم منـه بالأولى أنه لا يجـوز من العاصين أو من أهـل المعصية ، وما يقـال ان اسم الفاعل لا يطلق على من فعل مرة غير مسـلم ، ومع ذلك فالأحـوط أن لا يقـال ذلك أيضاً ، لكن ان قاله أعنى قال : عصى أو عاص ، لم يبرأ من القائل لاحتمال كلامه الصغيرة .

(**ويدعى لمطيع**) لله عز وجل موف بفرائضه (**بخير أخروى ويحب له**

ويتمنى ويرجى وجوباً على كل مكلف كوجوب كره ضرها فى عامة المطيعين

ويجزى قصد صنف من خير . . . .

ويتمنى) لـه (**ويرجى**) له (**وجوبا**) أى : دعـاء وحبـاً وتمنيـاً ورجاء ذوات وجوب (**على كل مكلف**) لأن ذلك من الولاية وهى واجبة ، والفاعل الذى ناب عنه المفعـول فى يدعى ويحب ويتمنى ويرجى هـو المكلف ، فاظهره فى قوله : على كل مكلف ، لزيادة البيـان ، ولو أسقط قـوله : على كل مكلف ، لكان معلوما لأن محـل الوجـوب المكلـف (**كوجوب كـره ضرها**) أى ضرر الآخرة المدلول عليها بقوله : أخروى ، وفى نسخة : كوجوب كره اضدادها أى أضداد الدعـاء بخير أخروى وحبه وتمنيه ورجائه ، أى : يجب عليه أن يكره عدم الدعـاء والحب والتمنى والرجـاء ، وفيه نظر ، لأن مثل هذا لا يجب مطلقاً بـل اذا خطـر بلا سؤال أو بسؤال أو غيره وجب ، والا أجـزاه ايقاع الدعـاء وما ذكـر مع الذهـول عن كره عدم ذلك ولعـله أراد بالأضـداد الدعـاء بالشر الأخروى وفيه النظر المذكـور (**فى عامة المطيعين**) أى يجب ذلك ، وكره ضر الآخـرة للمطيع الخاص فى جملة المطيعين أى كما يجب فى ولايـة الجملة كما تقول : أكرم زيداً فى جمـلة الناس ، تريد : أكـرم جمـلة الناس وأكرم زيداً منهم ، وقوله فى عامة المطيعين : نعت لمنعوت مطيع أو لمطيع على قول سيبويه بجواز نعت الوصف ، أو أراد ولايـة الجملة (**ويجـزى قصد صنف من خير**) أخروى مثل أن تقول : اللهم حاسـبه حساباً يسـيراً أو حاسب المسلمين حساباً يسـيراً أو شـفع فيهم أو فيـه نبيـك محمد ﷺ أو وفقهم لرضاك أو اسعدهم فى الآخـرة أو اجعلهـم فائزين ، وكذا فى الخاص ، وذلك فى ولاية الجملة أو ولاية المنصوص عليهم تعبد نثاب عليه ، أو تزاد لهم الدرجات بذلك لأن لهم ذلك قطعاً فلا يرجى لهم رجاء بل يقطع ، وفى ولاية الأشخاص غير المنصوص عليهم سعى فى

بلا كـره غيره ولا يجوز حب تلذذ باكل أو شرب أو نكاح لملك كالدعـاء لـه بـه . . . .

حصـول الخير لهم ونثـاب على ذلك (بلا كـره غيره) أى غـير ذلك الصنف له أو لهم بل ذهل عن غيره ذهولاً أو عن نسـبته اليه أو اليهم أو لعدم علمه به مما يجـوز له جهله من صفات الجنـة كتزوج الحـوراء العيناء فيها ، وان كره غيره كفر ولو بجهـل ، وكذا ان تبرأ من مثبتـه أو صوّب نافيه أو فعـل ما يشـبه هذا من الاقترافات ولا يجـزئه فى الولاية حبّ الخير الدنيوى لمتولاه ، ولا كراهة شر الآخـرة له من غـير أن يستشعر له خيرها ولا يكفى فى الولاية الدعـاء بعدم عـذاب القبر لحديث : غرز الجـريدة .

(ولا يجـوز حب تلذذ بأكل أو شرب) أو نـوم (أو نكاح) أو نحو ذلك مما لا توصـف بـه الملائكة (لمَلَك) بفتـح الميم واللام خصـوصا ولا عموماً (كالدعـاء لـه به) أى بمـا ذكـر ، وكـذا نحوه وكالتمنى والرجـاء لـه بذلك ، فـان الخطـأ فى صفة الملائكة شرك ، وقيـل : لا يحكم بكفره الا ان عمّ ، وذلك أن ولاية الملائكة جملة توحيـد من لم يتولهم أشرك وكذا ولايـة المخصوص منهم اذا علمه كجبريل وميكائيل ، ومما لا يوصفون به التعب والراحـة والبـول والغائط واللحـم والـدم والعظم والشعر والشحم والعطش والـرى والجـوع وضـده ، والشهوة والذكورة والأنوثة والجنـون والطفولية والبلوغ الا شـهوة العبـادة لله عز وجل فانهم أبداً مشتهون له ويصلّون لما ورد فى الحديث : « ان جبريل عليه السلام صلّى بالنبى ﷺ والنبى ﷺ يصلى بأصحابه » (١) ويحجّون

---

(١) رواه مسلم .

ولا يحب لمسلم ما لا يوافق طبعه ولا يدعى له به وهلك من أحب

لما ثبت فى الحديث أنهم قالوا لآدم عليه السلام : « حَجَجْنا هذا البيت قبلك بألفى عام » ويصومون ، ولعل صومهم عبادة لا تقدم لها أجسامهم فى نفسها ولو أنهم لا تلحقهم مشقة ، الا ترى انه يقال : أمر جبريل بالاسراع فى كذا فأسرع حتى انكسرت له ريشة ، فجسمه لم يطق وهو لم تلحقه مشقة أوْ لا تلحقهم مشقة الاّ فى عبادة تسمّى صوماً ، وانما ولاية الملائكة بالترحم لا بالاستغفار ، ولا بالدعاء بالجنة للتلذذ فيها كتلذذ الآدمى ، وان دعا لهم بزيادة العبادة والدوام عليها فذلك ولاية : وكذا ان دعا لهم بدخول الجنة لا ليتلذذوا فيها بل ليكونوا فى رضى الله ، لأنه ليس فيها مسخوط عليه ، فهو جائز اذا لم يوهم السامع التلذذ بما يتلذذ به الآدمى من نحو أكل وشرب ، ويخص جبريل عليه السلام ، ولا يعذر فى جهله ولا فى ترك ولايته كما لا يعذر فى جملة الملائكة ، ورخص أن لا يلزمه ذلك حتى تقوم الحجة به أو بالجملة ، وأما غير جبريل من الأفراد فحتى تقوم به الحجة اجماعاً .

(ولا يحب لمسلم ما لا يوافق طبعه ولا يدعى له به) ولا يرجاه ولا يتمناه ، سواء فى ذلك جملة المسلمين والأشخاص ، وذلك مثل ما هو مكروه أو معصية أو يكون سبباً لعجزهم او كسلهم عن العبادة ، ومثل أن يكونوا مغلوبين أو جاهلين فذلك كله لا يجوز الدعاء به ولا الرجاء ولا التمنى ولا الحب له .

(وهلك) هلاك نفاق (من أحبّ) نفعاً اخروياً لذوى وقوف عنده

أو دعى بنفع أخروى أو ضر كذلك لذى وقوف عنده ·

(**أو دعى بنفع أخروى أو ضر كذلك**) اى أخروى (**لذى وقوف عنده**) وفى الدعاء له بشر الدنيا قولان هل هو براءة يكفر بها أم لا ؟ وهلك من حيث انه ظلم ، ولا يكره للموقوف فيه نفع الآخرة ولا ضرها ، والتمنى الرجاء كذلك لا يجوزان ، والله أعلم ·

بـــاب

بـــاب

فى وجوب الخوف والرجاء

الخوف هنا الاشفاق من عذاب الله عز وجل ، وضده الأمن ، والرجاء الطمع وضده الياس ، وهما يثبتان فى القلب بعدم الأمن فيه والخوف زاجر عن المعصية للعقاب عليها ، والرجاء داع الى الطاعة للثواب عليها ، وذكر الغزالى : أن الخوف رعدة تحدث فى القلب عن ظن المكروه يناله والخشية نحوه ، لكن تقتضى ضرباً من الاستعظام والمهابة ، وضد الخوف : الجراة ولكن قد يقابل بالأمن لأن الآمن يجترىء على الله سبحانه وتعالى ٠

ومقدمات الخوف أربع :

الأولى : ذكر الذنوب الكثيرة التى سبقت وكثرة الخصوم الذين لهم عليك مظالم وانت مرتهن لم يتبين لك الخلاص ٠

والثانية : ذكر شدة عقوبة الله تعالى التى لا طاقة لك بها ٠

والثالثة : ذكر ضعف نفسك عن احتمالها .

والرابعة : ذكر قدرة الله عليك متى شاء وكيف شاء ، والرجاء : ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله تعالى واستراحته الى سعة رحمة الله عز وجل ، وهذا من جملة الخواطر غير معذور للعبد ؛ ورجاء هو معذور وهو تذكر فضل الله تعالى وسعة رحمته ، والمراد التذكر على سبيل الاسترواح وضده الاياس وهو تذكر فوات رحمة الله تعالى وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية ، وهذا الرجاء فرض اذ لا سبيل للامتناع من الاياس الا هو ، وكذا الخوف فرض لأنه لا سبيل للامتناع من الآمن الا هو .

ومقدمات الرجاء أربع :

الأولى : ذكر سوابق فضله اليك من غير قدم أو شفيع .

والثانية : ذكر ما وعـد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته بحسب فضله وكرمه دون استحقاق بالفعل ، اذ لو كان على حسب الفعل لكان أقل شيء وأصغر أمر .

الثالثة : تذكر أنه يعطى على القليل كثيراً .

الرابعة : ذكر سعة رحمته وسبقه لغضبه وانه الرحمن الرحيم الغنى الكريم الرؤوف بعباده المؤمنين .

(لزم المكلف الخوف والرجاء) الخوف من غضب الله وعقابه والرجاء لرضى الله وثوابه (بلا حدّ) يعلمه المكلف فيزول عنه الخوف فيكون فى أمن منْ غضب الله وعقابه ، أو يزول عنه الرجاء فييأس من رضاه وثوابه ،

ويعلمه الله . . . .

(و) لهما حد (يعلمه الله) اذا وصله المكلف بكسبه كان فى أمن أو فى اياس ى نفس الأمر وهو طبق لما علمه منه فى الأزل لا يخالفه ، فباعتبار الأزل السعيد فى الأمن والشقى فى الاياس وما زاد على ذلك الحد فهو واجب أيضا لأنه لا يدرى هل وصل الحد ؟ وأخفى ذلك ليجتهدوا كما أخفيت ليلة القدر وساعة الاجابة فى الجمعة ، وقيل : الساعة الأخيرة ، والموت وقيام الساعة والذنب الذى يسخط به على العبد والحسنة التى يرضى بها عنه ليجتهدوا فى ترك ما يترك كله ، وفعل الطاعة ، وكذلك أخفى ايضا حدّ برّ الوالدين ولو رضيا عنه لامكان ان يرضيا عنه قبل بلوغ حده ، وكذلك أخفى حد التوبة وأخفى حد الوزن ، وأول البلوغ ، وأول وقت الصلاة ، وعن جعفر الصادق : أن الله تعالى خبّا ثلاثا فى ثلاث : رضاه فى طاعته ، فلا تحقروا منها شيئاً فلعل رضاه فيه ، وغضبه فى معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه ، وخبّا وليّه فى عباده فلا تحقروا منهم أحداً فلعله ولى الله .

وكذلك أخفى الصلاة الوسطى ، واسمه الأعظم ، وقيام الساعة ، ووقت الموت ، ويجوز أن يكون المعنى بلا غاية يبلغها المكلف فى خوفه ورجائه فيكون قد بلغ ما أوجب الله عليه فيهما ، وانما لم يجعل لهما حداً يعلمه المكلف ليجتهد فى الطاعة وينزجر عن المعاصى أبداً فذلك أصلح له وأوفر فى ثوابه ونجاته ، وانما كان يذكر الخوف والرجاء معاً فى الأحاديث والآثار مع أن ذكر أحدهما يكفى لأنه لو اقتصر على الخوف لتوهم الخوف الغالب أو الاياس اذ قد يتيقن الانسان بمكره فيطلق عليه الخوف بمعنى أنه كرهه ، وتوقع حضوره ، ولو اقتصر على ذكر الرجاء لتوهم الرجاء الغالب او الأمن اذ قد يتيقن الانسان محبوباً فيطلق عليه الرجاء بمعنى أنه يحبه ويتمنى وقوعه ، والا فالخوف فيه طرف من الرجاء ، والرجاء فيه طرف من الخوف ،

* * * * * * * * * * * * * *

فعليك ايها المكلف بقطع هذه العقبة فى تمام الاحتياط والتحرز وجد الرعاية فانها عقبة دقيقة المسالك خطرة الطريق ، وذلك ان طريقها بين طريقين مخوفيْن مهلكين ، طريق الأمن وطريق الاياس ·

وطريق الخوف والرجاء هو طريق العدل بين الطريقين الجائرين ، فان غلب الرجاء عليك حتى فقدت الخوف البتة وقعت فى طريق الأمن : ﴿ ولا يأمن مَكْرَ الله الا القَوْمُ الخاسرون ﴾ (١) وان غلب الخوف حتى فقدت الرجاء وقعت فى طريق الاياس : ﴿ ولا ييأس من رَوْح الله الا القوم الكافرون ﴾ (٢) فان ركبت طريقاً بين الخوف والرجاء فهو الطريق العدل المستقيم الذى هو سبيل أولياء الله وأصفيائه الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ (٣) فهذه ثلاث طرق : طريق الأمن والجراة ، وطريق الاياس والقنوط ، وطريق الخوف والرجاء ممتد بينهما ، فان ملْت يميناً أو شمالاً بقدم وقعت فى الهلاك وهلكت مع الهالكين ، فلا تنظر الى سعة الرحمة فقط فتأمن ، ولا الى عظم الهيبة والمناقشة فتقنط ، بل خذ منهما معاً فتركب طريق الخوف والرجاء ، قال الله تعالى : ﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾ (٤) الآية ·

ولا يتأتى سلوك هذه الطريق باجتناب المحبوب عند النفس واكتساب

---

(١) سورة الأعراف : ٩٩ ·

(٢) سورة يوسف : ٨٧ ·

(٣) سورة الأنبياء : ٩٠ ·

(٤) سورة السجدة : ٣٦ ·

انطاعة الثقيلة الا بالتحفظ بثلاثة أصول : الأول : ذكر قول الله تعالى فى الترهيب والترغيب ، والثانى : ذكر افعاله فى العفو والاخذ ، والثالث : ذكر جزائه فى المعاد من الثواب والعقاب ، فالترهيب والترغيب كقوله : ﴿ يا عباد فاتقون ـ افحسبتم انما خلقناكم عبثا ﴾ الاية ، ﴿ ايحسب الانسان ان يترك سدى ـ ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ـ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ـ وقدمنا الى ما عملوا من عمل ﴾ الاية ، وقوله تعالى : ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ الاية ، ﴿ ومن يغفر الذنوب الا الله ـ غافر الذنب وقابل التوب ـ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ـ كتب ربكم على نفسه الرحمة ـ الاية ـ ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء ـ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ .

وقد يجمع بين الترهيب والترغيب فى آية واحدة تخويفاً فى تامين وتحريكا فى تسكين ، فتكون الطريق عدلاً فلا يذهب القلب فى أمن أو اياس كقوله تعالى : ﴿ نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم ـ ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم ـ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول ـ ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ـ من خشى الرحمن ﴾ فلم يقل الجبار أو المنتقم ، وأما افعاله مع الخلق فكما روى أن ابليس لعنه الله عبد الله سبحانه وتعالى ثمانين ألف عام ولم يترك فيل : موضع قدم الا وسجد فيه لله سجدة ثم ترك له أمراً واحداً فطرده من بابه وضرب وجهه بعباده ثمانين ألف سنة ولعنه الى يوم الدين وأعد له عذاب أبد الابدين وكما طرد آدم عليه السلام صفيه ونبيه الذى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم الى جواره فاكل اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودى « أن لا يجاورنى من عصانى » وأمر الملائكة الذين حملوا سريره أن يزجروه من سماء الى سماء حتى

أوقعوه الى الأرض ، وكما أن نوحا لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها ﴿ رب ان ابنى من اهلى ﴾ (١) فنودى ﴿ فلا تسألن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين ﴾ (٢) وكذا مع غيره من الانبياء ، وكما ان بلعام كان بحيث اذا نظر راى العرش ومال الى الدنيا ميلة واحدة فسلب المعرفة وجعل كالكلب المطرود ، قال الله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذى ﴾ (٣) الخ ، وكان فى اول امره يكون فى مجلسه اثنا عشرة الف محبرة للمتعلمين يكتبون عنه ، وكما ان يونس عليه السلام غضب غضبة واحدة فى غير موضعها فسجنه فى بطن الحوت فى قعر البحر أربعين يوما وهو ينادى : ﴿ لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ﴾ (٤) فسمعت الملائكة صوته وقالت : الهنا وسيدنا صوت معروف فى موضع مجهول ، فقال تعالى : « ذلك عبدى يونس » فشفعت فيه الملائكة ثم بعد ذلك غير اسمه فقال : ﴿ وذا النون اذ ذهب مغاضبا ﴾ (٥) ثم ذكر نعمته عليه وقال : ﴿ لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾ (٦) وقال : ﴿ للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ﴾ (٧) وكما قال لرسول الله ﷺ : ﴿ فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ﴾ (٨) وكان ﷺ يقول : « شيبتنى هود واخواتها » وقال الله تعالى : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ الى أن من الله الرحمن الرحيم بالغفران فقال :

(١) سورة هود : ٤٥ .
(٢) سورة هود : ٤٦ .
(٣) سورة الأعراف : ١٧٥ .
(٤) سورة الأنبياء : ٨٧ .
(٥) سورة الأنبياء : ٨٧ .
(٦) سورة القلم : ٤٩ .
(٧) سورة الصافات : ١٤٤ .
(٨) سورة هود : ١١٢ .

• • • • • • • • • • • • • •

﴿ ووضعنا عنك وزْرَكَ الذى أنقض ظهْرك ﴾ (١) وقال : ﴿ انا فتحْنا لك فتحاً مبيناً ﴾ (٢) الآية ، وكان يصلى حتى ورمتْ قدماه فيقولون له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر ؟ فقال : « افلا أكون عبداً شكورا » (٣) .

وذلك من جانب الترهيب ، وأما الرجاء فانه لا أحد يعرف غاية رحمة الله أو يحسن وصفها ، فانه الذى يذهب كفْر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة ، قال الله تعالى : ﴿ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ (٤) وانظر الى سَحَرة فرعون قالوا : آمنا عن صدق قلوبهم فقبلهم وعفا عنهم ، والى أصحاب الكهف : ﴿ قالوا ربنا رب السماوات والأرض ﴾ (٥) فأكرمهم حتى أكرم كلْباً تبعهم ، وذكره فى القرآن ويكون معهم فى الجنة كما كان معهم فى الدنيا ، والى ما رُوى أن الله سبحانه وتعالى قال لموسى عليه السلام فى قارون : « استغاث بك ولم تغثْهُ فوعزّتى لو استغاث بى لأغثْته ولعفوْتُ عنه » وقال ﷺ : « الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » (٦) وعنه ﷺ : « ان الله عز وجل مائة رحمة فواحدة قسمها بين الجن والانس والبهائم فيها يتعاطفون وبها يتراحمون ، وأخّر منها تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة مع التى فى الدنيا » (٦) فمن أعطانا النعم الظاهرة والباطنة من هذه النعمة الواحدة وبدانا بالاحسان حقيق بأن يتم الاحسان فيجعل لنا من التسع والتسعين الحظ

(١) سورة الانشراح : ٢ .
(٢) سورة الفتح : ١ .
(٣) رواه ابو داود والترمذى .
(٤) سورة الانفال : ٣٨ .
(٥) سورة الكهف : ١٣ .
(٦) رواه مسلم .

الوافر ، نسال الله أن لا يخيب آمالنا ، وأما المعاد فكما قال ابن شبرمة : دخلت مع الشعبى على مريض نعوده وعنده رجل يلقنه : لا اله الا الله ، فقال له الشعبى : ارفق به ، فتكلم المريض فقال : ان تلـْقـَنى أو لا تلقنى فانى لا أدعهـا ، ثم قرأ : ﴿ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بهـا وأهلها ﴾ (١) ، فقال : الحمد لله الذى نجى صاحبها .

وكما روى أن الفضيل دخل على تلميذ له محتضر وجلس عند رأسه وقرأ سورة « يس » فقال : يا أستاذ لا تقرأ هذه ، فسكت ثم قال له : قل لا اله الا الله ، فقال : لا أقولها انى منها برىء ، ومات على ذلك ، فدخل الفضيل بيته يبكى أربعين يوماً لم يخرج من البيت ، ثم رآه بعـد ذلك فى النوم وهو يسحب الى جهنم ، فقال له : بأى شىء نزع الله منك المعرفة وكنت أعلم تلاميذى ؟ فقال : بالنميمة بين أصحابى ، وبحسدى لهم ، وبالخمر كانت لى علة فجئت الى الطبيب وسألته عنها فقال : اشرب كل سنة قدحاً من خمر فان لم تفعل تقم بك العلة ، فكنت أشربه .

(**وقد يتفاضل العباد فيهما**) بعض الخلق أعظم خوفاً من بعض ، والملائكة أشد خوفاً وبعدهم الأنبياء ، ولعل المراد بالتفاضل أن يكون خوفه ورجاؤه أعظم من خوف غيره ورجائه ، والا فكوْن الخوف أو الرجاء أعظم لا يجوز على المشهور ، الا ان جاز كون خوف الملائكة أو الأنبياء أعظم ، وليس الأولياء الذين يموتون خوفاً بأشد خوفاً أفضل منهم ولا بأشد خوفاً ، ولكن قوّى الله قلوب الأنبياء وخوّفهم خوف عقاب ، قال الله تعالى عن

---

(١) سـورة الفتح : ٢٦ .

ابراهيم عليه السلام : ﴿ واجْنبْنى وبنىّ أن نعبدَ الأصنام ﴾ (١) ورجاؤهم رجاء ثواب ، قال الله تعالى : ﴿ والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ـ الى أن قال : واجْعلنى من ورثة جنّة النعيم ﴾ (٢) لأن الخوف والرجاء عبادة تتعبد الله بها المكلفين كالصلاة والصوم ولزمـا المكلف ، ولو علم أنه من أهل الجنة أو من أهل النار أعاذنا الله منها ، ولكون الخوف والرجاء عبادة كالصلاة كلف بها من علم مصيره كالأنبياء وبعض الصحابة ، والمناسب لهذا أن يكون خوف الأنبياء ونحوهم خوف اجلال ، وقد قيل : خوفهم خوف اجلال ورجاء رحمة ، وقيل : خوف ملامة وطول حساب ، ويجوز أن يكونوا أوّلاً خائفين خوف عقاب ثم اذا وصلوا الحد المعلوم عند الله تعالى أخبرهم أنهم من أهل الجنة فيخافون بعد ذلك خوف اجلال ، ولعل معنى قول الشيخ أحمد : ولا يعملون فيهما الا الواجب أن العباد ولو تفاضلوا فى الخوف والرجاء وبلغ أحـد فيهما ما بلغ فانه لا يخرج عن الحد الواجب لأنهما واجبان عليه ما دام حياً ، ولا يظهر له حد ينتهى اليه فيها أبداً فى الوجوب ، وذلك بتقديم الميم على اللام ، وأما بتأخيرها فلعل الأصل لا يعلمون فيهما حدّ الواجب فحرّفه ناسخٌ .

(**وبلا ميْل لا يأس أو أمن**) قال الغزالى فى كتاب له سماه «العقبات»: لقد قيل ان من غلب عليه الرجاء صار مرجياً ، ومن غلب عليـه الخوف صار حر ورياً ، ولعل قائل ذلك أراد بالحرورى : أهل حروراء الذين هم من الصفرية لا اصحابنا رضى الله عنهم ، لأنا لا نقول : كل ذنب أو كل كبيرة شرك كما تقوله الصفرية ، قال : والمراد أن لا ينفرد المكلف بأحدهما والا فان الرجـاء الحقيقى لا ينفك عن الخوف الحقيقى ، والخوف الحقيقى

(١) سـورة ابراهيم : ٣٥ .

(٢) سـورة الشعراء : ٨٢ ـ ٨٥ .

وموجبات الرجاء : الفروض ، والخوف : الذنوب وجهل المصير معهما وهلك من رجح وان فى حال لا يعلم لنفسه ذنباً او فى حال معصية • •

لا ينفك عن الرجاء الحقيقى ، ولذلك قيل : الرجاء كله لأهل الخوف الا الآمن ، والخوف كله لأهل الرجاء الا الايأس •

(**وموجبات الرجاء : الفروض**) أو مع التنفل يرجو قبولها والثواب عليها ؛ (**و**) موجبات (**الخوف : الذنوب**) يخاف العقاب عليها وبطلان أعماله الصالحة بها ، وذلك على اطلاقه ، وقيل : ان الفرائض التى ليست محدودة كبر الآباء والندم على الذنوب وجهل الصغائر توجب الخوف أن يعاقب ان لم يأت بالحد الواجب ، ويثاب ان أتى به ، والمعصية التى لا يدرى ما هى يخاف أن تكون كبيرة فيعاقب أو صغيرة فتغفر له ان اجتنب الكبائر (**وجهل المصير**) يخاف أن يموت مصراً او غير مقبول التوبة فيصير الى النار (**معهما**) أى : مع النوعين نوع الذنوب ونوع الفروض ، لا يدرى لعله لم يصل الحد الواجب فى أداء الفرض او فى التوبة ، او الضمير عائد الى الخوف والرجاء ، قال فى « القواعد » : ويثبتان أيضاً بجهل المصير وعاقبة الخاتمة ، وبجهل قبول التوبة اذا تاب من ذنب اقترفه ، يعنى يثبت الرجاء والخوف •

(**وهلك من رجح**) الخوف أو الرجاء هلاك نفاق (**وان فى حال لا يعلم لنفسه ذنبا او فى حال معصية**) يخاف الموت عليها ، والعقاب عليها ، ويرجو الانقلاع والتوفيق للأعمال الصالحات فيثاب عليها ، وعلى ما سبق تلك المعصية من العبادة •

(ورخص) أن لا يهلك (ما لم ينعر من أحدهما) أى : الخوف والرجاء لكن اذا انعرى من احدهما لم يبق اسم الآخر ، فاذا لم يكن خوف لم يبق رجاء بل امن ، واذا لم يكن رجاء لم يبق خوف بل اياس ، وعن بعض العلماء : اذا احتضر المؤمن فالأَولى أن يميل الى الرجاء كما قال حذيفة عند احتضاره : اللهم انك أمرتنا أن نعدل بين الخوف والرجاء فالآن الرجاء فيك امثل ، قال لقمان لابنه : يا بنى كنْ ذا قلبين ، قلب تخاف الله به خوفاً لا يخالطه تقنيط ، وقلب ترجو الله به رجاء لا يخالطه تغرير ، وعن رسول الله ﷺ : « لو وُزنَ خوف المؤمن ورجاؤه بميزان طريس ــ اى محكم ــ ما زاد احدهما على الآخر » (١) وقال الغزالى فى « العقبات »: العبد اذا كان قوياً صحيحاً فالخوف أولى به ، واذا مرض وضعف ولا سيما من أشرف على الآخرة ، فالرجاء أولى به لما روى أن الله تعالى يقول : « انا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتى » فيصير رجاؤهم أولى فى ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم من الصحة والقوة والامكان ، ولذلك يقالُ لهم : ﴿ الاّ تخافوا ولا تحزنوا ﴾ (٢) وان قلت اليئْست قد جاءت الأخبار الكثيرة فى حسن الظن بالله عز وجل والترغيب فى ذلك ؟ فاعلم أن من حسن الظن بالله الحذر من معصيته ، والخوف من عقابه ، والاجتهاد فى خدمته ، واعلم أن ها هنا اصلاً اصيلا ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثير من الناس وهو الفرق بين الرجاء والأمنية ، فالرجاء يكون على اصل والأمنية على غير اصل ، مثاله ان يزرع [احــد] ويجتهد ببذر فيقول : أرجو أن يحصل لى منه مائة قفيز فذلك رجاؤه ، وآخر لا يزرع واذا جاء وقت الحصاد

(١) رواه البيهقى .
(٢) ســورة فصلت : ٢٩ .

• • • • • • • • • • • • • •

قال : أرجو أن يحصل لى مائة قفيز ، فيقال : من أين لك هـذا الرجاء ولم تقدّم أسبابه ؟ فكذلك من اجتهد فى العبادة لله عز وجل وترك المعاصى فانه يقول : أرجو ان يتقبل الله عز وجل هذا اليسير ، ويتم هذا التقصير ، ويعظم الثواب ، ويعفو عن الزلل ، وأحسن الظن به ، فهذا منه رجاء ، وأما ان ترك الطاعة وعصى ولم يبال بالوعيد وقال : ارجو الجنة والنجاة من النار فذلك أمنية لا حاصل لها سمّاها رجاء وحسن ظن ، وذلك خطأ وضلال كما قال ﷺ : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتّبع نفسه هواها وتمنى على الله » (١) وفى ذلك يقول الحسن البصرى : ان قوماً الفتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ليست لهم حسنة ، يقول احدهم : انى احسن الظن بربى وكذب ، لو احسن الظن به لأحسن العمل له ، وقرأ : ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ﴾ (٢) الآية ؛ وفسر القرطبى حسن الظن بالله أن يطمع فى مغفرة الله وينبغى أن يكون ذلك غالباً عليه عند الموت ، وعن ابن عباس : اذا رأيتم بالرجل الموت فبشّروه ليلقى رب وهو حسن الظن بالله ، وتحقيق ذلك عندى أن لا يميل للخوف ، وان مال للرجاء عند الموت جاز ، وروى عنه ﷺ : « ثمن الجنة حسن الظن بالله » (٣) ، قال بعضهم : رأيت أبا ميسرة العابد وقد بدت أضلاعه فقلت له : يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب ، وقال : هل رأيت ما يدل على القنوط : ﴿ ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (٤) فأبكانى قوله ، واذا بلغ المكلف الحد الذى يؤدى به ما عليه فى نفس الأمر عند الله من الخوف والرجاء وجاوز أحدهما الى الآخر فلا يعصى بذلك لأنه

---

(١) رواه مسلم وابو داود .

(٢) سورة فصلت : ٢٢ .

(٣) رواه الترمذى وابن حبان .

(٤) سورة الأعراف : ٥٦ .

لا يعلم أنه قد بلغ الحد الذى يؤدى به .

(و) الخوف والرجاء هما (**أمران متغايران يجتمعان وقد يرتفعان**) أى : يزولان معاً كالآيس وكامن المكر فان كلاً منهما غير خائف ولا راج بل جازم ، وكالذاهل والنائم والمجنون فان هؤلاء لا خائفون ولا راجون (**أو**) يزول (**أحدهما**) ويبقى الآخر وينظر كيف يخاف ولا يرجو ، أو يرجو ولا يخاف ، فانهما متلازمان ، أو لو لم يخف لما قيل رجا ولو لم يرج لما قيل خاف ، وتقدم كلام فى ذلك ، وأراد بالمتغايرين الخلافين كالضحك والكلام ، فان الخلافين يجتمعان ويرتفعان ويوجد كل منهما دون الآخر ، فالتقابل بين الخوف والرجاء تقابل التضاد .

قال السنوسى : أنواع المنافاة أربعة : تنافى النقيضين ، وتنافى العدم والملكة أى بضم الميم واسكان اللام ، وهى الوجود ، وتنافى الضدين ، وتنافى المتضايفين ، فكل نوع من هذه الأنواع لا يمكن فيه الاجتماع بين الطرفين . أما النقيضان فهما ثبوت أمر ونفيه كثبوت الحركة ونفيها ، وأما العدم والملكة : فهما ثبوت أمر ونفيه عمّا من شأنه أن يتصف به كالبصر والعمى ، فالبصر وجودى والعمى عدمه ، عما من شأنه أن يتصف به ، فلا يقال فى الحائط : أعمى ، وبهذا فارق هذا النوع النقيضين ، فان كلاً من النوعين ثبوت أمر ونفيه ، لكن النفى فى تقابل العدم والملكة مقيد بنفى الملكة عما من شأنه أن يتصف بها ، وفى النقيضين لا يتقيد بذلك ، وأما الضدان فهما الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف ، ولا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر ، كالبياض والسواد ، والمراد بغاية الخلاف التنافى بينهما بحيث لا يصح اجتماعهما ، بخلاف البياض مع الحركة فانهما أمران وجوديان مختلفان فى الحقيقة ، لكن ليس بينهما غاية الخلاف التى هى التنافى لصحة اجتماعهما اذ يمكن أن يكون المحل الواحد متحركاً أبيض ،

واما المتضايفان فهما الامران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخـلاف ، ويتوقف أحدهما على تعقل الآخر كالأبوة والبنوة ، والمراد بالوجود فى المتضايفين ان كلا منهما ليس معناه عدم كذا لأنهما وجوديان فى الخارج ، اذ معلوم عند المحققين أن الأبوة والبنوة امران لا وجود لهما فى الخـارج عن الذهن ، وأهل الأصـول يجعلون أقسـام المنافاة اثنين فقط : تنافى النقيضين ، وتنافى الضدين ، ويجعلون العدم والملكة داخلين فى النقيضين ، والمتضايفين داخلين فى الضدين ، ولهذا يقولون : المعلومات منحصرات فى أربعة : المثلين ، والضدين ، والخلافين ، والنقيضين ، لأن المعلومين ان امكن اجتماعهما فهما الخلافان ، وان لم يمكن ولم يمكن ارتفاعهما فهما النقيضان ، وان أمكن مع ذلك ارتفاعهما فاما أن يختلفا فى الحقيقة أمْ لا : الاول الضدان والثانى المثلان ، فخرج من هذا أن القسم الأول من هـذه الأقسام الخلافان ، وهما يجتمعان ويرتفعان كالكلام والقعود ، والثانى : النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كوجود زيد وعدمه ، والثالث : الضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالحركة والسكون فانهما لا يجتمعان وقد يرتفعان بعدم محلهما ، والرابع المثلان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالبياض والسواد ، واحتج من قال ان المثلين لا يجتمعان بأن المحل لو قبل المثلين لجاز وجود احدهما فى المحل مع انتفاء الآخر فيخلفه ضده فيجتمع الضدان .

(**وحرم**) على المكلف (**الخوف للمسلمين**) هكذا (**والرجاء للكافرين**) هكذا لأن المسلمين عند الله ما لهم الا الجنة ، والكافرين عنده تعالى ما لهم الا النار ، لقوله تعالى فى القرآن من أن للمؤمنين الجنة وللكافرين النار : ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى ﴾ (١) الآية ،

---

(١) سـورة السجدة : ١٩ .

كالمنصوص عليه من كل ولا يلزم خوف لذوى وقوف ولا رجاء ولا يخاف

لطفل مطلقاً ويرجى لولد مسلم ومن رجا لطفل غيره لا يعصى به • •

والنار وعدها الله الذين كفروا ﴾ ونحو ذلك (**كالمنصوص عليه من كل**) من النوعين نوع المسلمين ونوع الكافرين فانه يحرم على المكلف الخوف لمن نص عليه أنه مسلم ، ويحرم الرجاء لمن نص عليه أنه كافر وسواء فى ذلك النص بالاسم الموضوع له أو بالصفة وحدها نحو : ﴿ وقال الذى آمن ﴾(١) ومثل : ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا ﴾ (٢) الآية ، ويجوز أن يخاف على المسلم غير المنصوص عليه أن يكون معه فيما بينه وبين الله ما يستوجب به النار ، أو أن ينتقل عما كان عليه من الايمان والوفاء •

(**ولا يلزم خوف لذوى وقوف ولا رجاء**) فان خاف له ورجا فلا اثم عليه ما لم يجب له الثواب أو العقاب (**ولا يخاف لطفل مطلقاً**) طفل الموقوف فيه أو طفل الكافر وطفل المسلم ، ومن زعم أن أطفال الكافرين فى النار أو يختبرون يوم القيامة فانه يخاف عليهم ، ويجوز أن يريد بالاطلاق : الاحتراز عن أن يخاف أن يبلغوا ويكفروا ، (**ويرجى لولد مسلم**) مات الطفل أو حيى ولكن ان حيى فله الخوف لجواز أن يبلغ ، بل ان مات غير بالغ امكن الخوف من حيث أن أباه بالغ يخاف له ، وليس ذلك أن تخاف النار لطفل مات •

(**ومن رجا لطفل غيره**) أى : غير المسلم ويخاف أن يبلغ فيكفر (**لا يعصى به**) على القول بأن أطفال الكفار فى الولاية ، بل ان رجالهم ولم يحب لهم الثواب فلا بأس مطلقاً كما مر فى الموقوف فيه ، سواء قلنا

---

(١) سورة غافر : ٣٧ •

(٢) سورة الكهف : ٦٥ •

وقيل بالوقف ، وجاز خوف من مضار الدنيا ورجاء منافعها ما لم يسأ الظن بالله تعالى أو يحتم وقوعها أو عدمه وان من انسان ما لم ينفيا

بالوقوف فى أطفالهم أو بالبراءة ، وكذا ان خيف ولم يجب لهم العقاب (**وقيل : بالوقف**) فى عصيان الراجى له (**وجاز خوف من مضار الدنيا ورجاء منافعها**) وذلك لنفسه أو لغيره ، ولا يجب ذلك ، فان رجا وخاف باستواء أو بترجيح أو أعرض عن الخوف والرجاء أصلاً فى المضار والمنافع الدنيوية فلا اثم عليه ، وان اشتد خوفه من مضار الدنيا حتى أساء الظن بالله تعالى أو جزم بعدم المنافع فأساء الظن به أو جزم بوقوع المضار فاساء الظنّ به تعالى أو اشتد رجاؤه المنافع فحتم وقوعها ولم يستشعر أنه يمكن أن لا يوقعها الله كفر ، كما أشار اليه بقوله : (**ما لم يسأ**) بالبناء للمفعول وهمزة الالف بهمزة ساكنة ، أو هو بألف بدل من الهمزة الأخيرة فى أساء بعد حذف الالف قبلها لالتقاء الساكنين (**الظنّ بالله تعالى**) مثل ان يقول : لعل الله لا يفى لى بما ضمن لى من الرزق أو نحو ذلك ، ومثل أن يقول : لعل الله لا يفى لى بما ضمن لى من كفاية المضار .

(**أو يحتم وقوعها**) أى : وقوع المضار أو المنافع الدنيوية (**أو عدمه**) أى : عدم الوقوع وذلك اساءة للظن بالله تعالى ، وذلك أن يظن الله تعالى لا يرزقه أو لا يعافيه من مرضه أو نحو ذلك ، فان الواجب ان يقول لنفسه : ان المصائب لا تدوم ، وسواء فى ذلك خوف مضار الدنيا ورجاء منافعها لنفسه أو لغيره ، ويجوز أن يخاف من مخلوق ضر الدنيا ويرجو منه نفعها كما قال : (**وان من انسان**) فقوله : وان من انسان غاية لقوله : وجاز خوف من مضار الخ ، أى : ولو كان المضار أو المنافع من انسان أو ولو كان خوفه من انسان ، لمضاره ورجائه منه لمنافعه فانه لا ضير عليه بالخوف من مخلوق أو برجاء مخلوق (**ما لم ينفيا**)

عن الله ويلام على تقصير فيما لزمه ويمدح على الجميل والاحسان ما لم يعتقد نفيهما عنه أيضاً ولا يثق بما فى يده أو غيره دون موالاة ولا بحرمته او قدرته

بالبناء للمفعول والالف عائد الى نوعى مضار الدنيا ومنافع الآخرة ، (**عن الله**) وان نفاهما عن الله تعالى هلك شركاً لأنه لا نفع ولا ضر الا من الله تعالى ، اما بلاء جرى على يد مخلوق أو يجرى على يد مخلوق ، قال بعض العارفين : من يعتقد الضر من المخلوق ككلب ضرب بحجر فاقبل على الحجر يعضه ، ومن يعتقد الاحسان من المخلوق كدابة يرسل اليها مالكاً علفاً وتحب الرسول دونه ، وليس التائه من تاه فى البرية بل من تاه عن الهدى بطلب العز من الناس ، ولا يطلبه من الله ، فان العز هو العز عند الله سبحانه ، ومن اخطأ الطريق لم يزده سيره الا بعداً ، فاذا قلت : لا اله الا الله طالبك الله بحقها ، وهو أن لا تنسب الأشياء الا إليه ، (**ويلام**) الانسان (**على تقصير فيما لزمه**) أو أكد فى حقه أو ينبغى (**ويمدح على الجميل**) الكسبى والطبعى (**والاحسان**) ولا باس بذلك اللوم أو المدح (**ما لم يعتقد نفيهما**) أى نفى الجميل والاحسان (**عنه**) أى : عن الله (**أيضاً**) فان نفاهما عنه تعالى كفر كفر شرك لأنه لا يحدث شىء الا وهو من الله ومخلوق الله تعالى ما كان لمخلوق فيه كسب وما لم يكن له فيه كسب .

(**ولا يثق بما فى يده أو**) يد (**غيره دون موالاة ولا بحرمته أو قدرته**) ولا بمخلوق يجلب له ما يجب ، وقوله : دون موالاة ، زيادة بيان لقوله : ولا يثق بما فى يده أو غيره ، لأن من استوثق بشىء لا يتصور أن يكون قد استوثق أيضاً فيه بالله ، واذا استوثق بالله زالت الثقة كلها بغيره ، ولو تقين وجود الشىء بالوحى مثلاً فانما الذى يوجده هو الله تبارك وتعالى ، فمن استوثق بما فى يده وأعرض عن كون الله قادراً أن يزيله وان يثبته فقد توكل على غير الله ، أو ان أيقن أنه من الله على اثباته

الا ان تيقن أن ذلك من عند الله وانه المعطى له ولو شـاء لأذاله عنه ٠

وازالته فقد توكل على الله تبارك وتعالى كما قال : (**الا ان تيقن أن ذلك من عند الله وانه المعطى له ولو شـاء لأزاله عنه**) فيبقى أنه وثق بمـا فى يده ، بمعنى أنه مال اليه ، ولا بأس لأنه قد ايقن أنه لو شاء الله لأزاله وان ظن أن ذلك من قبل المخلوق استقلالاً به أو أنكر أن يكون من قبل الله تعالى اوشك أنه من الله تعالى أو غيره فقد أشرك ، ويقال : الثقة بما فى اليد من ضعف اليقين ، والثقة بالموجود سوء ظن بالمعبود ٠

تنبيهـــــات

الاول : الخوف والرجاء جناحات بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ، ومطيّتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤُد ، كما ان الخوف سوط زاجر لعامة المؤمنين عن المعصية ، والرجاءُ داع الى الطاعة ، والرجاء من مقدمات السالكين وانما يسمّى مقاماً ما ثبت ودام ، وما كان عارضاً سريع الزوال يسمى حالاً ، والمنتظر اذا كان محبوباً يحصل من انتظاره لذة للقلب ، فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظاره ما هو محبوب عنده ، فان كان الانتظار لحصول أسبابه الكثيرة فرجاء صادق ، والا فكاذب ، واسم الغرور أحق بـــه ، ولا يطلق اسم الخوف والرجاء الا فيما يتردد فيه ، والاسباب : الاعمال الصالحـــة ، والاحتراز عما يفسدها ، والتوبة عمـا صدر ، ومن كره المعصية وتسوءه والحسنة تسرّه ويذم بنفسه ويشتهى التوبة فحقيق برجاء التوفيق ؛ لان ذلك يفضى الى التوبة بل هو اصلها وطرف منها ، قال الله سبحانه وتعالى فيمن ترك الاسباب : ﴿ فخلف منْ بعْدهمْ خلفٌ اضاعوا الصّلاة ﴾ (١) الآية ، وقـــال : ﴿ فخلف منْ بعدهم خلفٌ ورثوا الكتاب ﴾ (٢) الآية ، وقال عن الكافر : ﴿ ولئنْ رددتُ الى ربّى ﴾ (٣) الآية ، فمن انهمك فى المعاصى ولا يعزم على التوبة

---

(١) ســـورة مريم : ٥٩ .
(٢) ســـورة الأعراف : ١٦٩ .
(٣) ســـورة الكهف : ٣٦ .

فرجاؤه كرجاء من لم يزرع ، أو زرع فى سبْخة أن يحصد، أو كرجاء من زرع ولم يتعهده بسقى ولا تنقية ، قال ﷺ « الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (١) ، وانما الرجاء الحقيق بعد تأكد الأسباب ، قال الله تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرْجون رحمة الله ﴾ (٢) أى : يستحقون الرجاء ، فان رجاء العفو والتوبة والقرب من الرحمن ببذر النار بلا ندامة من اعظم الاغترار :

ترجـو النّجاةَ ولم تَسْلكْ مسالكها
انّ السفينة لا تجْرى على اليَبَس

والله أعلم .

التنبيه الثانى : اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف ، لأن أقرب العباد الى الله أحبهم له ، والحب يغلب بالرجاء ، الا ترى ان من يخدم السلطان باختياره لحبّه السلطان احب الى السلطان ممن يخدمه قهْراً ولذلك قال الله تعالى : ﴿ لا تقْنطوا من رحمة الله ﴾ (٣) ، وفى رواية : قال الله عز وجل ليعقوب : « اتدرى لم فرّقْتُ بينك وبين يوسف ؟ لأنك قلت : أخاف أن يأكله الذئب ولم ترْجنى ، ونظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفْظى » وقال ﷺ : « لا يموتنّ أحدكم الا وهو يحْسنُ الظّنّ بالله تعالى » (٤) ، وقال ﷺ : « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى فلْيظنّ بى ما شاء » (٥) ، ودخل ﷺ على رجل وهو فى النزع فقال : « كيف تجدُك ؟ » فقال : أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو

---

(١) رواه ابو داود .
(٢) سورة البقرة : ٢١٧ .
(٣) سورة الزمر : ٥٣ .
(٤) رواه البيهقى .
(٥) رواه مسلم .

رحمة ربى ، فقال ﷺ : « ما اجتمعا فى قلْب عبْد فى هـذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وأمّنه مما يخاف » (١) ، وقال علىّ لرجل أخرجـه الخوف الى القنوط : يا هذا أيأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك ؟ وقال سفيان : من أذْنَبَ ذنباً فعلم ان الله تعالى قدّره عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبهُ لأن الله عيّر قوما فقال : ﴿ وذلكمْ ظنُّكمُ الذى ظننْتم ﴾ (٢) الآية ، وقال : ﴿ وظننتْم ظنّ السّوء وكنْتم قوْماً بوراً ﴾ (٣) ، وعنه ﷺ : « ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ما منعك اذا رأيت المنكر أن تغيّره ؟ فان لقنه الله حجته قال : رب رجوْتك وخفْتُ الناس ، فيقول الله تعالى : قد غفرْتُ لك (٤) ، وذلك اذا لاحت له أمارة عـدم القدرة على الانكار ، وسبب غفرانه قوله : رجوتك .

وروى قومنا : أن رجلا كان يداين الناس فيتسامح للغنى ويتجاوز عن المعسر ، ولقى الله ولم يعمل خيراً قط فقال الله عز وجـل : « من أحق بذلك منّا ؟ » فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع افلاسـه عن الطاعات ، وهذا قد ختم بالتوبة ومات قبل العمل فكانت مسامحته ومجاوزته سبباً لقبول توبته ولصدقها فأثبت عليهـا ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ ان الذين يتلون كتاب الله ــ الى قوله تعالى ــ يرجـون تجـارة لن تبـور ﴾ (٥) ، ولمـّا قال ﷺ : « لو تعلمـون ما أعلـم لضحكتم قليـلا ولبكيتم كثيراً ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم » ، هبط جبريل عليه السـلام فقال : ان ربك يقـول لك : « لم تقنط عبادى ؟ » فخـرج عليهم ﷺ ورجاهم وشوقهم ، وفى

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سـورة فصلت : ٢٣ .
(٣) سـورة الفتح : ١٢ .
(٤) رواه أبو داود .
(٥) سـورة فاطر : ٢٩ .

الخبر : « ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام : أحبنى وأحبّ من يحبنى وحببنى الى خلقى فقال : يارب وكيف أحببك الى خلقك ؟ قال : أذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى واحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون منى الا الجميل » (١) وروى قومنا : أن أبان بن أبر عياش رؤى بعد موته فى النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء فقال : أوقفنى الله تعالى بين يديه فقال : يا شيخ ما حملك على ذلك ؟ فقلت : أردت أن أحببك الى خلقك ، فقال : قد غفرت لك ، وان يحيى بن أكثم رئى فى المنام بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى الله تعالى يديه وقال : يا شيخ السوء فعلت وفعلت ، فاخذنى من الرعب ما يعلم الله ، ثم قلت : يارب ما هكذا حدثت عنك ، فقال : وما حدثت عنى ؟ فقلت : حثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس عن نبيك ﷺ عن جبريل أنك قلت : « أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء » وكنت أظن بك أن لا تعذبنى ، فقال عز وجل : صدق جبريل وصدق نبيى وصدق أنس وصدق الزهرى وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت ، قال : فألبست ومشى بين يدى الولدان الى الجنة فقلت : يالها من فرحة .

وكان رجل من بنى اسرائيل يقنطُ الناس ويشدّد عليهم فيقول الله تعالى يوم القيامة : اليوم أؤيسك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى منها ، وقال ﷺ : « لا يعلم وسع رحمة ربى الا هو » (٢) .

التنبيه الثالث : يداوى بالرجاء نفسه من واظب على الطاعة حتى أضر بنفسه وأهله لغلبة الخوف ، ومن غلب عليه الاياس فترك العمل ، وأما العاصى المغرور المتمنى فأدوية الرجاء تنقلب سموما مهلكة فى حقه ، فالرجاء كالعسل شفاء لمن غلبت عليه البرودة ، سم لمن غلبت عليه

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابن ماجة .

الحرارة ، والعالم طبيب يجعل الدواء حيث ينفع ، فالدواء بالرجاء بذكر النعم وأخبار الرجاء وآياته وآثاره ، فتذكر النعم أن يتذكر أن الله تبارك وتعالى أعدّ له فى الدنيا كل ما يحتاج اليه فى الحياة وهو الطعام والشراب واللباس والمركوب والآلات كالأصابع والأظافير وزينه بتقويس الحاجبين ، واختلاف ألوان العينين ، وحمرة الشفتين ، وهيّأ له أسباب السعادة ، فمن أنعم علينا وبالغ حتى انعم بما لا نحتاج اليه لزوماً كالتقويس واختلاف الألوان المذكورين وأدام وأكثر حتى انا لنكره الموت ولو تيقنا أن لا نعذب لما ألفنا من النعم فى الدنيا حقيق بأن يلطف بنا فى أمر الدين سنتوصل الى نعم الآخرة ، وأما الآيات فمنها آية التداين فى البقرة ، كان بعض يراها أقوى أسباب الرجاء ، فقيل له : وما فيها من الرجاء ؟ فقال : الدنيا كلها قليل ، ورزق الانسان منها قليل ، والدين قليل ، من رزقه فانظر كيف أنزل فيه أطول آية ليهدى عباده الى طريق الاحتياط فى حفظ دينهم فكيف لا يحفظ دينهم الذى لا عوض لهم منه ؟ وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ (١) الآية ، وفى قراءة رسول الله ﷺ : « ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم » ، وقال : ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ﴾ (٢) وقال : ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ (٣) ، ولم يزل رسول الله ﷺ يسأل فى أمته حتى قيل له : أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية : ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ ؟

وكان أبو جعفر محمد بن على يقول : أنتم أهل العراق تقولون : أرجى آية فى كتاب الله عز وجل قوله : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا ﴾

---

(١) سورة الزمر : ٥٣ .
(٢) سورة الشورى : ٥ .
(٣) سورة الرعد : ٦ .

الآية ، ونحن أهل البيت نقول : أرجى آية فى كتاب الله قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ (١) ، قالوا : لا يرضى محمد واحداً من أمته فى النار ، وهذا من كلام قومنا ، وروى قومنا عن أبى موسى عنه ﷺ : « أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة عجّل عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن ، فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل : هذا فداؤك من النار » (٢) ، وفى رواية : « يؤتى كل رجل من هذه الأمة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقال : هذا فداؤك من النار فيلقى فيها » (٣) يعنى أمة الاجابة الى الايمان والعمل الصالح يقبل منا اليسير ويعفو عن الكثير ، ومعلوم أن الكافر مغبون بأخذ المؤمن داره فى الجنة وأخذه دار المؤمن فى النار ، وأكثر أهل الجنة من هذه الأمة ، وعنه ﷺ : « الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار » (٤) أى : حظ الموفى منها لأن البلايا تكفر الذنوب ، وروى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ﴾ (٥) أن الله تعالى أوحى الى نبيه ﷺ : « انى أجعل حساب أمتك اليك ، قال : يارب اذاً انت خيْر لهم منى ، فقال : اذا لا نخزيك فيهم » ، وروى عن انس أن رسول الله ﷺ سأل ربه فى ذنوب أمته فقال : « يا رب اجعل حسابهم الى لئلا يطلع على مساوئهم غيرى » ، فأوحى الله تعالى اليه : « هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك ، لا أجعل حسابهم الى غيرى لئلا تنظر الى مساوئهم أنت ولا غيرك » (٦) ، وقال ﷺ : « حياتى خير لكم وموتى خير لكم ، أما حياتى فاسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع ، وأما مماتى فان أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه ، وما رأيت منها سيّئاً استغفرت الله

---

(١) سورة الضحى : ٤ .

(٢) رواه البيهقى .

(٣) رواه ابو داود .

(٤) رواه مسلم .

(٥) سورة التحريم : ٧ .

(٦) رواه ابو داود .

لـكم » (١) ، وقال ﷺ يوماً : « يا كـريم العفـو » فقال جبريل عليه السـلام : « أتدرى ما تفسـير يا كـريم العفـو ؟ هو ان عفا عن السيئات برحمته بدّلها حسنات بكرمه » (٢) ، وسمع رسول الله ﷺ رجـلا يقول : اللهم انى أسألك تمام النعمة فقال : « وهـل تدرى ما تمـام النعمة ؟ » قال : لا ، قال : « دخـول الجنة » (٣) .

فقال العلماء : قد أتم الله علينا نعمته برضاه للاسـلام لنا ، قـال الله تعالى : ﴿ وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ (٤) . وفى الخبر : « اذا أذنب العبد ذنبْاً فاستغفر يقول الله عز وجـل لملائكته : انظروا الى عبدى أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخـذ بالذنب ، أشهدكم أنى قد غفرت له » ، وفى الخبر : « لو أذنب العبـد حتى تبلغ ذنوبـه عنـان السماء غفرتها له ما استغفرنى ورجانى » ، وفى الخبر : « لو لقينى عبدى بقراب الأرض ذنوباً للقيته بقراب الأرض مغفرة » ، وفى الحديث : « ان الملك ليرفع القلم عن العبـد اذا أذنب سـت سـاعات ، فان تاب واستغفر لم يكتب عليـه ، والا كتبهـا سـيئة » ، وفى رواية : « فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهـو أمـير عليه : « ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحـدة من تضعيف العشرة ، وارفع له تسع حسنات فتلقى له هذه السيئة » ، وعن أنس من حديث رسـول الله ﷺ أنه قال : « اذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه » فقـال أعرابى : فان تاب منه ؟ قال : « محيى عنه » قال : فان عاد ؟ قال ﷺ : « يكتب عليه » قال الأعرابى : وان تاب ؟ قال : « محيى من صحيفته » قال : الى متى ؟ قال : « ان الله عز وجـل لا يمل من المغفـرة حتى يمـل

---

(١) رواه ابو داود .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) سـورة المـائدة : ٣ .

العبـد من الاستغفار ، فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها ، فاذا عملها كتبت عشر حسـنات ثم يضاعفها الله الى سبع مائة ضعف ، فاذا هم بخطيئة لم تكتب عليه ، واذا عملها كتبت خطيئة واحـدة ووراءها حسن عفو الله عز وجـل » .

وجاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله انى لا أصوم الا شهراً لا أزيد ، ولا أصلى الا الخمس لا ازيد ، وليس لله فى مالى صدقـة ولا حج ولا تطوّع ، أين أنا اذا مت ؟ فتبسّم رسول الله ﷺ فقال : « نعم معى فى الجنة اذا حفظت قلبك من اثنين : الغلّ والحسد ، ولسانك من اثنين : الغيبة والكذب ، وعينيك من اثنين : النظر الى ما حرم الله وان تزدرى بهما مسْلماً دخلت الجنة على راحتىّ هاتيْن » (١) ، وفى الحديث الطويل لأنس أن الأعرابى قال : يا رسول الله من يلى حساب الخلق ؟ فقال : « الله تبارك وتعالى ، قال : هو بنفسه ؟ قال : « نعم » فتبسّم الأعرابى فقال ﷺ : « لم ضحكت يا أعرابى ؟ » فقال : ان الكريم اذا قدر عفا ، واذا حاسب سامح ، فقال النبى ﷺ : « صدق الأعرابى ألا ولا كريم أكْرم من الله تعالى ، هو أكرم الأكرمين ثم قال : فقه الأعرابى » ، وفيه ايضاً : « ان الله تعالى شرّف الكعبة وعظّمها ، ولو أن عبداً هدمها حجراً حجراً ثم أحرقها ما بلغ جرم من اسْتخفّ بولىّ من أولياء الله تعالى ، امـا سمعت قول الله تعالى عز وجل : ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخْرجهم من الظلمات الى النور ﴾ (٢) . وفى خبر : « المؤمن أفضل من الكعبة ، والمؤمن طيّب طاهر ، والمؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة » ، وفى الخبر : « خلق الله جهنم من فضل رحمته سوْطاً يسوق الله به عباده الى الجنة » ، وفى خبر يقول الله عز وجل : « انمـا خلقت الخلق ليربحوا علىّ ولم أخلقهم لأربح عليهم » .

---

(١) رواه مسلم وابو داود .

(٢) سـورة البقرة : ٢٥٧ .

وعن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ : « ما خلق الله تعالى شيئاً الا جعل له ما يغلبه ، وجعل رحمته تغلب غضبه » ، وفى الخبر : « ان الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى تغلب غضبى » ، وفى الخبر : « لو علم الخلق سعة رحمة الله ما ايس من جنته أحد » ، ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ ان زلزلة الساعة شىء عظيم ﴾ (١) حين نزل عليه فى سفر أوان الظهيرة قال : أتدرون أى يوم هذا ؟ يوم يقال لآدم عليه السلام : قم فابعث بعث النار من ذريتك ، فيقول : يا رب كم ؟ فيقال : من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون ، وواحد الى الجنة » فأبلس القوم أى : أيسوا وجعلوا يبكون وتعطل يومهم عن الاشتغال والعمل ، فخرج رسول الله ﷺ قال : « ما لكم لا تعملون ؟ » فقالوا : ومن يشتغل بعدما حدثتنا بهذا ؟ فقال : « كم أنتم فى الأمم : ان « تاويل » وتاريس » و « منسكا » و « يأجوج » و « مأجوج » أمم لا يحصيها الا الله تعالى ، انما انتم فى الأمم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، وكالرقمة فى ذراع الدابة ، تسعة وتسعون وتسع مائة منهم الى النار ، وواحد منكم الى الجنة » فانظر كيف يسوق الناس بسياط الخوف أولاً .

ولما خرج بهم ذلك عن حد الاعتدال الى افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد ، ولا تناقض ، لكن ذكر الشفاء اولاً فأتمه بالدواء لما احتاجوا للعلاج ، وهكذا يعظ الواعظ ، والا كان ما يفسد أكثر مما يصلح ؛ وفى الخبر : « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم » وفى لفظ آخر : « لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم » ، وقال ﷺ : « والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » ، وفى الخبر : « ليغفر الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد قط حتى ان ابليس

---

(١) سورة الحج : ١ .

ليتطاول لها رجاء أن تصيبه » ، وفى الخبر : « ان لله تعالى مائة رحمة ادّخرُ منها عنده تسعاً وتسعين رحمة واظهر منها فى الدنيا رحمة واحدة ، فبها يتراحم الخلق فتحنّ الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها ، فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه ، وكل رحمة منها طباق السموات والأرض ، قال : فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك » ، وقال ﷺ : « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار ؛ قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا انا الا أن يتغمّدنى الله برحمته » (١) ، وقال ﷺ : « اعملوا وابشروا واعلموا أن أحداً لن ينجيه عمله » (٢) ، وقال ﷺ : بعثتُ بالحنفيّة السّمْحة السّهلة » (٣) ، وقال ﷺ : « أحب أن يعلم أهل الكتابين ان فى ديننا سماحة » (٤) وذلك أن الله تعالى أجاب دعاءه فى قوله : ﴿ ولا تحمل علينا اصراً ﴾ وقال : ﴿ ويضع عنهم اصْرهم ﴾ الآية .

وعن علىّ لما نزل قوله تعالى : ﴿ فاصْفح الصّفْحَ الجميل ﴾ قال عليه الصلاة والسلام : « ما الصفح الجميل يا جبريل ؟ » قال : اذا عفوْت عمن ظلمك فلا تعاتبه ، فقال : يا جبريل الله أكرم من أن يعاتب من عفا عنه ، فبكى جبريل وبكى النبى عليهما الصلاة والسلام ، فبعث الله اليهما ميكائيل عليه السلام وقال : « ان ربكما يقريكما السلام ويقول : كيف أعاتب من عفوت عنه ، هـذا ما لا يشبه كرمى » ، والله أعلم .

وأما الآثار فعن علىّ : من أذْنب ذنباً فستره الله عليه فى الدنيا فالله

---

(١) رواه البيهقى .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .

تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته فى الآخرة على عبده ، وقال الثورى : ما أحب أن يجعل حسابى الى أبوى لأنى أعلم أن الله أرحم بى منهما ، وقال بعض السلف : المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كى لا تراه فتشهد عليــه ، وكتب محمد بن مصعب الى أسود بن سالم بخطّه : ان العبد اذا كان مسْرفاً على نفسه فرفع يديه يدعو يقول : يا رب ؛ حجبت الملائكة صوته ، وكذا الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة : يا رب قال الله تعالى : حتى متى تحجبون صوت عبدى ؟ قد علم عبدى أنه ليس له رب يغفر غيرى اشهدكم أنى قد غفرْتُ له ، وقال ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه : خلا لى الطواف ليلة وكانت ليلة ممطرة مظلمة فوقفت فى الملتزم عند الباب وقلت : يارب اعصمنى كى لا أعطيك أبداً ، فهتف لى هاتف من البيت : يا ابراهيم أنت تسألنى العصمة ، وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك ، فان عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر ؟ !

وكان الحــسن يقــول : لو لم يذنب المؤمن لكان يطـير فى ملكوت السماوات ، ولكن الله تعالى قمعهُ بالذنوب ، وقال الجنيْد : ان بدت عيْن من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين ٠ ولقى مالك بن دينــار رحمه الله أبا يحيى فقال له : كم تحدث الناس بالرخص ؟ فقال : يا أبا يحيى انى لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق به كساءك هذا من الفرح ٠

قال ربْعىّ بن خراش عن أخيه وكان ممّن تكلم بعــد الموت : لمــا مات أخى سجّى بثوبه فألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً وقال : انى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروْح وريْحان وربى غير غضبان وانى رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تغتروا ، وان محمداً ﷺ ينتظرنى وأصحابه حتى أرْجع اليهم ، قال : ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت فى طست فحملناه ودفناه ٠

وروى : ان رجلين من بنى اسرائيل تآخيا فى الله تعالى فكان أحدهما

يسرفُ على نفسه وكان الآخر عابداً وكان يعظه وينهاه ويزجره فكان يقول : دعنى وربى ؛ أبعثت علىّ رقيباً ؟ حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال : لا يغفر الله لك فيقول الله تعالى يوم القيامة : « أيستطيع أحدٌ أن يحظر رحمتى على عبادى ؟ اذهب فقد غفرت لك » ثم يقول للعابد « وأنت قد أوجبت لك النار » قال : فوالذى نفسى بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وأخراه .

وروى أيضاً : أن لصاً كان يقطع الطريق فى بنى اسرائيل أربعين سنة فمرّ عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بنى اسرائيل من الحواريين فقال اللص فى نفسه : هذا نبى الله يمر الى جنبه حوارى لو نزلت فكنت معهما ثالثاً ، فنزل فجعل يريد أن يدنو من العابد ويزدرى نفسه تعظيماً للعابد ويقول فى نفسه : مثلى لا يمشى الى جنب هذا العابد ، وأحس العابد به فقال فى نفسه : هذا يمشى الى جنبى فضم نفسه ومشى الى عيسى عليه السلام فمشى بجنبه فبقى اللص خلفه ، فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : « قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالكما أما العابد فقد أحبطت عمله وحسناته لعجبه بنفسه ، وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى نفسه » ، فأخبرهما بذلك وضم اللص اليه فى سياحته وجعله من حوارييه .

وروى عن مسروق : أن نبياً من الأنبياء كان ساجداً فوطىء عنقه بعض العصاة حتى الحق الحصا بجبهته فرفع النبى عليه السلام رأسه مغضباً فقال : « اذهب فلن يغفر لك الله » فأوحى الله تعالى اليه : « تتألى الى فى عبادى انى قد غفرت له » وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته فأوحى الله تعالى : « ليس لك من الأمر شىء » (١) الآية ، فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام ، وروى فى الآثار : أن رجلين من العابدين كانا متساويين فى

---

(١) سورة آل عمران : ١٢٧ .

العبادة فاذا دخلا الجنة رفع أحدهما فى الدرجات العلا على صاحبه فيقول : يا رب ما كان هـذا فى الدنيا بأكثر منى عبادة فرفعته علىّ فى علّيين ! فيقول الله سبحانه : انه كان يسألنى فى الدرجات العلا وأنت كنت تسألنى النجاة من النار وأعطيت كل عبد سؤاله ، وهذا يدل أن العبادة على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الراجى منها على الخائف ، فكم من فرق فى الملوك بين من يخدم اتقاءً لعقابه ومن يخدم ارتجاءً لانعامه واكرامه ، ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ، ولذلك قال ﷺ : « سلوا الله الدرجات العلا فانما تسألون كريماً » ، وقال : « اذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فان الله تعالى لا يتعاظمه شىء » ، وقال بكر ابن سليم الصوّاف : دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فقلنا : يا أبا عبد الله كيف تجدك ؟ قال : لا أدرى ما أقول لكم الا انكم ستعاينون من فضل الله ما لم يكن فى حساب ، ثم ما برحْنا حتى أغمضناه .

وقال يحيى بن معاذ فى مناجاته : يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى اياك مع الاعمال ، لأنى أعتمد فى الأعمال على الاخلاص وكيف أحرزهـا وأنا بالآفة معروف ، وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف ؟

وقيل : ان مجوسياً استضاف ابراهيم الخليل عليه السـلام فقال : « ان أسلمت أضفْتك » فمر المجوسى فأوحى الله اليه : « يا باراهيم لم لا تطعمه الاّ بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره ، فلو أضفْتهُ ليْلةً ماذا كان عليك ؟ » فمر ابراهيم يسعى خلف المجوسى فردّه وأضافه فقال له المجوسى : ما السبب وما بدا لك ؟ فذكر له ، فقال لـه المجوسى : أهكذا يعاملنى ؟ ثم قال : أعرض علىّ الاسلام فأسلم .

ورأى أبو سهل الصعلوكى أبا سهْل الزجاجى فى المنام فقـال له : كيف

حالك ؟ فقال : وجدنا الأمر أهون مما توهمنا ، ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له : أستاذ ، بما نلت هذا ؟ قال : بحسن ظنى بربى ، وجمع رجل قوماً من ندمائه ودفع الى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشترى شيئاً من الفواكه للمجلس ، فمرّ الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئاً فيقول : من دفع اليه أربعة دراهم دعوْتُ له أربع دعوات ، فدفع الغلام اليه الدراهم ، فقال منصور : ما الذى تريد ان أدعو لك ؟ فقال : لى سيد أريد أن أتخلص منه ، فدعا منصور ، وقال : الأخرى أن يخلف على دراهمى ، فدعا ، ثم قال : الأخرى ؟ فقال : أن يتوب الله على سيدنا ، فدعا ، ثم قال : الأخرى ؟ فقال : أن يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم ، فدعا منصور ، فرجع الغلام ، فقال له سيده : لم أبطأت ؟ فقصّ عليه القصة ، قال : وبم دعا ؟ قال : سألت لنفسى العتق قال له : اذهب فأنت حر ، قال : وما الثانية ؟ قال : أن يخلف الله علىّ الدراهم ، قال : لك أربعة آلاف درهم ، قال : وما الثالثة ؟ قال : ان يتوب الله عليك ، قال : تبت الى الله تعالى ، قال : وما الرابعة ؟ قال : أن يغفر الله لى ولك وللقوم . وللمذكر قال هذا الواحد : ليس الىّ ، فلما بات تلك الليلة رأى فى المنام قائلاً يقول له : أنت فعلت ما كان اليك أفترى أنى لا افعل ما الىّ ؟ قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين .

وكان بعض السلف يقول فى دعائه : يارب وأىّ أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ، ورزقك عليهم درراً ، سبحانك ما أحلمك ، وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة حتى كأنك يا ربنا لا تغضب ، والحمقى والمغرورون لا يسمعون ذلك بل يسمعون أسباب الخوف ، وأكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبى العرم ، لا يستقيم الا بالسوط وخشونة الكلام ؟ !

التنبيه الرابع : اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقلال ، والخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة صفاته وانه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع ، وتارة لكثرة الجناية بالمعاصى وتارة بهما وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى : وانه ﴿ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ (١) تكون قوة الخوف ، فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ، ولذلك قال ﷺ : « أنا أخوفكم لله » (٢) ولذلك قال الله جل جلاله : ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٣) فينحل الجسم ويصفر ويبكى وقد تنشق به المرارة فيفضى الى الموت ، وقد يدخل الدماغ فيفسد العقل ، أو يقوى فيقنط ، وذلك من القلب ، وأما فى الجوارح فيكفها عن المعاصى ويقيدها بالطاعات جبراً لما فرط ، واستعداداً للمستقبل ، ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكى ويمسح عينه بل يترك ما يخاف أن يعاقب عليه ، قال أبو القاسم : الحكيم من خاف شيئاً هرب منه ، ومن خاف الله هرب اليه ، وقيل لذى النون : متى يكون العبد خائفاً ؟ قال : اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذى يحتمى مخافة طول السقام فيكره المعاصى المحبوبة كما يكره العسل الذى عرف فيه سماً فيخشع ويفارق الكبر والحقد والحسد ، ويحاسب نفسه باللحظة والخطورة والخطرة والكلمة .

وأقل درجات الخوف ما يورث الورع الذى هو الكف عن المحرمات ، وان زاد قوة كف عما يتطرق اليه ، ويسمى تقوى ، وهو أن يترك ما يريبه الى ما لا يريبه ، وان زاد كان صدقاً وهو أن يترك ما لا بأس مخافة البأس ، وكل واحد يدخل فيما قبله فاذا ذكر الأخير فقد ذكرت كلها ،

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٣ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة فاطر : ٢٧ .

وهكذا شأن الأخص كما تقول : الانسان اما عربى أو عجمى ، والعربى اما قرشى أو غيره ، والقرشى اما هاشمى أو غيره ، والهاشمى اما علوى أو غيره ، والعلوى اما حسنى أو حسينى ، فاذا ذكرت أنه حسينى فقد وصفته بالجميع ، وكلما ذكرت واحداً فقد ذكرت به ما قبله .

التنبيه الخامس : الخوف قاصر أو مفرط أو معتدل وسط ، وهو المحمود فأما القاصر فهو الذى يجرى مجرى رقة النساء تخطر بالبال عند سماع آية من القرآن ، أو مشاهدة هائل تورث البكاء وتفيض الدمع ، فاذا غاب السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة ، وهو خوف قليل الجدوى ، كالقضيب الضعيف الذى تضرب به دابة قوية فانها لا تستقيم به ، وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء بالله وآياته وأفعاله ، ولا أعنى العلماء بمسائل العلم ، قال الغزالى : هم أبعد الناس عن الخوف ، ولذلك قال الفضيل بن عياض : اذا قيل لك هل تخاف الله ؟ فاسكت فانك ان قلت : لا كفرت ، وان قلت : نعم كذبت ، أى لأن الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى وما لم يؤثر فى الجوارح فهو حديث النفس ، وأما المفرط فمذموم لأنه يؤدى الى اليأس ويمنع من العمل ، أو الى المرض والحيرة ، وزوال العقل ، وانما المراد من الخوف : الحمل على العمل والتحرز من المحذور ، ومن مات بالخوف مات شهيداً لكن ليس افضل من أن يبقى فى زيادة العمل وطرح المعاصى واكتساب المعارف بالله تعالى ، وانما شهادته افضل بالنسبة الى ما دونها ، واذا اثمرت درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهو اقصى ما يحمد من الخوف والله أعلم .

التنبيه السادس : ما الخوف الا بانتظار مكروه بالذات كالنار ، أو مكروه لافضائه الى المكروه بالذات وهو المعاصى والموت قبل التوبة ، وبغض التوبة ، ونقض العهد ، ومضعف القوة عن الوفاء بالحقوق وتبدل الرقة بالقسوة وأن يوكل الى ما اتكل عليه من حسناته ، والاشتغال عن

الله وتعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح وسؤال منكر ونكير ، وسكوت الموت ، وعذاب القبر ، وهو الحشر والفضيحة فيه ، والختم بسوء والقضاء والأزلى ، وكان رسول الله ﷺ على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال : « هذا كتاب الله كتب فيــه أهل الجنة بأسمائهم وأنسابهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص » ثم قبض كفه اليسرى : « وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأنسابهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ، وليعملنّ أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم هم ، بل هم هم ، ثم ينقذهم الله قبــل الموت ولو بفواق ناقــة وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقــال كأنهم منهم ، بل هم هم ، ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة » (١) .

وقضاء الله على السعيد بالسعادة بتيسير أسبابها من غير تقدم وسيلة منه ، وعلى الشقى بالشقاوة بتيسير أسبابها بلا تقدم وسيلة لا يدرى سببه ، وأنا التجىء اليك اللهم والى نبيك محمد ﷺ ، ومن كانت صفته هكذا فحقيق أن يخاف ، قال الله تعالى لداود عليه السلام : « خفْنى كما يخاف السبع الضارى » والسبع يخاف لا لجناية سبقت ولله المثل الأعلى ، بل السبع يحتاج الأكل أو يتصور أن الآدمى يهلكه فيدفعه والله سبحانه قاهر عزيز لا يحتاج الى خلقه والله يعلم ما لا نعلم ، والله أعلم .

التنبيه السابع : لا تحصل سعادة لقاء الله تعالى فى الآخرة الا بتحصيل محبته والأنس به ، ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ، ولا الأنس الا بالمحبة ودوام الذكر ، ولا دوام الفكر والذكر الا بانقطاع حبّ الدنيا من القلب ، ولا الانقطاع عن حبها الا بترك لذّاتها وشهواتها ، ولا تقمع الشهوة الا بالخوف وهو ثمرة العلم ، قال الله جلا

---

(١) رواه أبو داود .

وعلا : ﴿ وهدىً ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ (١) ، وقال : ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾ (٢) ، ومن لم يعرف الضر لم يتّقه ، قال الله تعالى : ﴿ وخافونى ان كنتم مؤمنين ﴾ (٣) ، قال ﷺ : « رأس الحكمة مخافة الله تعالى » (٤) ، وقال ﷺ : « ان أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف من بعدى » (٥) ، وقال الفضيل بن عياض : من خاف الله دّله الخوف على كل خير ، قال الشبلى : ما خفْتُ الله يوماً الا رأيت له باباً من الحكمة والغيرة ما رأيته قط ، وقال يحيى بن معاذ : ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقه خصلتان : خوف العقاب ، ورجاء العفو ، كثعلب بين أسديْن ، قال الله تعالى : ﴿ سيذّكرُ من يخشى ﴾ (٦) ، وقال : ﴿ ولمن خاف مقام ربّه جنّتان ﴾ (٧) ، وقال الله عز وجل : « وعزتى وجلالى لا اجمع على عبدى خوْفينُ ولا أجمع له أمْنيْن فان امننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، واذا خافنى فى الدنيا أمّنتهُ يوم القيامة » ، وقال ﷺ : « من خاف الله تعالى خافه كل شىء ، ومن خاف غير الله خوّفهُ الله من كل شىء » (٨) ، وقال ﷺ : « اتمكم عقلاً أشدكم خوفاً لله تعالى واحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظراً » (٩) ، وقال يحيى بن معاذ : مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة ، وقال ذو النون : من خاف الله ذاب قلبه واشتد لله حبّه وصح له لبّه ، وقال ذو النون : ينبغى أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء ، فاذا غلب

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٤ .
(٢) سورة البينة : ٨ .
(٣) سورة آل عمران : ١٧٥ .
(٤) رواه أبو داود .
(٥) رواه ابو داود .
(٦) سورة الأعلى : ١٠ .
(٧) سورة الرحمن : ٤٥ .
(٨) رواه أبو داود .
(٩) رواه ابن حبان .

الرجاء تشوّش القلب ، وقال أبو الحسين الضرير : علامة السعادة خوفُ الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده ، فاذا انقطع زمامه هلك فى الهالكين ، وقيل ليحيى ابن معاذ : من آمن الخلق غداً ؟ قال : اشدهم خوفاً اليوم ؛ وقال سهل : لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال ، وقيل للحسن : يا ابا سعيد كيف نصنع ؟ نجالس اقواما يخوّفوننا حتى تكاد عقولنا تطير ؛ قال : والله انك ان تخالط اقواماً يخوّفوقك حتى يدركك أمْنٌ خيْرٌ لك من أن تصحب قوماً يؤمّنونك حتى يدركك الخوف .

وقال ابو سليمان الدارانى : ما فارق الخوف قلبْاً الا خرب ، قالت عائشة : قلت : يا رسول الله ﴿ الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ﴾ (١) هو الرجل يسرق ويزنى تعنى يتصدق ويفعل الفواحش ؟ قال : « بل الرجل يصلّى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل » (٢) .

والخوف والرجاء لازمان لا ينفك احدهما عن الآخر ويغلب أحدهما الآخر وهما يجتمعان ، ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت الى الآخر فى الحال لغفلته عنه ، وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه ، فبتقدير وجود المحبوب يروّح القلب ، فذلك الرجاء ، وبتقدير عدمه يتوجع فذلك الخوف ، وذلك على حدّ سواء ، وقد يترجح بحضور بعض الأسباب ويسمّى ظنّاً ، وعلى كل حال يتلازمان ، قال الله تعالى : ﴿ يدعوننا رغباً ورهباً ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ يدعون ربهم خوْفاً وطمعاً ﴾ ، ولذلك عبر للعرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى : ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ (٣) وقال ﷺ : « ما من عبد مؤمن تخرج من عينه دمعة وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله تعالى ثم

---

(١) سورة المؤمنون : ٦٠

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة نوح : ١٣ .

تصيب شيئاً من حر وجهه الا حرمه الله على النار » (١) ، وقال ﷺ :« اذا أقشعرّ قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحاتّ عن الشجر ورقها » (٢) ، وقال ﷺ : « لا يلج النار أحـد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع » (٣) ، قال عقبة بن عامر : ما النجاة يا رسول الله ؟ قال : « أمسك عنك لسانك وليسعك بيتك وابْك على خطيئتك » (٤) ، وقالت عائشة رضى الله عنها : قلت يا رسول الله أيدخل أحد من امتك الجنة بغير حساب ؟ قال : « نعم ؛ من ذكر ذنوبه فبكى » (٥) ، وقال ﷺ : « ما من قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دمْع من خشية الله تعالى ، أو قطرة دم أهريقت فى سبيل الله سبحانه » (٦) ، وقـال ﷺ : « اللهم ارْزُقْنى عينين هطّالتين تشفيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دماً والأضراس جمْراً » ، وقال ﷺ : « سبعة يظلهم الله تعالى يوم لا ظل الا ظلّه ـ وذكر منهم ـ رجلا ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » (٧) .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من استطاع أن يبكى فليبْك ، ومن لم يستطع فلْيتباك ، وكان محمد بن المكندر اذا بكى مسح وجهـه ولحيته بدموعه ويقول : بلغنى أن النار لا تأكل موضعاً مسّته الدموع ، وقال عبد الله بن عمر بن العاصى : ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ، فو الذى نفسى بيـده لو يعلم العلم احـدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه ابو داود .
(٤) رواه البيهقى .
(٥) رواه النســائى .
(٦) رواه مسلم .
(٧) رواه مسلم .

ينكسر ظهره ، وقال أبو سليمان الدارانى : ما تغرغت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتَر" ولا ذلّة يوم القيامة ، فان سالت دموعه اطفئت بأول قطرة منها بحاراً من النيران ، ولو أن رجلاً بكى فى أمة ما عذبت تلك الامة أى بكى لذنوب أمة أى يتوب الله عليهم .

قال كعب الأحبار : والذى نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل الدموع على وجنتى احب الى من أن أتصدق بجبل ذهباً ، وقال عبد الله بن عمر : لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب الى من ان أتصدق بالف دينار ، وعن حنظلة : كنّا عند رسول الله ﷺ ؛ فوعظنا موعظة رقّت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى أهلى فدنت منى المرأة وجرى بيننا حديث الدنيا فنسيت ما كنت عليه عند رسول الله ﷺ ، واخذنا فى الدنيا ثم تذكّرت ما كنت فيه فقلت فى نفسى : قد نافقْت حين تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرّقة ، فخرجت وجعلت أنادى نافق حنْظلة فاستقبلنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال : كلا لم ينافق حنظلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا أقول نافق حنظلة ، فقال رسول الله ﷺ : « كلا لم ينافق حنظلة » ، فقلت : يا رسول الله كنّا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت الى أهلى فأخذنا فى حديث الدنيا ونسينا ما كنّا عندك عليه فقال : « يا حنظلة لو أنكم كنتم ابداً على تلك الحال لصافحتكم الملائكة فى الطرق وعلى فرشكم ، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعة » (١) .

التنبيه الثامن : لا يقال : الرجاء مطلقاً افضل ، ولا الخوف أفضل مطلقاً ، بل ان اغترّ القلب وغلب عليه داء الأمن او المعاصى فالخوف افضل ، وان غلب القنوط فالرجاء أفضل ، وان استويا فليعتدل فى الخوف

---

(١) رواه مسلم وابو داود .

والرجاء ، كما تقول : الخبز أفضل للجائع ، والماء أفضل للعطشان ، وان استوى العطش والجوع واجتمعا فالماء والخبز مستويان ، وكذلك من ترك ظاهر الاثم وباطنه فليعتدل له الخوف والرجاء ، وقال على لبعض ولده : يا بنى خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت بحسنات اهل السماوات والأرض لم يتقبلها منك ، وارجُ الله رجاء ترك أنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها الله لك ، وعن عمر لو نودى : يدخل النار الناس كلهم الا رجلاً لرجوت أن اكون ذلك الرجل ، ولو نودى يدخل الجنة الناس كلهم الا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون ذلك الرجل ، وذلك من طريق الاعتدال ، وكان عمر رضى الله عنه يبالغ فى تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً اذ كان ﷺ خصّه بعلم المنافقين ، فمن اعتقد نقاء قلبه فمن أين يأمن مكر الله تعالى ، ولو صح فمن اين يأمن نقاءه الى حسن الخاتمة وقد قال ﷺ : « ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وروى الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار » (١) ! وقدر فواق الناقة مقدار خاطر يختلج فى القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء ٠

والأصلح لأهل هذا الزمان غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم الى القنوط ، وترك العمل ؛ قال مكحول الدمشقى : من عبد الله بالخوف فهو حرُورى ، ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد ، واراد بالحرورى من كان من أهل حروراء صفْريا ٠

ومن اسباب الرجاء الحب ، فان المحب لا يعذب محبوبه ، وقال ﷺ فى دعائه : « اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك ، وحب من يقربنى الى حبك ، واجعل حبك أحب الى من الماء البارد » (٢) ، ويكون الرجاء

---

(١) رواه مسلم ٠
(٢) رواه مسلم ٠

أيضاً سبباً للحب فغلبة الرجاء عند الموت اصلح لأنه اجلب للحب وغلبة الخوف قبل ذلك أصلح بلا اياس لأنه أقمع للشهوات ، قال ﷺ : « لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه » ، وقال الله تعالى : « أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء » ولما حضر سليمان النميمى الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه ، وقال أحمد بن حنبل لابنه عند الموت : اذكر لى الأخبار التى فيها الرجاء وحسن الظن والله اعلم .

التنبيه التاسع : الخوف اما من ذات الله تعالى وهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضى الهيبة والخوف والحذر ، المطلعين على سر قوله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ (٢) ، واما من عذابه وهو خوف عامة الخلق وهو حاصل بأصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاء على الطاعة والمعصية ، وضعفه سبب الغفلة ، وسبب ضعف الايمان ونزول الغفلة بالتذكير وملازمة الفكر فى أهوال الحشر وعذاب الآخرة بأصنافه ، والأول أعلى وهو خوف العبد من الله ، قال ذو النون : خوف النار عنه خوف الفراق كقطرة قطرت فى بحر لجّى ولعامة المؤمنين حظ منه ولكن بمجرد التقليد يضاهى خوف الصبى من الحية تقليداً لأبيه .

وكان ﷺ أشد الناس خوفاً ، حتى روى انه كان يصلى على طفل ، وفى رواية سمع يقول فى دعائه : « اللهم قه عذا القبر وعذاب النار » ، وسمع قائلاً يقول : هنيئاً لك ، عصفور من عصافير الجنة ، فغضب وقال : ما يدريك انه كذلك ، والله انى رسول الله وما أدرى ما يصنع بى ، ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم » ، وذلك قبل

---

(١) سورة آل عمران : ٢٨ .
(٢) سورة آل عمران : ١٠٢ .

أن يعلم ان الأطفال كلهم أو أطفال المسلمين فى الجنة ، وروى ﷺ قال ذلك على جنازة عثمان بن مظعون ، وكان من المهاجرين الاولين لما قالت أم سلمة : هنيئاً لك الجنة ، فكانت تقول بعد ذلك : والله ما أزكّى احداً بعد عثمان ، وقال محمد بن خولة : والله لا أزكّى أحداً بعد رسول الله ﷺ ولا جدّى يعنى علياً ، فثارت عليه الشيعة فأخذ يذكر مناقب على ، وفى رواية : استشهد رجل من أهل الصُّفَّة ، فقالت أمه : هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله ﷺ ، وقتلْت فى سبيل الله فقال ﷺ : « وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره » ، وفى رواية انه ﷺ : دخل على مريض فسمع امرأة تقول هنيئاً لك الجنة فقال ﷺ : « من هذه المتألية على الله تعالى : » ، فقال المريض هذه أمى يا رسول الله ، فقال : « وما يدريك لعل فلاناً كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه » (١) ، وعنه ﷺ : « شيّبتنى هود" واخواتها ؟ الواقعة ، و « اذا الشمس كوّرت » ، و « عم يتساءلون » ، أى لقوله تعالى : « الا بعْداً لعاد » (٢) « الا بعْداً لثمود » (٣) « ألا بعداً لمدْين » (٤) مع علمه ﷺ : بأنه لو شاء الله ما أشركوا ، ولو شاء لآتى كل نفس هداها ، وقوله تعالى : ﴿ اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ﴾ (٥) الآية ، أى جف القلم بما هو كائن حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوم كانوا مرفوعين فى الدنيا ، واما رافعةٌ قوم كانوا مخفوضين فى الدنيا ، ولما فى سورة التكْوير من هوْل يوم القيامة ، وفى سورة النبأ ، ﴿ يوم ينْظر المرء ما قدمت يداه ﴾ (٦) ، ﴿ ولا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ (٧) ، وقال الله تعالى : ﴿ وانى لغفار لمن تاب ﴾ (٨) ،

---

(١) رواه مسلم وابو داود والبيهقى .
(٢) سورة هود : ٦٠ .
(٣) سورة هود : ٦٧ .
(٤) سورة هود : ٩٥ .
(٥) سورة الواقعة : ١ .
(٦) سورة النبأ : ٤٠ .
(٧) سورة النبأ : ٣٨ .
(٨) سورة طه : ٨٢ .

الآية فشرط أربعة شروط يعجز المرء عن أحدها ، وقال الله تعالى : ﴿ فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين ﴾ (١) ، وهى اشد من الأولى ، وقال : ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ سنفرُغُ لكم أيها الثقلان ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ افأمنوا مكْر الله ﴾ (٤) الآية ، ﴿ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى ﴾ (٥) ، الآية : ﴿ يوْم نحشرُ المتقين الى قوله : وردا ﴾ (٦) ﴿ وان منكم الا واردها ﴾ (٧) الآية ، ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ (٨) ، ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٩) ، ﴿ وقدْمنا الى ما عملوا من عمل ﴾ (١٠) الآية ، ﴿ والعصر ان الانسان لفى خسْر ﴾ (١١) الخ فشرط أربعة شروط للخلاص من الخسران ، ولم يأمن الأنبياء المكر فخافوا ، روى أنه ﷺ وجبريل بكيا خوْفاً من الله فأوحى الله اليهما « لم تبكيان وقد أمنتكما ؟ »، فقالا : « ومن يأمن مكْرك » وكانهما اذ علما أن الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمنا أن يكون قوله : « قد آمنتكما » ابتلاءً وامتحاناً ومكراً حتى اذا سكن خوفهما ظهر انهما قد أمنا من المكر وما وفّيا ، كما قال ابراهيم لما وضع فى المنجنيق : « حسْبى الله » ، وهذا دعوى عظيمة ، فعرض له جبريل فى الهواء وقال : ألك

---

(١) سورة القصص : ٦٧ .
(٢) سورة الأحزاب : ٨ .
(٣) سورة الرحمن : ٣١ .
(٤) سورة الأعراف : ٩٩ .
(٥) سورة هود : ١٠٢ .
(٦) سورة مريم : ٨٥ .
(٧) سورة مريم : ٧١ .
(٨) سورة فصلت : ٤٠ .
(٩) سورة الزلزلة : ٨ .
(١٠) سورة الفرقان : ٢٣ .
(١١) سورة العصر : ١ ــ ٢ .

حاجة ؟ فقال : أما اليك فلا ، فكان ذلك تصديقاً لدعواه ، فقال الله تعالى : ﴿ وابراهيم الذى وفّى ﴾ (١) أى بموجب قوله : حسبى الله ، وقد خاف موسى بعد قول الله تعالى : ﴿ لا تخافا ﴾ فجدد الله له الأمن بقوله : ﴿ لا تخف انك أنت الأعلى ﴾ (٢) وقال ﷺ يوم بدر : « اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض من يعبدك » فقال أبو بكر : دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك ، فكان مقام الصديق مقام الثّقة بوعد الله ، ومقام رسول الله ﷺ مقام الخوف من مكر الله لكمال معرفته بأسرار الله وخفايا أفعاله ومعانى صفاته التى يعبّر عن بعضها بالمكر مع أن وفاءه قد يكون معلّقاً بالمناشدة وأسباب الرجاء رحمة من الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق ، اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلّب القلوب ، قال بعض العارفين : لو حال بينى وبين من عرفته خمسين سنة بالتوحيد اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لأنى لا أدرى ما ظهر له من التقلب .

وعن بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لأنى لا ادرى ما يعرض لقلبى بين باب أن يسلبه عند الموت الا سلبه ، ولما احتضر سفيان جعل يبكى ويجزع فقيل الحجرة وباب الدار ، وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحدٌ آمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه ، ولما احتضر سفيان جعل يبكى ويجزع فقيل له : يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك ، فقال : أو على ذنوبى ابكى ، لو علمت أنى أموت على التوحيد لم ابال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا .

وأوصى بعض الخائفين بعض اخوانه : اذا حضرتنى الوفاة فاقعد عند رأسى فان رأيتنى مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزاً وسكّراً وانثره على صبيان البلد ، وقل عند ذلك : هو عرس المنقلب ،

---

(١) سورة النجم : ٣٧ .
(٢) سورة طه : ٦٨ .

وان مت على غير التوحيد فاعْلم الناس حتى لا يغترّوا بحضور جنازتى ليحضر جنازتى من احب على بصيرة لئلا يلحقنى الرثاء بعد الموت ، قال : وبم أعلم ذلك ؟ فذكر له العلامة ، فرأى علامة التوحيد عند موته ، فاشتر السكر واللوز وفرّقه ٠

وكان سهل يقول : المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى ، والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر ، وكان أبو زيد يقول : اذ توجهت الى المسجد كأن فى وسطى زناراً أخاف أن يذهب بى الى البيعة أو بيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عنى الزنار فهذا دأبى كل يوم خمس مرات ، وقال عيسى عليه السلام « يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصى ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر » ٠

وشكا نبى عليه السلام الى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله اليه : « عبدى ، أما رضيت ان عصمت قلبك أن تكفر بى حتى تسألنى الدنيا ؟ » فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال : « بلى يارب رضيت فاعصمنى من الكفر » وذلك كالشرك والبدعة والكبر ٠

وقد اشتد خوف الصحابة من النفاق كما مر عن عمر ، وعن الحسن : لو علمت أنى برىء من النفاق كان أحب الىّ مما طلعت عليه الشمس ، وأرادوا بالنفاق كبائر دون الشرك ، كما قال ﷺ : « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى وصام وزعم أنه مسلم ، وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائْتمن خان واذا خاصم فجر » (١) وروى : « واذا عهد غدر » وقال بعض العارفين : انى أخاف على نفسى النفاق ، وقال : لو كنت منافقاً لما خفت النفاق ، قال ﷺ : « العبد المؤمن بين مخافتين ، بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى

---

(١) رواه مسلم ٠

ما الله قاض فيه ، فوالذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار (١) » وبالله التوفيق ٠

التنبيه العاشر : سوء الخاتمة على قسمين :

الاول : الرتبة الهائلة أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله ، امّا الشك وامّا الجحود فتقبض الروح على حالة غلبة الجحود أو الشك فيكون ذلك الجحود أو الشك حجاباً بينه وبين الله تعالى وذلك يقتضى البعد الدائم ٠

والثانى : وهو دون الأول ان يغلب عند الموت حب أمر من أمور الدنيا فيستغرقه فلا يبقى فى تلك الحال متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك الحال فيكون قلبه بذلك منكّساً الى الدنيا وصارفاً وجهه اليها ، ومهما انصرف الوجه عن الله حصل الحجاب ، وربما محا عن القلب هذه الحالة دوامه قبل ذلك على الأعمال الصالحة وتاكده ، وسبب الختم على الشك أو الجحود أمران : الأول يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح فى الأعمال ، كالمبتدع الزاهد بان يعتقد فى صفات الله سبحانه وأفعاله خلاف الحق اعتقاداً جازماً فاذا ظهر له عند الموت بطلان اعتقاده فى ذلك ظن بطلان سائر ايمانه واعتقاده الصحيح لأنه لا فرق عنده بين ذلك الاعتقاد الباطل وغيره فى الصحة فيموت مشركاً قال الله تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (٢) ﴾ وقال : « قل هل أنبئكم بالأخسرين اعمالا (٣) » الآية ٠

أحْسَنت ظنك بالأيام اذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتى به القَدر

---

(١) رواه مسلم ٠
(٢) سورة الزمر : ٤٧ ٠
(٣) سورة الكهف : ١٠٣ ٠

وسالمتك الليـــالى فاغتررت بهـا

وعنـد صـفو الليـالى يحـدث الكـــدر

الثانى : ضعف الايمان فى الأصل ، ثم استيلاء حب الدنيـا على القلب فيضعف الايمان بضعف حب الله فيقوى حب الدنيا ، فلا يبقى لحب الله فى قلبه موضع الا من حيث حديث النفس ، ولا يظهر له أثر فى مخالفـة النفس والشيطان فينهمك فى المعاصى فيسود قلبه ويقسـو ، ولا يزال يطفأ نور الايمــان منه فعند سكرات الموت يزداد حب الله ضعفاً لمـا يبدو لـه من فراق المحبـوب الذى هو الدنيـا فيتألم القلب فيكره قضـاء الله عليـه بالموت ، وربما أدى الى بغض الله تعالى اذ كان هــو المقـدر للموت ، وقال سـهل : رأيت كأنى أدخلـت الجنـة فرأيت ثلاثمائة نبى فسألتهم : ما أخـوف ما كنتم تخافون فى الدنيا ؟ قالوا : سوء الخاتمة .

التنبيه الحادى عشر : روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه فيتردد يدخل ويخـرج خوفاً من عذاب الله ، وقال ﷺ : « ما جاءنى جبريل الا وهو يرعـد من الجبـار (١) » ، ولما ظهر كفر ابليس طفق جبريل وميكائيل يبكيان ، فأوحى الله اليهما : « مالكما تبكيان هذا البكاء ؟ » قالا : « يا ربنـا ما نأمن مكرك » فقال الله تعالى : « هكذا كونا لا تأمنـا مكرى » ، وقال محمد بن المكندر : لمـا خلق الله النـار طارت قلوب الملائكة من أماكنها ، فلما خلق بنو آدم عـادت ، وقال رسـول الله ﷺ لجبريل : « مالى لا أرى ميكائيل يضحك ؟ » فقال جبريل : « ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار » .

ويقال : ان لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النـار مخافة أن يغضب عليهم فيعذبهم ، وكان رسـول الله ﷺ يصعق اذا قـرأ

---

(١) رواه ابو داود .

أحيـاناً ، وكذا داود عليه السلام ويموت بوعظـه آلاف ، وكان ابراهيم الخليل عليه السـلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبـه ميلا فيقول جبريل عليه السلام : « ربك يقرئك السـلام ، ويقول : هل رأيت خليلا يعذب خليله ؟ فيقول : يا جبريل اذا ذكرت خطيئتى نسيت خـلتى » .

التنبيه الثانى عشر : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لطائر : ياليتنى مثلك ولم أخلق بشراً ، وقال أبو ذر رضى الله عنـه : وددت لو أنى شجرة تعضد ، وكذا قال أبو طلحة ، وقال أبو عثمان : وددت أنى اذا مت لـم أبعث ، وقالت عائشـة رضى الله عنها : وددت انى كنت نسـياً منسياً ، وروى أن عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه ، فكان يعاد أياماً ، وأخـذ يوماً تبنة من الأرض وقال : ياليتنى كنت هذه التبنة ، يا ليتنى لم أكن شيئاً مذكـوراً ، ياليتنى كنت نسياً منسياً ، ياليتنى لم تلدنى أمى ، وكان فى وجهـه خطـان أسودان من الدموع ، وقال رضى الله عنه : من خاف الله لم يشف غيظـه ، ومن اتقى الله لـم يصـنع ما يريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ، وقرأ : ﴿ اذا الشمس كوِّرَت ـ الى قوله تعالى ـ واذا الصحف نشرت (١) ﴾ فخر مغشـياً عليه ، ومر بدار انسـان يصلى ويقرأ سورة : و « الطـور » فوقف يستمع ، ولـما بلغ : « ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع (٢) » نزل عن حمـاره واسـتند الى حائط ومكث زماناً ورجع لمنزله ومرض شهراً يعـوده الناس ولا يدرون ما مرضه .

وقال عمران بن الحصين : وددت أن أكون رماداً تنسفنى الرياح فى يوم عاصف ، وقال أبو عبيدة بن الجراح : وددت أنى كبش فيذبحنى أهلى

---

(١) سـورة التكوير : ١ ـ ١٠ .
(٢) سـورة الطور : ٧ .

فياكلون لحمى ويحسون مرقى ، وكان على ابن الحسين اذا توضأ اصفرّ لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟ وقال موسى بن مسعود : كنا اذا جلسنا الى الثورى كان النار قد أحاطت بنا لما ترى من خوفه وجزعه ، وقرأ نصر القارىء يوماً : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (١) ﴾ الآية ، فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه ، فلما أفاق قال : وعزتك لا عصيتك جهدى أبداً فاعنّى بتوفيقك على عبادتك ، وكان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع القرآن لشدة خوفه ، ولقد كان يقرأ عليه الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياماً حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه : ﴿ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ﴾ فقال : أنا من المجرمين ولست من المتقين أعد على القول أيها القارىء ، فأعاد عليه فشهق شهقة فمات ، وقرىء عند يحيى البكاء : ﴿ ولو ترى اذ وقفوا على ربهم (٢) ﴾ فصاح صيحة ومكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة ، وقال مالك بن دينار : بينما أنا أطوف بالبيت اذا بحويرية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول : يارب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها ، يارب : أما كان لك أدب وعقوبة الا النار وتبكى ، فمازال ذلك مقامها حتى طلع الفجر ، قال مالك : فلما رأيت ذلك وضعت يدى على رأسى صارخاً أقول ثكلت مالكاً أمه .

وروى أن الفضيل رئى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى كالثكلاء المحترقة حتى كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه الى السماء وقال : واسوأتاه منك وان غفرت ، ثم انقلب مع الناس . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين قال : قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون : كيف نفرح والموت من ورائنا ، والقبر أمامنا ،

---

(١) سورة الجاثية : ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام : ٣٠ .

والقيامة موعـدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدى الله ربنا موقفنا ، ومـر الحسن بشاب وهو مستغرق فى الضحك وهو جالس مع قوم فى مجلس فقال له الحسن : يا فتى هـل مررت بالصراط ؟ قال : لا ، قال : فهـل تـدرى الى الجنـة تصـير أم الى النـار ؟ قال : لا ، قال : فما هـذا الضحك فما رئى ذلك الفتى بعدها ضاحكاً .

قال حاتم الأصم : لا تغتر بموضـع صالح فلا مكان أصلح من الجنـة ، ولقد لقى آدم فيها ما لقى ، ولا تغتر بكثرة العبـادة فان ابليس بعـد طول تعبده لقى ما لقى ، ولا تغتر بكثرة العلم فان بلْعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى ، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر عنـد الله تعالى منزلة من المصطفى ﷺ ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه .

وقال السرى السقطى : انى لأنظر الى أنفى كل يوم مرات مخـافة أن يكون قد اسود وجهى ، وقالت لمحمد بن كعب القرظى أمه : يا بنى انى أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً كانك أحدثت حدثاً موبقاً لمـا آراك تصنع فى ليلك ونهـارك ، فقال : يا أمـاه ما يؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلع علىّ وأنـا على بعض ذنـوبى فيمقتنى ، فقـال : وعـزتى وجـلالى لا غفـرت لك .

وقال الفضيل : انى لا أغبط ملكاً مقرباً ولا نبيـاً مرسـلا ولا عبـداً صالحاً ، أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة ، انما أغبط من لم يخلق .

وروى أن فتى من الأنصـار دخلته خشية النار فكان يبكى حتى حبسه ذلك فى البيت ، فجـاء النبى ﷺ فدخل عليه واعتنقه فخرّ ميتاً فقال النبى ﷺ : « جهـزوا صاحبكم فان الفرق من النـار فتـت كبـده » وروى عن ابن أبى ميسرة أنه كان اذا أوى الى فراشـة يقـول : ياليت أمى لم تلدنى فقالت أمه : يا ميسرة ان الله تعالى قد أحسن اليك ، هداك الى الاسـلام ، قال : أجـل ، ولكن الله قـد بيّن لنـا أنـا واردوا النـار ولـم يبين لنـا أنـا صادرون عنهـا .

قيل لعطاء السلمى فى مرضه : ألا تشتهى شيئاً ؟ فقال : ان خوف جهنم لم يدع فى قلبى موضعاً للشهوة ، ويقال : أنه ما رفع رأسه الى السماء ولا ضحك أربعين سنة ، وأنه رفع رأسه يوما فانفتق فى بطنه فتق ، وكان يمس جسده فى بعض الليالى مخافة أن يكون قد مسخ ، وكان اذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال : هذا من أجلى يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس .

قال عطاء : خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهر العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم فى رؤوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ ، وكأنهم خرجوا من القبور ويخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين ، فبينما يمشون اذ مر بمكان فخر مغشياً عليه فجلس أصحابه حوله يبكون فى يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقاً فجىء بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال : انى ذكرت أنى عصيت الله فى ذلك المكان .

وقال صالح المرى : قرأت على رجل من المتعبدين ﴿ يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (١) ﴾ فصعق ثم أفاق فقال : زدنى يا صالح فانى أجد غماً فقرأت : ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها (٢) ﴾ فخر ميتا ، وروى أن وزارة بن أبى أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ ﴿ فاذا نقر فى الناقور ﴾ خر مغشياً عليه فحمل ميتاً .

ودخل يزيد الرقاشى على عمر بن عبد العزيز فقال ، عظنى يا يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين اعلم انك لست بأول خليفة يموت ، فبكى ثم قال :

---

(١) سورة النور : ٤٤ .
(٢) سورة الحج : ٢٢ .

زدنى ، قال : يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب الا ميت ، فبكى وقال : زدنى يا يزيد ، قال : يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل ، فخر مغشيا عليه ٠

وقال ميمون بن مهران : لما نزل ﴿ وانّ جهنّم لموعدهم أجمعين ﴾ (١) صاح سلمان الفارسى ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدرون عليه ، ورأى داود الطائى امرأة تبكى على رأس قبر ولدها وهى تقول : يا ابناه ليت شعرى أى خديك بدأ به الدود أوّلا ، فصعق وسقط مكانه ، ومرض سفيان الثورى فعرض ماؤه على طبيب ذمّى فقال : هذا رجل قطّع الخوف كبده ، ثم جاء وجس عروقه ثم قال : ما علمت أن فى الملّة الحنيفية مثله ، ورئى الفضيل يوما يمشى فقيل له : الى أين ؟ قال : ، لا أدرى ، وكان يمشى والها من الخوف وحكى أن قوما وقفوا بعابد وهو يبكى فقالوا : ما الذى يبكيك يرحمك الله ؟ قال : روعة يجدها الخائفون فى قلوبهم ، قال : وما هى ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله عز وجل ٠

وكان الخوّاص يبكى ويقول فى مناجاته : قد كبرت وضعف جسمى عن فاعتقنى ، قال صالح المرى : قدم علينا ابن السماك مرة فقال : أرنى شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبنا به الى رجل فى بعض الأحياء فى خصّ له فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت : ﴿ اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ﴾ (٢) فشهق شهقة ثم خرّ مغشيا عليه ، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله ، وذهبنا الى آخر فقرأت عليه الآية فشهق شهقة وخرّ مغشيا عليه ، واستأذنا على ثالث فقال : ادخلوا ان لا تشغلونا عن ربنا فقرأت : ﴿ ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ﴾ فشهق شهقة

---

(١) سورة الحجر : ٤٣ ٠
(٢) سورة غافر : ٧٠ — ٧١ ٠

وخرج الدم من منخريه وجعل يشحط فى دمه حتى يبس ، فتركناه على حاله ، فخرجنا فأوردته على ستة أنفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشياً عليه ، ثم أتيت به الى السابع فاستأذنا فاذا امرأة من داخل الخص تقول : ادخلوا ، فدخلنا فاذا شيخ فان جالس فى مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا ، فقلت بصوت عال : ان للخلق غداً مقاماً ، فقال الشيخ : بين يدى من ويحك ؟ ثم بقى مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً بصره يصيح بصوت له ضعيف : أوه أوه ، حتى انقطع ذلك الصوت ، فقالت امرأته : اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة ، ولما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى ، وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتاً متحيراً لا يؤدى فرضاً ، فلما كان بعد ثلاث عقل .

وقال الحجاج لسعيد بن جبير : بلغنى أنك لم تضحك قط ، قال : كيف أضحك وجهنم قد سعرت ، والأغلال قد نصبت ، والزبانية قد أعدت .

ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر هذا فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد فى بيته فصلت ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت فى منامها فقالت : يا أمير المؤمنين انى والله رأيت عجباً ، قال : وما ذاك ؟ قالت : رأيت النار وهى تزفر على أهلها ثم جىء بالصراط فوضع على متنها ، فقال : هيه ، قالت : فجىء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيراً حتى انكفأ به الصراط فهوى ، فقال عمر : هيه ، قالت : ثم جىء بك والله يا أمير المؤمنين ، فصاح صيحة خر مغشياً عليه ، فقامت اليه وجعلت تنادى فى أذنه يا أمير المؤمنين انى رأيتك يا أمير المؤمنين انى رأيتك والله حتى نجوت ، انى رأيتك والله حتى نجوت ، وهى تنادى وهو يصيح ويفحص برجله .

ويحكى : أن أويس القرنى رحمه الله كان يحضر عند القاضى فيبكى من كلامه ، فاذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس

فيقولون : مجنون مجنون ، وقال معاذ بن جبل : ان المؤمن لا تسكن روعته حتى يترك جسر جهنم وراءه ، وكان طاوس يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلّى كما تنقلى الحبة فى المقلاة ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ، ويقول : طير ذكر جهنم نوم الخائفين ، وروى : انه ما ضحك الحسن أربعين سنة ويرى كالأسير قدم ليضرب عنقه ، واذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها ، واذا سكت فكأن النار تسعر بين عينيه ، وعوتب فى شدة حزنه فقال : ما يؤمننى أن يكون الله قد اطلع علىّ فى بعض ما يكره فمقتنى فقال : اذهب لا غفرت لك ، فانا أعمل فى غير معتمل .

وعن ابن السماك : وعظت يوما فى مجلس فقام شاب من القوم فقال : يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالى أن لا نسمع غيرها ، قلت : وما هى رحمك الله ؟ قال : قولك : قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما فى الجنة أو فى النار ، ثم غاب عنى ففقدته فى المجلس الآخر فلم أره ، فسألت عنه فأخبرت أنه مريض يعاد فأتيته أعوده فقلت : يا أخى ما الذى أرى بك ؟ فقال : يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما فى الجنة أو فى النار ، ثم مات ، فرأيته فى المنام فقلت : يا أخى ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ورحمنى وأدخلنى الجنة ، قلت : بماذا ؟ قال . بالكلمة ، والله أعلم .

فهـرس الجـزء السـادس عشـر

شـرح النيـل وشـفاء العليـل

« ثـــان »

ص

مطـابع سـجل العرب







